السحر والمجتمع
دراسة نظرية وبحث ميدانى

تأليف
الدكتورة سامية حسن الساعاتى
أستاذة علم الاجتماع المساعدة
جامعة عين شمس

الطبعة الأولى
١٩٨٢

الناشر
مكتبة الأنجلو المصرية

اهداءات ٢٠٠٢

أ.د /السيد محمد بدوى

الاسكندرية

السحر والمجتمع

دراسة نظرية وبحث ميدانى

تأليف

الدكتورة سامية حسن الساعاتى

استاذة علم الاجتماع المساعدة

جامعة عين شمس

الطبعة الأولى

١٩٨٢

الناشر

مكتبة الأنجلو المصرية

رقم الايداع بدار الكتب ٤٢٨٤ لسـنة ١٩٨٢

الرقم الدولى : ٨ ـ ٥١ ـ ٠٠ ـ ٠٥ ـ ٩٧٧

الإهـــداء

إلى أمي الحبيبة ..

نبع الحب والفهم والعطاء

أهدي كتابي هذا

تقديرا وعرفانا وبعضا من وفاء .

مقدمة..

دوافع ثلاثة تلك التى دفعتنى إلى دراسة ظاهرة السحر دراسة نظرية عامة ، تتضمن فى ثناياها حقائق متعلقة بواقعها فى المجتمع المصرى ، ثم بحثها بحثا ميدانيا فى إطارها الواقعى المصرى .

أما الدافع الأول ، فإعلامى عام، ذلك أننى لاحظت انتشار هذه الظاهرة حتى بين المتعلمين فى مصر، بل إن كبرى الصحف والمجلات المصرية،أصبحت تفرد لهذه الظاهرة أماكن بارزة فيها . وهناك صحيفة يومية درجت لمدة طويلة على نشر إعلان لامرأة تطلق على نفسها الحاجة .. الروحانية . وذلك بشكل منتظم فى مكان بارز من إحدى صفحاتها .

وحدث على سبيل المثال أن نشرت بعض الصحف والمجلات المصرية — ومنها مجلة صباح الخير فى عددها رقم ٩٨٣ / ٧ نوفمبر ١٩٧٤ — « فى المباراة التى أقيمت يوم الجمعة ٢٥ أكتوبر بين فريق المحلة ، وفريق تانزانيا ، ظل فريق المحلة مهاجما طوال الوقت لكن دون جدوى ، ورغم أنه شدد هجماته ، لكن جميع الفرص ضاعت منه . وبدأ الجمهور يشعر بأن هناك شيئا غير عادى . وبالفعل لاحظوا وجود بعض التمائم والأحجبة وضعها حارس المرمى خلفه ، وعلى الفور تقدم أحد المتفرجين ، واختطف الأحجبة ، وحدثت مطاردة ، ثم استؤنف اللعب ، وجاء الهدف الأكبر بين تكبيرات المتفرجين » .

وبينما كنت أتجول فى منطقتى السيدة زينب ، والحسين ، بمناسبة

الاحتفال بمولد كل منهما لاحظت انتشار كتب متنوعة فى السحر مثل: شمس المعارف الكبرى للبونى، ومجربات الديربى الكبير، والسحر الربانى فى علوم الروحانى، وتسخير الشياطين فى وصال العاشقين، والسحر العجيب فى جلب الحبيب. فأخذت أفكر فى هذه الظاهرة، وأدركت أن فى انتشار عرض هذه الكتب مايدل على أن هناك طلبا كبيرا عليها. ومن هنا عزمت على بحثها.

والدافع الثانى، تاريخى ثقافى، فدراسة ظاهرة السحر فى المجتمع المصرى، تلقى الضوء على سمات أخرى من سمات مجتمعنا المصرى، وتعد من مكونات الشخصية المصرية.

وأول هذه السمات هى سمة الاستمرار، بمعنى أن هناك بعض العناصر الثقافية القديمة يستمر بقاؤها فى المجتمع المصرى حتى الآن، ومن هذه العناصر ظاهرة السحر فى المجتمع المصرى المعاصر، فجذورها ضاربة إلى عهد المصريين القدماء، وهى موجودة فى كثير من تفصيلاتها كما كانت تماما فى مصر القديمة (على سبيل المثال العروسة الورقية التى تثقب بالإبرة لاتقاء شر العين والحسد، والرقى المتعددة الأغراض .. الخ).

ويرجع ذلك — فى اعتقادى — أساساً إلى عناصر النشأة الطبيعية التى أوجدت ظاهرة السحر فى مصر القديمة، مازال الكثير منها موجودا وقائما فى المجتمع الحديث والمعاصر وأهم تلك العناصر فى رأيى عنصرا الخوف والعجز.

هذا بالإضافة إلى أن أغلب المعتقدات السحرية فى المجتمع المصرى ميراث مشترك يؤمن به أفراد المجتمع على اختلاف فئاتهم، وبيئاتهم، بل أيضا

على اختلاف دياناتهم رغم تعارض معظم المعتقدات السحرية ـ التى سنتعرض لها بالدراسة والبحث ـ تستمد جذورها من مصادر أقدم من الدين (سواء اليهودية أم النصرانية أم الإسلام) ، كما أنها تعبر عن عنصر أقدم ، فى الشخصية القومية للشعب المصرى ، ومن هنا لا يستشعر المصرى المنتمى إلى أحد الأديان ، أدنى غضاضة فى ممارسة أحـد معتقـدات مصرى آخر ينتمى لدين مغاير .

أما الدافع الثالث ، فعالمى ثقافى ، وهو أن ظاهرة السحر ظاهرة عالمية ، وشكل شائع من أشكال الفـكر بين الناس ، ويمكن أن ينشأ آليا وبشكل مستقل عن أفـكار أخرى مشابهة فى بيئات ثقافية أخرى ، وذلك بسبب الوحدة النفسية بين البشر . ويعبر باستيان Bastian عن عالمية الظاهرة بمفهوم الفـكرة الأساسية Elementargedanke ، فى سنة ١٨٦٠ ، كما عبر « جريم » W. Grimm عن الفـكرة نفسها قبل ذلك بأربع سنوات حين كتب يقول: « هناك بعض الظروف التى تبلغ حداً من البساطة والطبيعية يجعلها تتـكرر فى كل مكان ، كما أن هناك أفـكاراً تنبثق من تلقاء نفسها » .

فظاهرة السحر من الظواهر التى يمكن أن نطلق عليها اسم « النظائر الثقافية » Cultural Parallels وهى ظواهر ثقافية متشابهة توجد فى مختلف أجزاء العالم ، فـكل الشعوب تعرف الحجاب ، والطلسم ، والنذور ، وطقوس الأعمال السحرية المختلفة كالصمت والصوم ، وخلو المعدة من الطعام إلخ .

ويؤكد ماذهبنا إليه ما جاء فى جريدة الأهرام بتاريخ ٩ / ٦ / ١٩٨١ فى باب بعنوان مواقف « لقد زاد عدد الأمريكان الذين يحملون « الأحجبة » فى جيوبهم أو التمائم . وهذه الزيادة ليست مقصورة على سكان المدن أو المتعلمين أو رجال الأعمال . . وإنما ٩٩ ٪ من رواد الفضاء يفعلون ذلك » .

« وفى آخر إحصاء أن عدد الرجال الذين يحملون التعاويذ يقترب من عدد النساء . وقد سئل أحد علماء النفس عن تفسير لذلك فأجاب : التفسير العلمى لا يهم وإنما الذى يهم هو شعور الإنسان بأن هذا يعطيه إحساسا بالأمان».

وجدير بالذكر أن ظاهرة السحر إلى جانب ظاهرات غيبية أخرى أصبحت محور علم حديث كثر فيه البحث ليس فى المجتمعات الغربية المتقدمة فحسب ، بل أيضا فى مجتمعات الكتلة الشرقية وعلى رأسها الاتحاد السوفيتى وهذه البحوث كلها يتضمنها الميدان الجديد الذى أطلق عليه ما وراء النفس meta- psychology . ومن أبرز البحوث فى هذا الميدان تلك البحوث المتعددة فى ذلك المجال المعروف باسم Extra Sensory Perception .

ونحن باحثى علم الاجتماع ليس علينا أن نحكم على الظواهر أو نقيمها وإنما علينا تقرير الحقائق المتعلقة بها ، وتحليلها وتفسيرها . لذلك فإن أى مؤلف علمى عن هذه الظواهر الغيبية يبدأ بالحكم عليها بأنها من قبيل الدجل ، أو الأساطير ، يصبح غير علمى ، لأنه وقع فى خطأ إصدار حكم مسبق على هذه الظواهر ، بل إنه يكون قد وقع فى خطر تصديق بعض الآراء الشائعة التى سادت حقبة طويلة ، تسفه ما يعتقده الناس فى الظواهر الغيبية .

والقسم الأول من كتابنا السحر والمجتمع يتميز بأنه دراسة تاريخية ثقافية اجتماعية تشمل خمسة فصول يتناول الأول منها لمحة تاريخية عن ظاهرة السحر نعرض فيها بإفاضة للسحر عند قدماء المصريين لإبراز أوجه الشبه بين المعتقدات السحرية فى مصر القديمة ، وبين المعتقدات السحرية الحالية فى مصر .

ويوضح الفصل الثانى أهم المفهومات الأساسية والمرتبطة بالسحر، أما الفصل الثالث فيعرض عرضا تحليليا نقديا أهم تصنيفات السحر ، التى اجتهدنا فى

تبويبها ، وعرضها بالشكل التى هى عليه ، وفى الفصل الرابع تفصيل الصلة مابين السحر والدين ، وأوجه الشبه بينهما ، وأوجه الاختلاف — وموقف الأديان (اليهودية والنصرانية ، والإسلام) من السحر . أما الفصل الخامس فنتناول فيه السحر كظاهرة اجتماعية، وفيه نحلل ظاهرة السحر من وجهة نظر العلوم الاجتماعية ، ونبين الصلة بينها وبين العادات الاجتماعية والتنشئة الاجتماعية ، ثم نفصل الوظيفة الاجتماعية لظاهرة السحر ، وأخيراً نختتم هذا الفصل الهام بدراسة تحليلية تتبعية للسحر فى سوسيولوجيا المجتمع المصرى الحديث ، وبتحليل لدور ظاهرة السحر فى المجتمع المصرى .

وتعد الدراسة النظرية لظاهرة السحر ، خاصة فى الفصل الأخير منها ، والخاص بالسحر كظاهرة اجتماعية مدخلا تأصيليا للبحث الميدانى الذى يمثل القسم الثانى من هذا الكتاب والذى اخترنا عنوانه : ظاهرة السحر فى مدينة القاهرة . ويشتمل على عمل ميدانى ، ومسح سحرى للمدينة ، يعطينا صورة حية لما وصلت إليه هذه الظاهرة فى الربع الأخير من القرن العشرين ، وفى عاصمة هذا المجتمع بالذات ، وهى مدينة القاهرة .

وينقسم البحث الميدانى إلى شقين أساسين : الأول خاص بالمشتغلين بالسحر فى مدينة القاهرة ، ومناطق توزعهم فيها ، وتوزيعهم وفق أعمارهم ، ونوعهم، وديانتهم ، ومستوى تعليمهم ، وحالتهم الاجتماعية. إلخ. أما الشق الثانى من البحث فيختص بالمترددين على المشتغلين بالسحر فى القاهرة ، وتوزعهم فيها ، حسب القسم الإدارى ، وفئات السن ، والنوع ، والديانة ، ومستوى التعليم ، والحالة الاجتماعية ، ودوافع التردد ، وعدد مراته ، ومدى شعور المتردد بالفائدة من تردده .

وفى معالجتنا لظاهرة السحر والمجتمع المصرى ، لا نتناول الحقائق الخاصة

بآثاره ، ولا تلك المقولات التي تتداول بين الناس بخصوص فاعلياته ، لأن هذه مسائل لا دخل لعلم الاجتماع فيها ، وإنما ينحصر اهتمامي كباحثة ، في ظاهرة السحر نفسها في المجتمع المصري من حيث :

(ا) وجودها

(ب) ومدى انتشارها .

(حـ) والمحيط الذي تنتشر فيه .

وذلك بقصد التوصل إلى فروض وتعميمات بخصوص ظاهرة السحر في المجتمع القاهري ، وفي مدينة القاهرة باعتبارها أكبر مدينة مصرية ، وأوسعها عمرانا ، وأوفرها سكانا ، وأنماها حضارة وثقافة ، تسهم مستقبلا في إثراء نظرية عامة عن ظاهرة السحر في المجتمع المصري .

والجديد في تناولنا لهذا الموضوع ، هو المعالجة الاجتماعية الثقافية لظاهرة السحر ، وهو اجتهاد مستحدث في المكتبة العربية يختلف عن الاجتهادات التقليدية الأخرى ، سواء التاريخي منها ، أو الديني ، أو الأنثروبولوجي ، وإن لم يغفل أيا من هذه الأبعاد .

كما أن الجهد المخلص المبذول في العمل الميداني لبحث ظاهرة السحر في مدينة عاصمية وهي القاهرة ، لهو الآخر جهد متميز في طبيعته ، وفي تعرضه لعاصمة حضرية لدراسة ظاهرة السحر فيها ، والشائع حتى الآن في ظن معظم المفكرين والباحثين على السواء ، أن السحر قاصر على قرى الريف المصري فقط. والجديد أيضا هو تناولنا لكل من المشتغلين بالسحر ، والمترددين عليهم معا ، وكل فئة منها تتطلب وحدها ، في دراستها ، بحثا مضنيا . ومن الأفكار المبتكرة في هذا البحث ما توصلنا إليه من رسم « خريطة سحرية » يتمثل

عليها المشتغلون بالسحر بحسب توزعهم فى الأقسام الإدارية المختلفة .

وأرجو أن أكون بكتابى هذا بقسميه النظرى ، والميدانى ، قد أسهمت بجديد من أجل فهم ثقافتنا المصرية ، تلك الثقافة الغنية بظواهر تتطلب الدراسة والتحليل ، والتفسير ، والفهم ، وأن أكون قد وجهت بعض الأنظار لتتجه إلى الداخل فى أبحاثها ، من أجل علم اجتماع مصرى معاصر، كما أرجو أن يكون الكتاب قد أثار بعض التساؤلات ، والاهتمامات التى تدفع باحثين آخرين ربما من تخصصات مقاربة ، كالأنثروبولوجيا ، وعلم النفس ، وعلم النفس الاجتماعى إلى تناول ظاهرة السحر من أبعاد أخرى تزيد الموضوع ثراء .

والله ولى التوفيق ،

مصر الجديدة فى أول مارس ١٩٨١

سامية حسن الساعاتى

القسم الأول

السحر والمجتمع

الدراسة النظرية

الفصل الأول

ظاهرة السحر ـ لمحة تاريخية

تمهيد

من الأمور الغامضة المحيرة التي تستعصي على الفهم ، تلك المسائل والموضوعات التي أطلق عليها في مجموعها علوم ما وراء الطبيعة (metaphysics) ومنها ظاهرة السحر ، أو علم السحر ، أو فن السحر ، كما يحلو لبعض الباحثين والعلماء أن يسموه . والمعروف أن السحر كان منذ العصور الموغلة في القدم أداة يعتقد الناس أنها تعينهم في حل مشكلاتهم التي يربطونها بعالم الغيب الذي يتحايلون على جلاء غموضه ، ورفع بعض أستاره بشتى الوسائل التي تدخل في هذه الظاهرة .

وسنتناول في هذا الفصل ظاهرة السحر من منظور تاريخي ، فنستعرض منشأ وجود السحر ونعني بإيراد لمحات تاريخية عن السحر عند الفرس ، ثم الكنعانيين ، والكلدانيين ، ثم البدائيين ، ثم نعرض بإفاضة للسحر عند قدماء المصريين ، لإبراز التشابهات وأوجه الصلة بين المعتقدات السحرية في مصر القديمة ، والمعتقدات السحرية الحالية في مصر .

ولما كان السحر من أول الأمور التي اهتم بها الإنسان واعتقد في وجودها وحقيقتها ، فقد نقش معتقداته وطقوسه وتعاليمه ومعرفته على هذه الصخور أو صنع لها التماثيل . ولما ارتقى به أمر القراءة والكتابة عمد إلى الكتابة فيه ، وترك مخلفات كثيرة بين مخطوط ومكتوب ومنقوش تدلنا جميعها على مبلغ اهتمامه بالسحر ومازال الأمر على هذا المنوال حتى يومنا هذا .

وفي الحقيقة فإن الإنسان منذ أول عهده بالحياة كان يعيش في رعب دائم تارة من الوحوش الكاسرة ، وطورا من الزواحف الهائلة ، ودورا من الظواهر الطبيعية التي كانت تبعث الفزع في كيانه لجهله بأسبابها وعوامل تلافيها مثل البرق والرعد التي كان الإنسان ينسبها إلى مخلوقات أخرى عاتية لا يراها ويجهل أمرها تماما .

ولم يقتصر خوف الإنسان على نفسه من هذه العوامل فقط بل تعداها إلى أخيه وزميله الإنسان الذى يعيش معه أو بجواره ، لما كان يجيش فى الصدور من نزعات ورغبات وعواطف وإحساسات متباينة متناقضة فى قوتها وهيئتها لا يفقه من أمرها شيئا ولكنه يراها تدفعه للاضرار بغيره ، أو التملق والتزلف له ، أو اكتساب مودته .

ووسط هذه المخاوف ، التى قد تصل إلى حد الرعب والفزع والهلع أحيانا ، عاش أهل الفرات ودجلة ، وهم أول من استعمر الأرض ، ومنهم السامريون الذين عاشوا قبل ظهور المسيح عليه السلام بخمسة آلاف عام وكذلك الكلدانيون والكنعانيون والآشوريون وهم أول من استخدم السحر ، ونقله عنهم أقباط مصر ثم يهودها ، ثم انتقل إلى الهند وأوربا وأفريقيا وأمريكا وعم العالم بأسره .

وقد اختلفت الآراء فى معرفة أول ساحر فى الوجود ، ولكن الرأى الغالب يؤكد أن ذرية (هابيل) هم أول من مارس السحر بمدينة بابل لأنهم كانوا زمرة من المجرمين العتاه ، وأن المولى عز وجل عاقبهم بالفيضان لكثرة مساوئهم وتعدد مخازيهم والتجائهم للشياطين وأعوانهم من دون الله ، ويقال أن (هام Cham) ابن نوح عليه السلام كان من أوائل السحرة ؛ كان يأوى إلى جبل خاص يناجى فيه شيطانه حتى أنه عندما حدث الفيضان ودعاه والده ليركب فى الفلك معه وينجو ، عصى أمره مفضلا الالتجاء إلى هذا الجبل معتقدا أن خلاصه سيأتى على يد الشيطان فخاب أمله وكان من المغرقين.

وحذا حذو (هام) أنجاله كنعان وسيدون وغيرهم ، واتخذوا السحر وعبادة الشياطين والاتصال بهم دينا لهم ،وينسب البعض إلى هذه الذرية معظم ما يحدث فى هذا العالم من شرور فقد تعلم أحد أبنائه من الشيطان (عزازيل) صناعة الحراب والمدى والتروس والدروع ، فانتشر القتل والجرائم والحروب ،

وتعلمت نساؤه من نساء الشياطين استعمال العطور والزينة والتبرج فسادت الخلاعة ، والفسق ، والفجور ، وتوارت عنها الغيرة والإنحلال الخلقى[١] .

وانتشرت ذرية (حام) فى بقاع الأرض واستوطن عدد كبير منهم بزعامة ابنه (زوروستر Zoroaster) ومعناه (نجمة الحياة المضيئة) بلاد الفرس . وقد أجمع معظم المؤرخين والكتاب على أن زوروستر ، هو أول من أسس علم السحر ووضع له قواعده ، وزاوله ، ومارسه ، وترك فيه آثاره التى مازالت للآن مرشدا ومرجعا لجميع السحرة[٢] .

و « زوروستر » هو أول من لفت نظر الناس إلى الكواكب والأجرام السماوية وأدخل فى روعهم شدة بأسها بصفتها آلهة كبيرة بيدها صلاحهم وفسادهم ، ولذا وجبت عبادتها وترضيتها . وقد نزلت كل الكتب السماوية تنهى عن عبادة الشمس والقمر والكواكب .

وعلم زوروستر السحر لأنجاله (أزوناس وأبيولوس وأرومازوس) وانتقل منهم إلى غيرهم ، وقطع القفار ، وعبر البحار وانتشر فى جميع أنحاء الأرض حتى أنه عند اكتشاف أمريكا وجدوا سحرتهم يقومون بطقوسهم وصلواتهم السحرية كما نصت عليه المراسيم التى خلفها الفرس والأشوريون ، كما أنهم وجدوا عادات السحرة وأعمالهم بالمكسيك هى بذاتها التى يقوم بها سحرة مقاطعة الفالار بفرنسا ، والتى مازالوا يمارسونها إلى الآن ، كما يوجد فى الوقت الحالى ما يربو على المائتى ألف شخص من طائفة (الپاريسين) بالهند يدينون بمذهب زوروستر ويعملون حسب تعاليمه السحرية[٣] .

---

(١) أنظر محمد جعفر ، كتاب السحر ، ص ٤ ، ٥ .

(٢) Encyclopaedia Britannica, 1965, Vol. 14, p. 570.

(٣) محمد جعفر ، المصدر السابق ، ص ٧ .

ويمكن القول إذن بأن تاريخ ظاهرة السحر والسحرة يبدأ منذ خمسة آلاف عام قبل ظهور المسيح عليه السلام عندما وضع أسسه ومارسه الساحر الكبير (زوروستر) فى بلاد الفرس ، وقد حفظت معظم تعاليمه فى الأفستا (Avesta) وهو الكتاب المقدس للفارسيين القدماء . كما عد الكهنة الفارسيون أو المجوس الرعيل الأول من السحرة والمنجمين .

وترتبط كلمة « مجوس » اللاتينية الأصل بتاريخ طويل يرتد فى أصله إلى قبيلة فارسية قديمة تخصصت فى عديد من المناشط التعبدية .

وثمة نزاع حول ما إذا كان المجوس منذ البداية تابعين لزوروستر (زرادشت) وأول مريدين له . والواقع أنه منذ القرن الأول الميلادى إلى مابعده استخدمت كلمة مجوس للاشارة إلى السحرة والراجمين بالغيب الوافدين أساساً من بابل ، وقد اشتهروا بأشكال مختلفة من الحكمة . ولكن بانهيار الإمبراطورية الفارسية صارت هناك تفرقة بين المجوس الفارسيين الذين تميزوا بالمعرفة الدينية العميقة ، وبين المجوس البابليين الذين اعتبروا غالباً من السحرة المشعوذين[١] .

وجاء بعد الفرس الكنعانيون والمصريون والهنود وغيرهم ، وكان لكل منهم طريقته واعتقاداته الخاصة فى عمله ، ولكن أساس العمل واحد فى جميع البلاد ويرجع إلى ماوضعه زوروستر فى هذا السبيل .

(١) السحر عند الكنعانيين :

كان الكنعانيون يعتقدون اعتقادا عظيما فى القوة السحرية التى تشعها

---

(١) الموسوعة البريطانية ، المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

أجساد القطط والكلاب التى ذكروا عنها شيئا كثيرا فى مخلفاتهم ونقوشهم وآثارهم . ومنها أنه إذا دخل كلب أحمر اللون أحد المعابد فرت منه الآلهة، وولت منه البركة ، وإذا دخله كلب أصفر سرقت محتوياته ، أما إذا دخله كلب أبيض فهذا دليل على بقاء المعبد فترة طويلة مع ازدياد خيراته ، وأيضاً إذ دخل كلب أسمر قصر الملك هجر الأخير زوجته ودب الانحلال فى أسرته، وتفشى الفساد فى حاشيته ومملكته حتى يزول ملكه ، وإذا جلس كلب أسود على عرش الملك فهذا نذير بموته وشبوب حريق كبير فى عاصمته .

وكانوا يتشاءمون من نباح الكلاب ليلا ويتهمونها باستدعاء الشياطين لإلحاق الأذى بالسكان وهم نائمين مطمئنين ، وما زالت هذه الخرافة شائعة بيننا حتى اليوم فإذا ماطرق سمعنا كلبا يعوى كالذئب قلنا إنه ينبح (بالمقلوب أو المعكوس) وتوجسنا خيفة من نباحه خصوصا إذا كان هناك بيننا مريض. أما القطط فنظرا لشجاعتها وفراستها وأنانيتها وشراستها ، فقد كانوا يحسبونها من الأرواح الشريرة خصوصا عند اجتماعها ليلا واشتداد عوائها وصراخها بلهجات ونغمات مزعجة ، وكانوا يعدون هذا العواء الكريه المقوت دليلا على اجتماعها بالشياطين لتلقى الأوامر منهم .

ب ــ السحر عند الكلدانيين :

كان الكلدانيون يستخدمون دماء الطيور الصغيرة بعد ذبحها فى أعمالهم السحرية،ولذا كانوا يعنون بأمرها ويطعمونها طعاما خاصا ولا يأكلونها أبدا واهتم الكهنة والسحرة الكلدانيون بدراسة الكواكب والنجوم ، وكانوا يعتقدون اعتقادا راسخا فى تأثيرها على حياة البشر وينسبون إليها أمورا كثيرة، منها أن ظهور كوكب المشترى فى الليالى القمرية يبشر النساء الحاملات بالمواليد

الذكور ، وظهور عطارد دليل على زيادة المعاملات التجارية ، وتحسين الأحوال الاقتصادية للبلاد ، وعلو شأن العلم والأدب والمشتغلين به وكذلك فإن ظهور كوكب زحل ، ليدل على الخلافات العائلية ، وسوء حالة المتزوج والأعزب على السواء وتفشى الإجرام والرذيلة .

أما ظهور كوكب المريخ فمعناه عزل الملوك أو وفاتهم ، وتفشى المجاعات والأمراض واندلاع الحروب ، كما أن ظهور كوكب الزهرة يدل على رواج سوق الزواج خصوصا للعانسات ، وللآن نجد بعض الفلكيين ومن يهتمون بهذا العلم يبنون تنبؤاتهم على ظهور هذه الكواكب فى أوقات معينة ودلالتها مماثلة لما سبق ذكره .

وكان السحرة الكلدانيون يعولون فى أعمالهم السحرية على حركات هذه الكواكب وأوقاتها وتقابلها وابتعادها ، وكل ما يتصل بها ، وذلك لاعتقادهم الراسخ بتأثيرها على حياة الآدميين .

أما الشعب فقد كان يعتقد اعتقادا راسخا فى السحر الذى ملك عليه عقله ولبه ، وصار ينسب إليه كل خير وشر يصيبه ، كما كان يعتقد أن مصدر هذا السحر هو الأرواح الشريرة أو الطيبة التى تراقب حركاته وسكناته وتعمل على راحته أو مضايقته ، فإذا حدث مثلا أن طاش سهم الصياد ولم يصب الفريسة فلا يعزو هذا الصياد فشله إلى قلة خبرته أو مرانه أو عدم الدقة فى تصويب رمحه ، ولكن كان ينسب فشله دائما إلى وجود الأرواح الشريرة التى تعاكسه ، وتتدخل فى شئونه ، وأنها هى التى أطاحت بسهمه فلم يصب الفريسة . ولذا كان يعمد لإرضائها فورا بذبح أى حيوان ، وتركه فى الخلاء اعتقادا منه بأنها بعد ذهابه ستسطو على هذه الضحية وتلتهمها ثم تكف عن مضايقته

وقد أنجبت ذرية (هام — زوروستر) أربعة عائلات تولى زعامة كل واحدة منها أحد أعالمهم النابغين فى علوم السحر فتولى مصر بوجهيها البحرى والقبلى (مصر ايم) وتزعم (كوش) إثيوبيا و (نوث) القبائل الرحالة بين أفريقيا وآسيا — ورأس (كنعان) الفينيقيين .

وترد كل أسس السحر وأعمال السحرة إلى (كوش) الذى ذكرناه آنفا ، وعنه أخذت معظم القبائل البدائية تعاليمها وعلومها السحرية ، خاصة ما نطق منها بتغيير الآدميين إلى ذئاب أو ضباع أو كلاب ، وغيرها من الحيوانات الكاسرة[1] .

حـ — السحر فى المجتمعات البدائية :

يعد عالم ماوراء الطبيعة عاملا فعالا دائما فى حياة البدائى ، فتراه يلجأ إليه لتفسير كل مايقع أمامه ، ويعزو إليه من الشرعية والمعقولية ما نعزوه نحن إلى قوى الطبيعة المعترف بها والعقلية البدائية التى لا تعول إلا على الروابط الغيبية لا تعد مانسميه نحن سببا وعلة لما يحدث إلا مناسبة له على أحسن تقدير ، أو بتعبير أصح لاتعده إلا آلة فى يد القوى الخفية . ولاشك أنه يمكن للمناسبة أن تتغير وللآلة أن تستبدل بغيرها ، دون أن يمنع ذلك من وقوع الحادثة ؛ إذ يكفى لوقوعها أن تتمكن القوة الخفية من القيام بعملها وألا تقف فى طريقها قوة عليا من نوعها .

وتعمد الجماعات البدائية كلها إلى تفسير الموت بغير الأسباب الطبيعية ، فإذا مات عندهم شخص عزوا موته على وجه العموم إلى أن ساحرا قد حكم عليه بالموت « يستطيع الشخص المقصود أن ينطلق كعادته إلى رحلة صيد ..

(١) أنظر محمد جعفر ، المصدر السابق ، ص ١١ ، ١٤

وفجأة يشعر بشيء ما فى قدمه أو ساقه ويرى حية تنهش جسمه ومن الغريب أن هذا النوع من الحيات يختفى على الفور . ويدل هذا الاختفاء السريع على أن الشخص الذى لدغته الأفعى قد وقع تحت تأثير سحر عدو وأنه لا مفر من موته . والواقع أنه لا يقوم بأية محاولة للعلاج ، بل يستولى عليه اليأس ، ويضطجع فى انتظار الموت(١) » .

وقد يتصور البدائيون إمكان وقوع الموت بحادث عارض ، ولكنهم فى أغلب الأحيان يعزون نتيجة ما نسميه نحن بالحادث العارض إلى تأثير سحر شرير . ويقول « هويت » "Howitt" : « إذا قتل محارب من أفراد القبائل القريبة من ماريبرا Maryborough (فى كوينزلند) فى إحدى مبارزاتهم الطقسية ، اعترفوا بأن موته يرجع إلى فقدانه المهارة فى صد رماح العدو ، ولكنهم يعتقدون ن الوقت نفسه أن فقدان المهارة يرجع إلى سحر ضار قام به بعض أفراد قبيلته » .

وليس هذا الاتجاه العقلى مقصورا على القبائل الاسترالية ، إذ أننا نعثر عليه فى صورة جد متشابهة لدى الجماعات البدائية كلها مهما بلغ تباعدها فى المكان(٢) .

ويعبر « بنتلى » عن الفكرة نفسها بدقة إذ يقول : « لا يعتبر أهل الكنغو الأصليون أن المرض والموت من الحوادث الطبيعية ، ولا يرجعونهما إلى أسبابهما بأية حال ، بل إلى فعل السحرة دون سواهم . حتى ولو كان الموت ناشئا عن الحروب أو الغرق أو السقوط من فوق شجرة عالية أو

(١) W.E. Rath, Superstition, Magic & Medecine, Ethnography Vol. 12, p. 113.

(٢) أنظر ليفى بريل ، العقلية البدائية ، ترجمة محمد القصاصى ص ٢٦ ، ٢٧

انقضاض صاعقة أو اعتداء حيوان ضار ، فإنهم يعزونه إلى تأثير السحر . وهم يتمسكون بهذه العقيدة فى إصرار عجيب وبعد تام عن المنطق . فعندهم أن الميت لا يموت إلا إذا وقع ضحية لسحر ساحر ، ولذلك يعدون هذا الساحر هو الجانى الحقيقى [1] » .

بعبارة أخرى تتوقف حياة البدائيين العقلية وبالتالى (أحداسهم) على حقيقة بدائية جوهرية ، وهى أن العالم المحسوس والعالم الآخر لا يكونان فى تصوراتهم إلا شيئا واحدا . ومجموع الكائنات غير المرئية لا تنفصل عندهم عن مجموع الكائنات المرئية . وليست الكائنات الخفية فى نظرهم بأقل وجودا ونشاطا من الكائنات المرئية ، بل إنها أكثر منها تأثيرا وإرهابا ، ولذلك فهى تشغلهم أكثر من غيرها ، وتصرف عقولهم عن التفكير فيما نسميه نحن بالمدركات الموضوعية ، ولو إلى حد يسير وما جدوى ذلك إذا كانت الحياة ، والنجاح ، والصحة ، ونظام الطبيعة وكل شىء آخر يتوقف فى كل لحظة القوى الخفية؟ وإذا كان فى وسع الجهد الإنسانى أن يفعل شيئا ، ألا ينبغى له أن ينفقه ، أولا وقبل كل شىء فى تفسيره لمظاهر هذه القوى وتنظيمها بل فى استثارتها أيضا ؟ الواقع أن هذه هى الطريقة التى حاولت بها العقلية البدائية أن تنمى تجاربها .

ويمكننا على وجه الاجمال أن نقسم التأثيرات غير المرئية التى تشغل العقلية البدائية بصورة دائمة ، إلى ثلاثة أقسام ، وإن كانت كثيرا ماتتداخل بعضها فى بعض وهذه الأقسام هى : أرواح الموتى ، والأرواح بأعم معانى الكلمة ، أى تلك المؤثرات التى تجعل الحياة تدب فى الأشياء الطبيعية من حيوانات ونباتات ، وكائنات جامدة (الأنهار والصخور ، والبحار ، والجبال

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٢٩

والأدوات المصنوعة ، الخ) ؛ وأخيرا الطلاسم والتعاويذ التي تعد من فعل السحرة .

ويذكر « مالينوفسكي » أن السحر يلعب دورا هاما في حيـــــــاة التروبرياندين ، فهو ضروري للزراعة ولحماية الأطفال وكذلك في حالات الحب أيضا . وعلاوة على ماتقدم فللسحر أهميتهفي صناعة السفن، فهو ضروري لجعل السفينة تسير بسرعة وأمان . كذلك يعتقد الأهالي أن المرض ، والصحة والوفاة تنتج عن السحر . ويستفيد الرؤساء من قوة السحر في التغلب على أعدائهم ، فعندما يشك حاكم القرية في وجود مؤثرات ضده ، فإنه يسلط عليهم السحرة للانتقام منهم (١) .

ويحلل « مالينوفسكي » في عمل آخر له السحر عند البدائيين تحليلا رائعا ، ويرى أن الاعتقاد فيه لا ينقص بل على العــكس يزداد ، رغموصول المبشرين ، وانتشار بعض التعليم وهو يرى أن السحر عند البدائيين إنما يتسم بأشياء تقال ، وأشياء تؤدى ، وشخص يقوم بشعائر معينة . وبذلك فثمة ثلاثة أضلاع للسحر هي الرقية ، والطقس ، وحالة الشخص الممارس للسحر (٢) .

فإذا رجعنا إلى قبائل البابو في غينيا الجديدة الألمانية الذين نجدهم مدروسين بعناية فائقة في المؤلف الذي أصدره الدكتور « نويهوس » Neuheuss وجدنا أن « السحر يلعب عندهم دورا أعظم من الدور الذي يلعبه الخوف من الأرواح . فإذا لم يسقط المطر ، أو إذا سقط أكثر مما ينبغي ،

(١) B. Malinowski, Argonauts of the Western Pacific, N.Y., E.P. Dutton & Co Inc. 1961.

(٢) B. Malinowski, The Dynamics of Culture Change, New Haven, Yale University Press, 1945, pp. 95 : 97.

وإذا ساءت الحاصلات الزراعية ، وإذا لم تثمر أشجار النارجيل ، وإذا ماتت الخنازير ، وإذا لم يأت الصيد البرى أو البحرى بالثمرة المرجوة ، وإذا زلزلت الأرض زلزالها ، وإذا طغى مد البحر فاكتسح قرية على الشاطىء ، وإذا حدث مرض أو موت ، وإذا وقع أى شىء من هذا القبيل لم تكف الأسباب الطبيعية لتفسيره بأية حال ، بل لابد أن يكون هناك سحر من خلف ستار » . وتعتقد قبائل « السكاى » أنه لا يموت شخص موتا طبيعيا قط حتى ولو كان من الشيوخ المرمين ، إذ يعتقدون أن موتهم يرجع إلى السحر ، وكذلك الحال بالنسبة إلى جميع الكوارث التى تحل بهم فإذا سقط شخص، فالساحر هو الذى أسقطه . وإذا اتفق أن أصيب بجرح من خنزير برى أو عضته أفعى ، ففتش عن الساحر أيضا . كذلك الساحر هو الذى يعمل من بعيد على أن تموت هذه المرأة أو تلك فى أثناء الوضع[1] .

وهكذا هو الحال فى معظم الجماعات البدائية حيث يقف « السحر دائما بالمرصاد ليحدث شرا ، أو ليتسبب فى خسارة ما . فهو فى حالة « إمكان دائم » للشر ، يتحين كل فرصة تلوح له لينفذ سهمه . وهذه الفرص ليست محدودة العدد . إذ من المستحيل أن يحيط بها الفكر مقدما فى مجموعها ، فتبدو مظاهره هذه فى اللحظة التى يباشر فيها عمله ، ولا يشعر به المرء إلا حين يكون سهم شره قد نفذ . ولذلك لم يكن فى إمكان القلق الدائم الذى يعيش فيه البدائى أن يسمح له ، رغم ذلك ، بإدراك الشر الذى سيقع به قبل وقوعه لكى يحاول منعه .

فخوف السحر ماثل أمامه بصفة مستمرة ، ولكنه رغم ذلك واثق من أنه سيكون ضحيته . ولعل فى ذلك سببا من أهم الأسباب التى تفسر لنا شدة

---

(١) محمد جعفر ، المصدر السابق ، ٥٥

حنق البدائيين على الساحر حينما يكتشفونه إذ أن الأمر لا ينحصر عندهم فى معاقبة الساحر على الشرور الماضية التى عانوها على يديه والتى لا يعرفون عددها ولا مداها . وإنما يريد البدائيون بوجه خاص أن يقضوا مقدما على الشرور التى يستطيع هذا الساحر أن ينزلها بهم فى المستقبل، وتنحصر وسيلتهم الوحيدة لقتل الساحر فى إلقائه فى اليم أو حرقه بالنار وفى الوقت نفسه، يقضى هذا الإجراء على روح الشر التى تحل فيه وتتخذه مطية لنشر شرورها .

ويعتقد البدائيون أن الشرور التى يستطيع الساحر أن يسلطها على غيره لا تحصى ولا تعد ، فإذا ما أراد أن يقضى على شخص ما ، استولى على أى شىء ينتسب إليه ، واعتبر أنه هو الشخص ذاته بطريق المشاركة والتقمص . (وذلك كخصلة من شعره ، أو قلامات من أظافره ، أو بعض فضلاته ، أو بوله ، أو أى شىء من أثر أقدامه ، أو من ظله أو صورته ، أو اسمه ، الخ .) وحينئذ يقوم ببعض إجراءات سحرية على هذا الجزء من الشخص حتى يهلكه وفى بعض الأحيان يغرق زورقه أو يجعل سهمه أو بندقيته تطيشان . وفى أحيان أخرى يفتح جسمه أثناء نومه بالليل فيسرق منه عنصر الحياة بانتزاع دهن كليتيه . وقد يسلمه إلى وحش ضار أو أفعى ، أو عدو . وأحيانا يعمل على سحقه بوساطة شجرة أو حجر ينتزع من مكان ما ويسقط عليه عند عبوره به ، وهكذا تتعدد وسائل القضاء على الأشخاص إلى ما لا نهاية، وإذا لزم الأمر تحول الساحر نفسه إلى حيوان .

وفى افريقية الاستوائية يعتقد البدائيون أن التماسيح التى تختطف الضحايا البشرية ليست حيوانات عادية ولكنها آلات طيعة فى يد السحرة . بل قد تكون التماسيح هى السحرة أنفسهم عن طريق التقمص .

وإذا ما حدث إخفاق أو كارثة ، فسره البدائيون تفسيرا واحدا لا يتطرق

إليه الشك ، وهو أن المصاب وقع تحت تأثير خفى ، ولكن من العسير فى غالب الأحيان أن يعرفوا نوع هذا التأثير . فإذا نظروا إلى الحادثة فى حد ذاتها ، كالصيد الذى أخفق أو المرض الذى نزل أو الجفاف الذى أهلك الحقول ، الخ ، كان من العسير عليهم أن يستفتجوا منها ما إذا كانت ترجع إلى أحد السحرة أو إلى بعض الموتى المختفين أو إلى الأرواح الشريرة .

وفى أكثر المجتمعات البدائية ، يرجع البدائيون السبب دائما إلى «السحرة والأرواح الشريرة» والواقع أنه يمكن للارواح الشريرة أن تكون فى خدمة السحرة والعكس صحيح . وقد يكون الساحر نفسه منطويا على روح شريرة فى بعض الأحيان على غير علم منه : وحينئذ يتداخل التصوران أحدهما فى الآخر . ولكن يبقى بين التصورين هذا الفارق الهام . وهو أن الساحر بضرورة الحال فرد من الأفراد ، وعضو من هذه المجموعة الاجتماعية أو من تلك المجموعة المجاورة ، ومن ثم أصبح تصوره جليا محددا . أما تصور الأرواح فإنه يظل على جانب من الإبهام والغموض تبعا للجماعات والمجتمعات التى يلاحظ فيها ، مادامت هذه الأرواح ليست أشباحا لموتى . بل يختلف هذا التصور فى داخل الجماعة الواحدة تبعا للاخيلة الفردية والطبقة الاجتماعية التى ينتسب إليها الأشخاص[1] .

ولعل تشبيه هوميروس القائل : « النوم صنو الموت » منحدر من أحقاب بعيدة ، وهو عند البدائيين حقيقى بنصه وفصه . فما هو معروف عندهم أن الميت الجديد يواصل الحياة ، ولكن فى ظروف جديدة . وهو لا يبتعد عنهم من فوره ، بل يبقى قريبا منهم ويستمر التأثير على هيئته الاجتماعية التى تحس حضوره ولا تستطيع الانصراف عنه . نعم لقد غادرت

---

(١) أنظر ليفى بريل ، المصدر السابق ، ص ٥٥ : ٥٨

« روحه » جسده ، ولكن جسمه لا يزال باقيا ، وما دام لم يتحلل تماما فإن ضروب المشاركة بين الميت الجديد وهيئته الاجتماعية لاتنقطع إلا جزئيا .

كذلك حال النائم حين يحلم ، فإن روحه (فى اعتقاد البدائيين) تنفصل عن جسمه ، ويصبح فى حالة تشبه حالة الموتى الجدد إلى أن تعود إليه روحه من جديد ، ويعبر البدائيون أحيانا عن هذه الفكرة بعبارات ملفتة للنظر . فالفعل « يحلم » (درُكوكو) (drokuku) فى أفريقيا الغربية الألمانية معناه « يموت نصف موت » . فنى الحلم تغادر الروح الجسد وتذهب إلى إقليم الأحلام ، حيث يظن المرء لحظة أنه يرى الأشياء ويمتلكها ، غير أنها لا تمكنه من احتجازها ، ومع ذلك فإن هذه الظلال تعتبر حقيقة واقعية . فمثلا إذا رأى فى الحلم شخصا مات منذ زمن طويل ، كان معنى ذلك أنه تكلم معه حقيقة . وفى الحلم يرى المرء أشياء حقيقية وحوادث تحدث حقيقة إذ أن الروح تتحرر من الجسم مؤقتا وتتكلم وتفعل كما تتكلم وتفعل فى وضح النهار حين تكون فى الجسم ، وينحصر الفرق الوحيد بين الحالتين فى أنها أثناء الحلم تتحرك فى عالم غير المرئى لا فى عالم المرئى .

ولما كان الخوف من السحر هو الهم الدائم لدى البدائيين ، نجد أنهم على اتصال دائم بالأموات ، يستوى عندهم فى ذلك من ماتوا ولا تزال ذكراهم حية ، وتلك الكتلة المختلطة من الأسلاف » . إذن من الطبيعى أن يستخدموا الأحلام فى تحقيق هذا الاتصال ، وأن يسخروها فى اكتشاف السحرة[1] .

وقد رأينا أن الأحلام تكون أهم جزء فى تجارب العقلية البدائية ، لأنها هى التى تصل بينها وبين العالم غير المرئى بطريق مباشر . ثم تأتى

---

(١) أنظر ليفى بريل ، المصدر السابق ، ص ٥٥ : ٥٨ .

الفؤول فى الدرجة الثانية من الأهمية لأنها هى الأخرى تمد هذه العقلية ببعض المعلومات عن فعل القوى الغيبية التى تحس بوجودها .

فالفؤول ضروب من الكشف تحدث تلقائيا ، ويفسرها البدائى على التو دون حاجة إلى ترو ، وذلك بواسطة أنواع من الارتباط الوثيق تصل بين تصوراته الجمعية . وللفؤول عند البدائيين صور شتى كأن يسمعوا هذا الطائر يصيح من جهة الشمال أو يروا ذاك الحيوان يعبر الطريق فى أثناء السير ، وهلم جرا ، والبدائى يدرك الدلالة السعيدة أو المنحوسة لهذا الفأل أو ذاك بمجرد أن يدرك الحادثة التى تكونه . وحينئذ يتابع السير فى المشروع الذى بدأه بشجاعة أو يتخلى عنه . وهو إذ يفعل ذلك إنما يساير معطيات تجاربه التى تعد الفؤول فى الصف الأول منها ، ويشبه ذلك إلى حد ما مسلك الطبيب الذى يبنى وصفاته على حالة المريض التى يكشف عنها تشخيصه للعلاج .

فإذا كانت تلك طبيعة الفأل ، وإذا كان الفأل فى تصورات البدائيين الجماعية سببا مؤثرا بقدر ماهو كشف عن المستقبل ، فلا ينبغى لنا أن نعجب إذا رأينا جل الجماعات البدائية تعمل كل مافى وسعها للقضاء على الحيوان الذى يحمل الفعل السيء .

ولا يتردد البدائيون لحظة واحدة بين التفكير المنطقى على بساطته ووضوحه وبين الرؤيا المباشرة ، وهذا سبب من الأسباب التى تجعلهم يلجأون دائما إلى أعمال عرافية جد متنوعة ، فهى متجهة دائما نحو العالم الخفى ، وكل اهتمامها موجه نحو ضروب المشاركة الغيبية . ولذلك كانت العرافة عندها أجدى من أى تفكير عقلى ، وأقدر منه على الإجابة عن ضروب حب الاستطلاع التى يصبو إليها العقل ، وعلى سد الحاجات التى يستلزمها العمل .

وتحدث هذه العرافة فى صورة رؤيا أو فأل مستقار أو صلاة أو كشف عن نوايا القوى الخفية أو استحواذ حالى على أمر مستقبل حاضر فى آن واحد[1] .

وتنطوى كلمة ساحر لدى المجتمعات البدائية على فكرتين ، فالشخص الذى يشار إليه بهذه الكلمة يعتقد :

(أولا) : أن لديه القدرة أو المعرفة الكافية لممارسة الفنون الخفية .

(ثانيا) : أنه يتعاطى أكل اللحم البشرى . وهذا المعنى الثانى هو الغالب فالسحرة يقتلون ضحيتهم لكى يأكلوها .

كما أن السحر من أعظم الكبائر التى يمكن لبشرى أن يرتكبها . فهو يتساوى والقتل ، بل هو أشد منه ، لأنه يتضمن الاتهام بالقتل ، ثم يضاف إليه فكرة مبهمة من النمنمة . فالساحر يقتل الكائنات البشرية ليطعم لحمها .

كما يسود الاعتقاد أيضا فى تلك الجماعات بأن الساحر يمكنه فى أغلب الأحيان الحصول على النتيجة التى يرغب فى الوصول إليها بمجرد أن يفكر فيها دون حاجة إلى استعمال رقية سحرية أو طقس خاص .

وتساعدنا الاعتقادات المذكورة آنفا على فهم الهلع الذى يلقيه الساحر فى نفوس أعضاء الجماعات البدائية ، والحنق الذى يتجلى فى صنوف العذاب التى يصبونها عليه ، ومحاولة الهجوم عليه بطريق المفاجأة ، حينما يصممون على التخلص منه بعد فترة طويلة من التردد فى غالب الأحيان . وذلك لأن الساحر يستطيع أن يسبب شرا مستطيرا دون جهد كبير ، إذ يكفيه أن يركز تفكيره ، ويوجه إرادته نحو الشىء الذى يود وقوعه فيقع هذا الشىء حتما ،

---

(١) أنظر المصدر نفسه ، ص ١٥٦ ، ٢٣٨

وهو أقدر على ذلك من غيره ؛ فيمكنه حينئذ ، إذا أراد أن يجر الخراب والمرض والموت إلى جاره ، دون أن يضطر إلى القيام بعمل يلفت إليه نظر الآخرين ، بل دون أن يضطر إلى تحريك إصبع من أصابعه . وإزاء هذا الخطر لا يستطيع المواطنون إلا أن يتخذوا منه أحد موقفين : فإما أن يعملوا على ضمان وده وإما أن يبيدوه . وهذا هو السبب الجوهري للامتيازات التي يتمتع بها ، والتي لا يجرؤ أحد على أن يعارض فيها أو يمنعها عنه . وهو أيضا السبب في النهاية المحزنة التي ينتهي إليها في أغلب الأحيان (١) .

والواقع أن أقدم شكل من أشكال الكهانة ما يعرف في المجتمعات البدائية باسم الطبيب الساحر medicine-man الذي تتمثل قدراته في نوعين أساسيين وفقا لما قرره الأنثربولوجيون : قدرات دينية ، وقدرات سحرية .

وتعتمد القدرات الدينية على ما تقدمه الكائنات العليا الغيبية من مساعدة ، أما القدرات السحرية فيفترض أنها قدرات طبيعية .

ومن الأهمية بمكان أن نعرف أن الطبيب الساحر ، سواء تمرس بالسحر أم بالدين، فهو دائما محفوف بالاعتقاد ممن حوله بأنه قادر على أن يقدم الخير للآخرين ، أو يوقع عليهم الشر ، وأن قدراته ليست نصيبا مشتركا لسائر الناس ، بل ينفرد به وحده . فسحر الطبيب الساحر إذن يفوق كل ما تتطاول إليه أيدي الناس جميعا . فعندما يخر شخص صريع أحد الأمراض أو فريسة حادث مجهول ، فإن البدائي يسارع إلى تفسير ذلك بأن ثمة سحراً شريراً قام به عدو ضده ، وأن الطبيب الساحر وحده ، هو الذي يمكنه القضاء على الأعمال السحرية الرديئة التي حيكت ضده (٢) .

« ويذكر «ايفانز بريتشارد» (Evans Pritchard) في حديثه عن «النوير» »

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٢٧١ ، ٣٩٥

(٢) أنظر الموسوعة البريطانية ، المصدر السابق ، ص ٢٠١

أنه في العهود القديمة كان إذا مات رجل من السحر فإن أقاربه يحاولون ذبح الساحر (givan mai) رغم أن بريتشارد يذكر أنه لم يسجل حالة واحدة ذبح فيها ساحر أو قتل.

وهناك شيء جدير بالاهتمام عند النوير، وهو أن الساحر عندهم لا يستخدم سحره ضد أفراد جماعته، ولكنه يستخدمه فقط ضد الأشخاص من القرى الأخرى، لذلك فإنه ليس من السهل أخذ الثأر منه حيث أن أهل قريته سيساعدونه، ويعضدونه، لأنهم يعتقدون أن السحر ذا قيمة في حمايتهم(١).

وقد أوضحت دراسات علماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية أن السحر ظاهرة اجتماعية تسود حياة جميع القبائل التي درسوها ويؤدي لأفراد القبائل وظائف عديدة ويقول «بريتشارد» (E. Pritchard) في هذا الصدد «إنه يصعب أن ندرس جماعة من الجماعات البدائية دون أن يلمس الباحث أثر السحر في كل ناحية من نواحي حياتها فالغالبية العظمى من الأفراد يمارسون السحر لأنه ظاهرة عضوية وراثية». ويذكر «بريتشارد» في مؤلفه عن الأزاندي أن الاعتقاد السائد بين هذه الجماعات هو أن القوى السحرية تنتقل من جيل إلى جيل في الأسرة الواحدة عن طريق التوريث البيولوجي، فيرث الوليد هذه القوة عن أبيه أو أمه تبعاً لنوعه، فالرجل يورث قوته السحرية إلى أولاده من الذكور، والمرأة إلى ذراريها من البنات(٢).

وإلى جانب هذا الاتجاه العضوي القطري، نجد من يفسر ظاهرة السحر

---

(١) E.E. Evans Pritchard, The Nuer : A Description of the Modes of Livelihood and Political Institutions of a Nilotic People, Oxford University Press, 1940.

(٢) انظر: Evans Pritchard, Witchraft, Oracles and Magic Among The Azandé, Oxford 1937.

وممارساته فى المجتمعات البدائية ، على أسس سوسيولوجية ، فيذهب « نادل » (Nadel) على سبيل المثال إلى أن السحر يقوم على تلبية نواحى اجتماعية ناجمة عما يعتور الجماعة من مظاهر القلق والضغوط ، وهو يشبع نواحى متعددة ، حيوية ، واجتماعية وسيكلوجية ، بل إنه يعد أيضا وسيلة من وسائل الضبط الاجتماعى .

د — السحر عند قدماء المصريين (*) :

تقابل الدين والسحر فى أكثر من جانب من جوانب حياة المجتمع فى مصر القديمة لذلك فقد تركز السحر فى المعابد ، واعتبر علما من علوم الكهنوت الذى تخصص فيه الكهنة وحدهم ، كما أن الكثير من الطقوس الدينية ارتبطت بالسحر وتعاليمه ، وتداخل السحر والدين معا فى كتب الموتى ، والمتون الدينية ، وعلاقة « الآلهة » القديمة بالبشر .

بعبارة أخرى كان السحر عند المصريين القدماء مجرد دين تطبيقى ، كما كان يشتغل به كبار رجال الدين. وما زال هذا الاعتقاد فى قدرة بعض رجال الدين على استخدام السحر لتحقيق المآرب قائما حتى الآن (١) . وكانت نظرة الناس إلى السحرة كنظرتهم إلى رجال الدين لأن كلا منهما يمثل قوة إلهية.

وقد ذكر عالم الآثار سليم حسن فى معرض حديثه عن تغلغل السحر فى الكهنوت فى مصر القديمة « إنه من العبث أن نبحث إذا كان السحر وليد الدين ، أو الدين وليد السحر ، فالاعتقادان قد ظهرا فى ميدان واحد ، أملاها

(*) يهمنا أن ننبه القارىء أن اهتمامنا بهذا الجزء يرجع إلى صلته الوثيقة بالسحر فى مجتمعنا المصرى المعاصر ، ووجود تشابهات كثيرة فى المعتقدات السحرية الحالية ، وتلك التى كانت فى مصر القديمة ، وتأثير ذلك فى موضوع التغير الاجتماعى والسحر .

(١) Max Muller, Egyptian Mythology, London 1924, p. 198.

مظهر العالم وظواهر الطبيعة . وقد ارتبط السحر منذ نشأته بأساطير الخلق ، خلق الحياة والوجود ، والعوامل المكونة لهما ، والقوى المحركة والمسيطرة عليهما . وقد نسب قدماء المصريين السحر ونزوله على الأرض إلى الإله « تحوت » إله العلم والمعرفة وحامل العلامات الإلهية ، والمعبود القمرى لمدينة هرموبوليس ، أول من أنزل كتب السحر المقدسة ووضع طلاسمه الباهرة فأنزل الحرف والنطق والكلمة ، وكل منها تمثل قوة لها تأثيرها وفاعليتها ، وفى كل منها وضع سرا من أسرار الكون والوجود . فالخالق خلق الأشياء بنطق أسمائها ، وعلم مخلوقاته النطق للتعارف والتخاطب ، والحرف أو الرمز أو الصورة[1] .

إن تلك البردية من برديات تحوت (هرمس) فى الحرز الخاص بأسرار الكون « تفسر الكثير من تقسيمات السحر ووسائله ، فارتكزت العقيدة فى السحر فى أن لكل من الحرف ، والاسم والنطق ، طاقة سحرية لها فاعليتها منها قوى الخير ، ومنها قوى الشر ، فأسماء الآلهة والمعبودات مثلا وذكرها فى الدعاء أو ترديدها لها أثر سحرى فى مد الإنسان بقوى الخير وحمايته ، أو حفظه من قوى الشر .

فالسحر وعناصره ، وطقوسه ، تعتمد على تلك « الهبات المقدسة الثلاث» التى وهب الساحر القوة الخارقة فى كيفية استخدامها سواء فى التعاويذ ، أو الطلاسم والتمائم ، أو فى الرقى والأحجبة ، والطقوس ، وغيرها مما عرف من طرق السحر ووسائله[2] .

---

(١) سيد كريم « ، السحر والسحرة عند قدماء المصريين » ، الهلال ، العدد الأول يناير ١٩٧٥ ، ص ٤٨

(٢) المصدر نفسه ، ص ٤٩

ولم يكن السحر فى حد ذاته مكروها فى مصر القديمة ، ما دام يستعمل لأغراض طبية كشفاء الأمراض ، ودفع شر العين الشريرة التى كان الناس يخشون أضرارها . والحق أن الساحر الذى كان يستطيع دفع شرها ، كان محبوبا من الشعب . وعلى النقيض من ذلك ، كان أشرار السحرة يجلبون المرض والموت لاعدائهم بتعذيبهم وقتلهم فى صورهم أو تماثيلهم[١] (in effigy) .

وكانوا يعتقدون أن مايفعلونه بهذه الصورة المرسومة ، أو بهذه التماثيل الصغيرة يحدث بالفعل ، وفى الوقت نفسه ، لاعدائهم ، فيتعذبون أو يلقون حتفهم . وعلى الرغم من معاقبة من كان يسىء استخدام السحر ، فإن السحر الاسود كان شائعا ، وذلك يدعونا إلى الاعتقاد بأن المصريين القدماء كانوا يلجأون إلى القوة الروحية فى صورها المختلفة ليضروا خصومهم بها[٢] .

وكان السحرة المصريون يستندون فى سحرهم على النظرية القائلة بأن كل جزء من جسم الإنسان يعبر عن جزء من شخصيته ، فشعره وأظافره ، وملابسه واسمه الذى يلصق به من المهد إلى اللحد ، وصورته وأى شىء من أثره إنما يحمل بعضا منه .

ولهذا جرت العادة عند قدماء المصريين أن يطلقوا على كل طفل وطفلة عند ولادته اسمين أحدهما الاسم الكبير وهو الاسم الرسمى له ويبقى سرا مكتوما عندهم لايعلمه إلا والداه ، والاسم الصغير الذى يعرف به بين أصدقائه وأقاربه ، وينادى به فى كل مكان ، وكانوا يحرصون تماما على عدم إذاعة هذا الاسم الكبير خوفا من استخدامه فى السحر لذريتهم[٣] .

---

(١) ماكس مولر ، المصدر السابق ، الصفحة نفسها .

(٢) حسن الساعاتى ، علم الاجتماع القانونى ، ١٧٨ ، ١٧٩

(٣) أنظر محمد جعفر ، المصدر السابق ، ص ١٩ .

وقد ذكر « ماسبيرو » أن مدارس السحر وجدت من أقدم العصور بجانب مدارس الكهنوت في بيوت الحياة الملحقة بالمعابد . ويعود بعضها إلى ماقبل الاسرات كجامعة أون (عين شمس) . وكان ملوك الفراعنة وخاصة في الدولة القديمة يعدون من مفاخرهم وضع تلك المدارس تحت رعايتهم وشملها بعنايتهم، وبلغ من تعظيم كل من «سنفرو» ، «وخوفو» ٢٨٦٠ ق.م أنهما ضما إلى ألقابهما لقب (رئيس السحرة) .

وكان الطالب الذى يكرس حياته لدراسة السحر ، ويحصل على درجات النبوغ والتفوق التى تؤهله لحمل لقب « شرحب » أى الذى أتم الاطلاع على الكتب الإلهية وعرف أسرار الكون ومنحه الإله تحوت السيطرة على القوى المحركة للوجود وإخضاعها لصالح البشر ، ودفع عناصر الشر ، كان لا يحمل هذا اللقب إلا إذا اختبر أمام فرعون وأقر له بالكفاءة وسمح له رسميا بمزاولة السحر .

ومن أشهر بيوت الحياة التى كانت تدرس السحر فى مصر القديمة كل من جامعات ومعابد : أون (عين شمس) ، وابيدوس ، وخنت مين (إخميم) وسايس ، وطيبة وسيوة . ثم ظهرت مدارس الاسكندرية ، ودندرة فى عهد البطالسة ، ومدارس الآلهة إيزيس التى اعتبرت فى ذلك الوقت حامية السحر وأطلق عليها الرومان اسم (ربة السحر ، ومعبودة السحرة) .

وقد كان للسحرة مركز مميز ، ومكانة خاصة فى كل من الدولة القديمة وخلال الأسرات الثانية عشرة والثامنة عشرة ، وتقلد بعض السحرة المعروفين أعلى مناصب الدولة ، وأصبحوا مستشارين لفرعون ، وأعضاء فى مجلس الحكماء ، كما كان الكثير من كبار الكهنة ، والعلماء والأطباء يحمل لقب ساحر بجانب مهنتهم الأصلية .

ومن الأهمية بمكان أن نذكر أن السحر فى مصر القديمة لم يقتصر على السحرة من الرجال فقط ، بل كان لبعض النساء دراية تامة بالسحر والاتصال بالأرواح ، كما أن بعضهن حملن لقب « عرافة المعبد » . وقد دخلت التاريخ أسماء الكثيرات منهن أمثال ميليت ، وأنهاى ، وروى . وبعضهن كن أميرات وملكات .

وقد ذكر «ديودور الصقلى» أن بعض الملكات تعلمن السحر من الكهنة وتخصصن فيه ، وأن الملكة كانت تجلس بجانب الملك على العرش وتلازمه فى زياراته للمعبد محافظة عليه من السحر المضاد وهو ما يظهر فى بعض الرسوم والتماثيل عندما تظهر الملكة وهى تضع ذراعيها على كتف الملك ، أى خلف ظهره لتحميه من أعداء الخفاء ، بينما تحميه الكوبرا أو الأفعى التى تتصدر تاجه وجبهته من العين الشريرة والأعداء المواجهين له(١) .

ولقد تخصصت كل مدرسة من مدارس السحر فى مصر القديمة فى نوع معين من السحر ،وما يرتبط به من معجزات يحتفظ بسرها الساحر الأعظم أو رئيس الكهنة . فاشتهر معبد زايس « صالحجر » بسحر الأفاعى وفى مقدمته تحويل العصا أو حزام الوسط إلى أفعى بعد إلقائها على الأرض ، وقراءة التعاويذ السحرية عليها . كما كانت لهم قوة السيطرة على الأفاعى بالتعزيم عليها حتى تأتمر بأمرهم فيخرجونها من جحورها ، ويبطلون من فاعلية سمومها أو يوجهونها إلى أى مكان يريدون لتنتقم من أعدائهم . وكانوا يعدون الأفاعى نوعا من الجن الذى يتشكل بشكل الأفعى .

ومعبد زايس المذكور هو الذى تعلم فيه سيدنا موسى ، ودرس اللاهوت

---

(١) أنظر سيد كريم ، المصدر السابق ، ص ٤٩ : ٥١

والحكمة وفاق بمعجزته بقية السحرة أمام فرعون عندما ألقى بعصاه فتحولت إلى أفعى أكلت أفاعى بقية السحرة .

كما اشتهر كهنة أهناسيا بمعجزات ما أطلق عليه سر الأحلام ، وقراءة الغيب والوساطة والاتصال الروحى عن طريق الأحلام . وتحوى برديات « تورين » الكثير من صفحات كتب سحر الأحلام وكتاب مفتاح الأحلام .

وفى هذا المعبد درس سيدنا يوسف الرياضيات والفلك وعينه فرعون كاتبا بالقصر ، وأمينا على المخازن ، بعد نبوءته المشهورة فى تفسير الأحلام(١) .

ولقد سيطر السحر على المصريين القدماء كسيطرة العقائد الدينية نفسها ، فكانوا يستعينون به فى شئونهم الدينية والدنيوية معا ، كما كانوا يستعينون به فى مختلف أحوال حياتهم ، وقد مارس السحرة جميع أنواع السحر بمختلف صوره التى عرفها العالم القديم أو المتداول منها حتى الآن ابتداء من التعاويذ والطلاسم ، والتعزيم ، وكتابة الأحجبة بأنواعها ، ومزاولة الطقوس السحرية والروحانية ، والرقى وسحر التمائم ، كما مارسوا تحضير الأورواح بجانب ما اشتهروا به من الربط بين الفلك والسحر والتنجيم وقراءة الطالع والبروج السماوية وألواح المصير وقراءة الكف وكشف الغيب عن طريق «وعاء حورس القدس » . وهو وعاء كان يملأ بالماء ، ويغطى بطبقة من الزيت يتلو عليه الساحر تعاويذه الخاصة فيظهر الإله حورس على شكل ضوء على سطح الزيت،

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٥٤

وينعكس على سطحه صور ما يسأل عنه من خبايا وأسرار . وهو ما يطلق عليه اليوم اسم (المندل .

ومن معتقدات السحر عند قدماء المصريين أن لكل آدمى قرينا من الجن ، يلازمه فى الحياة ، ويتبعه فى الموت ، ويسمى باللغة المصرية القديمة (كا) وكان يرمز له بذراعين مرفوعين . فالدنيا وفقا لعقيدتهم ، مليئة بقوى الأرواح المؤثرة ، ويجب على الإنسان اتقاء ما يخشاه فيها من مختلف أنواع الشر ما استطاع بنفسه أى بقوة إيمانه ومناعته ، أو بمعونة الغير فى مقاومة ، ومطاردة ما يهدده أو يحل به .

وقد نصت برديات السحر فى الدولة القديمة على وجود الجان وعلاقتها بالبشر ، وملازمتها للسكان فى بعض الأحيان ، وما يمكن عمله لإرضائها واتقاء شرورها[1] .

وقد عرف المصريون القدماء نوعين من السحر : سحر مشروع ، وآخر ممنوع ومخالف للقانون . وقد اعتقدوا أنه بواسطة السحر يمكن تنظيم الحياة والآخرة ، ويمكنهم بواسطته كذلك الحصول على ما يرغبون، وأن يخضعوا القوى الطبيعية لهم وكان السحر المشروع يستهدف وقاية الناس من الأخطار التى تهددهم ، كالحيوانات المفترسة والأمراض ونحوها . كما تسلح المصريون القدماء بالتعاويذ والتمائم التى كانت تؤدى بصحبة طقوس دقيقة

ويحتل السحر ركناً كبيراً فى النصوص الدينية التى خلفها قدماء المصريين ولعل من المستحيل تقريبا أن نميز عندهم بين الترانيم والصلوات من جهة ، وبين التعزيمات والصيغ السحرية من جهة أخرى . هذا بالإضافة إلى أن

(١) المصدر نفسه ص ٥٢

كثيراً من المركبات الطبية كانت مشفوعة بألغاز سحرية[١] .

وكان المصريون القدماء يعتقدون أن كل داء من أعمال الأرواح الشريرة التي تتسلط بقواها الخبيثة على الأجسام فتصيبها بالأمراض . وهذه القوى الخبيثة عند مقابلتها بالتأثيرات الأقوى تنهزم أمامها وتخرج من الجسم، فيشفى المريض . وقد اعتمد السحر كوسيلة من وسائل العلاج على التأثيرات الروحية التي كانت نواة الطب النفسي الحديث .

وكان السحر من العلوم المعترف بها وتدرس في مدارس المعابد ، أو مايطلق عليها بيوت الحياة بجانب الطب والكهنوت ، ويحمل الساحر الذى يصرح له بمزاولة المهنة شهادة ولقبا من المعبد ، ولا يسمح له بمزاولة المهنة بدونهما .

وكان كثير من كبار الأطباء يدرسون السحر بجانب الطب ، ويحملون لقب ساحر بجانب مهنتهم . وكان لكتب السحر وبردياته مكتبات خاصة ملحقة بالمعابد ، وكثير منها مرتبط بكتب الطب والدين . وقد اشتهر كهنة معبد منف بالذات بالجمع بين الطب والسحر بطريقة العلاج التي تجمع بين استعمال العقاقير الطبية المعروفة ومتابعتها نفسيا بالسحر والتعاويذ التي تعطى للدواء فاعليته وتأثيره بأمر الإله « تحوت » الذى يعد إلها للمعرفة والسحر والطب في آن واحد[٢] .

وقد اتجهت العقائد المصرية القديمة إلى ربط كل جزء من أجزاء الجسم بالإله الذى يؤثر على هذا العضو ، فإصابة بعض أعضاء الجسم أو سلامتها في

(١) أنظر سيد كريم ، المصدر السابق ، ص ٦٥ ، ٦٦

(٢) Lynn Thorndike, A Short History of Civilization, p. 46-51.

هذه العقائد وقف على هذه الآلهة . وهكذا ترى الإنسان قد أصبح يمثل نظاما مصغرا للكون ، وارتبط بالآلهة التى صارت تمثل بدورها أجراما سماوية ، وكأن الإنسان بأعضائه وعلى الرغم من ضآلته ، يصور نظاما مصغراً للكون .

فالوجه الثالث من برج الجوزاء — حسب بعض المخطوطات القديمة — يؤثر على آلام العضلات ، والوجه الأول من برج السرطان يؤثر على أمراض الأوردة والشرايين ، والوجه الثانى من برج السرطان يؤثر على الرئتين ، والثالث منه يؤثر على أمراض القلب وهكذا[1] .

وقد خلف المصريون مخطوطات كثيرة عن الوسائل السحرية، والوصفات التى تشبه إلى حد بعيد التعاويذ لعلاج الأمراض .

فإذا نظر إلى المرض على أنه من فعل روح شريرة دخلت الجسم ، يركز السحر عليها إما بالأمر ، حين يقال لها : « اخرجى يا كاسرة العظام ، يامقسللة إلى الشرايين أو بادعاء عدم الإذعان للروح الضارة : فى أحد المخطوطات التى كتبت على ورق البردى تحت عنوان الأقسام السحرية للأم والطفل ، وقد نشرها ماسبيرو ، جاء ما يأتى :

« اختفى أيتها الميتة التى تعيش فى الظلام . . اختفى قبل أن تشرعى فى فعلك الردىء . فإذا جئت لتقبلى هذا الطفل فسوف أمنعك من تقبيله . وإذا أقبلت لتسكتى صراخه ، فسأمنعك من إسكاته ، وإذا حضرت لخطفه فسأمنعك من اختطافه ، فلقد نثرت التعاويذ ضدك مستخدمة فى ذلك الخس المطعم بالثوم الذى تكرهين رائحته ، واعتمدت أيضا على الشهد الذى يبعد الموت

(١) أنظر سعد الخادم ، الفن الشعبى والمعتقدات السحرية ، ص ٦٦

عن الإنسان ، كما استعنت أيضا ببكرة خيط فاختفى أيتها اللعينة قبل أن تحقق أغراضك[1] » .

وتشبه هذه الأقسام السحرية كثيرا ما ورد بالرقى الشعبية فى مصر حتى أواخر القرن الماضى ، فهذا نص يكاد يطابق النص الفرعونى الذى ذكرناه آنفا :

« ... ومن عين الجارة الساحرة المكارة التى تحش للجارة بالسحر والنكارة ، وتقول لها يا جارتى إنت من الله شاكرة ، انت من الله حامدة ، بيتك اللى عمر ، وولدك اللى كبر ، ماخرجت هذه اللعينة من دار المسكينة إلا لما صحبتها حزينة ، خربت القصور ، عمرت القبور ، ويتمت الأطفال بعينها الردية الخائنة المؤذية ، تنبح كالكلاب على حجرها ولد ، وفى يدها حربتين تعوى عواء الذئاب ، وتصهل صهيل الخيل ، فى ظلام الليل . قال لها : خزيتى من الله . عميتى يا كلبة يالعينة — ماشأنك وجارتك، ترمى نيرانك وسحرك على الخيال فى ركبته والعروسة فى جليتها ، والصبية فى خبيتها ، خليتى أمه تبكى وتنوح ، من قلب مجروح ، وأبوه يبكى ويئن من كل قلب حزين . إيفاس إيفاس — مافيك ياعين منافع للناس . واحطك ياعين فى قمقم نحاس واسبكه عليك ياعين بالزئبق والرصاص ، وارميك ياعين فى بحر غطاس ، ما تلتقى ياعين ملجأ ولا خلاص . عزايمى للصغير النايم والشاب المكدود ، والصغير المولود[2] » .

وأحيانا يتقى المصريون القدماء شر المرض ، بذكر اسمه كأن يقال : إنى أعرف اسمك . ألست أعرف اسمك ؟ وكانت معرفة الأسماء تمنح لمن يعرفها قوة التحكم فى أصحابها .

(١) A. Castiglioni, Incantation et magie, Paris, Payot 1951-

(٢) سعد الخادم ، المصدر السابق ، ص ٦٨

وفى بعض الأحيان كان المصرى القديم يعمد إلى تهديد الروح المؤذنة بالشر أو الأذى « أيتها الروح — أذكر كنت أم أنثى — اختفى ياسا كنة لحى هذا . أخرجى من لحمى هذا . أخرجى من أعضائى هذه ، لقد أحضرت لك هذه الفضلات لتأكليها .. فاحترسى واختفية واهربى .. »

أو يهدد المرض قائلا : « انصرف يا ابن الزكام الذى يكسر العظام ، ويهشم الجمجمة ، ويصب المرض فى فتحات الرأس السبع » [دموع العينين ، مخاط فتحتى الأنف ، ألما فى الأذنين ، التهابا فى الفم] . وكان دواؤه لبن امرأة وضعت ذكرا ، وصمغ ، الخ ، وما تزال نساؤنا فى مصر تصفن لملاجه اللبن واللبان والعسل والملطفات[1] .

كما كان المصرى القديم فى أحيان أخرى يتقى شر المرض بادعاء الصحة والمناعة من المرض كأن يقول « إنى سليم .. كيف أصاب وأنا سليم البدن؟ لقد شاهدت الكارثة الفادحة ولكنها لم تصبنى بأذى ، أنا الذى خرجت من هذه الكارثة سليما معافى » .

وقد يتجه المصرى القديم إلى الآلهة لطلب تدخلها فى الأمر ، إما بأن يطالب صراحة بطرد الأرواح الشريرة .. « السلام عليك يا حورس يا أيها الموجود فى بلد المثلث ، يا حاد القرنين ، يا بالغ الهدف ، إنى قصدتك لأمدح جمالك .. ألا فلتقض على الشيطان الذى يتملك جسدى » ، أو بأن ينتحل ذات الإله كما ورد فى التعويذة الآتية : [أغربوا ياشياطين المرض ، لن يصبنى الهواء .. اننى (حورس) الذى يمضى فى طريقه أمام (سخمت) ولن أموت بسببك] أو أن يمنح كل عضو من أعضاء المريض صفة إله من الآلهة) إن قمة رأسك هى رع ، وقفاك هو أوزيريس ، أذناك حيتان ، ذراعك حورس ،

(٢) بول غليونجى ، طب وسحر ، ص ٩٠

صرتك نجم الصباح ، وإنما كل عضو فيه إله ، وكل إله يحمى اسمك ، وكل مافيك ..) ونرى أهمية معرفة الاسم فى الفقرة : (وكل إله يحمى اسمك) ولا غرابة فى منح كل عضو صفة إله ، فقد كانت هنالك نظرية تشريحية سادت الفكر الطبى حتى القرون الوسطى ، تقول بأن لكل عضو علاقة بفلك ، وعنصر ، ومعدن معين ، ومن العجيب أن أثر هذه الرمزية لا زال باقيا حتى اليوم فى أسماء أجزاء الجسم ، مثال ذلك جبل الزهرة ، وفقرة أطلس .

أما طرق استخدام التعاويذ فكانت متباينة ، فمنها ما كان يستخدم بمصاحبة علاج ، ومنها التى كانت تتلى فى أثناء تحضير الدواء ، فتضيف إلى تأثيره ، أو تضفى على محتوياته صفة الدواء ، ومنها التى كانت تتلى على الشخص المعوذ ، أو على (حجاب) مكون من قاش أو خيط معقود ، أو ريش طير ، أو شعر حيوان .. إلخ ، هذا الحجاب هو الذى كان يحمل قوة التعويذة فينقلها من الساحر إلى المريض ، دون استخدام دواء ما[1] .

وتعد التمائم والأحجبة العنصر المادى فى فاعلية قوى السحر لدى قدماء المصريين ، وكانت فى نظرهم الواسطة التى تنقل التأثيرية الفعالة لحماية الإنسان فى حياته الدنيوية ، وفى رحلته فى العالم الآخر أو الحياة الأبدية .

وقد كانوا يحملونها وهم أحياء ، ويضعونها على أجساد الموتى اعتقاداً منهم بأن لها من القوى السحرية مايدفع عنهم الأرواح الشريرة ، بل وتجلب لحاملها الحظ السعيد والحياة الهانئة ، وتحمى مختلف أعضاء الجسم .

وكان للتمائم المقام الأول فى نفوس المصريين القدماء ، فوضعوها على أعتاب المنازل ، وتحت أعتاب الأبواب ، أو داخل حجرات البيت ، وكانوا

---

(١) أنظر سيد كريم ، المصدر السابق ، ص ٣٣ ، ٣٤
وأنظر ما قبل ، ص ١٦

يضعونها فى أماكن نومهم ، وتحت وسائد رءوسهم أو فى أماكن ممارسة أعمالهم اليومية ، كما صنعوا منها وسائل زينتهم ، فكانت المعلقات التى تتوسد الصدور ، أو تتدلى حول الأعناق ، أو تتوج لباس الرأس .

والتمائم إشارات رمزية اصطلاحية ، لكل منها تعبير خاص ، وتقوم كل منها بأداء دور معين . فبعضها يمثل رموزا هيروغليفية تدل على صفات معنوية كالحياة ، والقوة ، والسعادة ، والبقاء ، والثبات ، والاتزان ، والحكمة ، والجمال ، وهى الصفات التى كان يستحب التمتع بها ، وبعضها الآخر يمثل تماثيل الآلهة ، وما تملكه الآلهة من قوة سحرية تخصصية يستجيب كل منها لدعاء معين ، ويلبى طلبا خاصا .

وللمادة التى تتألف منها التمائم علاقة بقوة فاعليتها ، فالذهب معدن يرمز إلى البقاء ، وهو سلطان المعادن ، ومنه تصنع عادة التمائم التى تمثل الآلهة ويلى الذهب فى المعادن البرونز الذى يرمز إلى الصلابة والقوة الدائمة . وكانت التمائم تصنع أيضا من الأخشاب المقدسة كالبلسم والأبنوس أو العاج ، والعظم ، والفخار والقيشانى ، وكذلك من مختلف الأحجار الكريمة ، ونصف الكريمة .

وكان للالوان دورها التأثيرى السحرى بالنسبة للتمائم ، فاللون الأخضر لتمائم الصحة والشباب ، والأزرق لمنع الحسد وطرد الأرواح الشريرة ، لذا كان الكف الحارس (الخمسة والخميسة الآن) وأوزات (العين المقدسة) ـ تصنع من القيشانى الأزرق اللامع ، أو حجر الفيروز ، واللون الأبيض للطهارة والاخلاص ، واللون الأسود لجلب الحظ والخير ، واللون الأحمر لتمائم الشر .

أما الأحجبة فكانت فى الغالب ، من لوحتين صغيرتين من الخشب

بكتب فى داخلها صيغ وتماويذ خاصة ، أو تحفظ بينها أوراق من البردى والنسيج تحمل مجموعة من الرموز والطلاسم السحرية . كما كانت بعض الأحجبة تصنع من جلود الحيوان . وكانت تكتب بالحبر الأسود ، أما الحبر فيستخدم لرموز الشر .

وكانت الأحجبة تلف برباط سبع لفات ، أو تعلق بخيط به سبع عقد . كما كان بعضها يثبت حول الجسم أو العضو بنسيج من شباك الصيد لطرد الأرواح الشريرة ومنعها من الوصول إلى الجسم[١] . وما زال الكثير من تلك المعتقدات وطقوسها فى مصر القديمة ، متداولا حتى الآن ، عند عامة الشعب المصرى[٢] .

ولقد ذكر ابن خلدون فى مقدمته « وكان للسحر فى بابل ومصر أزمان بعثه موسى أسواق رائجة ولهذا كانت معجزة موسى من جنس ما يدعون ويتنازعون فيه وبقى من آثار ذلك فى البرارى بصعيد مصر شواهد دالة على ذلك[٣] .

والحقيقة أن الديانة المصرية القديمة كانت على خلاف الديانة البابلية كلفة بإحراز السعادة فى الحياة الأخرى ، بينما كانت الثانية تسعى أكثر ما تسعى إليه إلى الرخاء فى هذه الدنيا . وعلى الرغم من أن السحر وكشف الغيب لم يكونا وقفا على بابل ، فقد ترعرعا هناك أكثر من أى مكان آخر[٤] .

ونقل يهود مصر السحر عن قبطها ، وما زالوا يعملون به ويتفننون فى

---

(١) أنظر سيد كريم ، المصدر نفسه ص ٦١ : ٦٥

(٢) أنظر البحث الميدانى

(٣) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ٤٩٩

(٤) أنظر ثورنديك ، المصدر السابق ، ص ٥٨

أساليبه ، وقد نقلوه إلى بلاد العرب ، وعند ظهور الإسلام كان بعض العرب ومعظم اليهود يعملون بالسحر حتى أن اليهودى (لوسهادس) عمل سحرا للرسول (صلعم) فى شكل خيط من الدوبارة، كان يعقد بها عقدا على أبعاد متساوية ثم ينفث فى هذه العقد ، وهو يتلو كلماته السحرية ، كما صنع تمثالا من الخشب يمثل الرسول (صلعم) ورشقه بالإبر ثم رماه فى أحد الآبار . ونزلت بهذه المناسبة (سورة الفلق) وتمكن الرسول عليه الصلاة والسلام ، من استخراج السحر من مكانه وإعدامه ، فبطل وفسد عمله[1] .

ومن سوريا ومصر ، وبابل ، وفارس ظهرت فئة من رجال الدين فى تميز وانفصال عن باقى أفراد الشعب ، وصار لأفرادها قدرات سحرية على نحو أو آخر . وقد صارت هذه الفئة قادرة على التأثير فى مجرى السياسة . ولقد كان لأفراد هذه الفئة فى مصر وبابل بصفة خاصة نفوذ يفوق نفوذ الملك نفسه أحيانا عندما كان يصطدم بهم . فقد هزموا أخناتون عندما اعتبروه (ملحدا) ، كما أنهم تآمروا فى بابل لإيقاع الهزيمة بها ، وذلك باتفاقهم ومساعدتهم لسيرس Cyrus ، عندما أبدى ملكهم ميلا معارضا لرجال الدين[2] .

(هـ) السحر فى الهند القديمة :

أما فى الهند فإن السحر كان — ومازال — يتخلل الاحتفالات المحفوفة بالمهابة وهى احتفالات دينية . والأعمال السحرية الأساسية هناك تتشكل من صيغ تقال همسا وتسمى mantra ، وتمارس ليلا . أما أدوات السحر فهى

---

(١) أنظر محمد جعفر ، المصدر السابق ، ص ٢٠
وأنظر أيضا ما بعد الفصل الرابع من كتابنا ص

(٢) أنظر B- Russell, History of Western Philosophy, p. 23

متباينة ومتعددة منها بعض النباتات ، وبعض المراهم ، وبعض الأشياء المتعلقة بالموتى .

ويستهدف السحر في الهند أهدافا كثيرة متباينة كضمان الحب ، والشفاء من الأمراض ، وإخراج الأرواح من الممسوسين إلى غير ذلك . وتلتقى الأعمال النسكية الخاصة باليوجا في نقط كثيرة بالأعمال السحرية بالهند[1]

وتتضمن لغة [الأثار فافيدا] (Atharvaweda) كثيرا من عادات الشعب الهندى القديم ، وكثيراً من التعاويذ والرقى التى تستخدم ضد الأمراض ، وضد الأعداء ، والوحوش ، والجن . كما أنها تحتوى على تعاويذ ورقى تضمن السلام ، والعمر المديد ، والحظ السعيد

ومن الطقوس السحرية التى كان ينبغى مراعاتها ، في الهند القديمة أن الزوج الذى يرغب في إنسال طفل ذكر ، فيجب عليه أن يدلك أنف زوجته بمسحوق من فروع شجرة الأثاب[2] .

أما الطقوس السحرية المتعلقة بالزراعة في الهند القديمة فيما بين ٣٠٠ ، و ٤٠٠ ق . م فإنها أكثر من أن تعد أو تحصى وقد احتل العرافون مكانة سامية بين الموظفين الرسميين بالقصر الملكى . وقد تأثرت منطقة غرب أوربا بالثقافة الهندية المتعلقة بالسحر ويتضح ذلك في انتشار كتاب [سر الأسرار] (Secret of Secrets) الذى قيل أنه أكثر الكتب ذيوعا بالعصور الوسطى ، وقد زعم الأوربيون خطأ أن أرسطو هو الذى كتبه للإسكندر الأكبر[3] .

---

(١) انظر يوسف ميخائيل أسعد ، السحر والتنجيم ، ص ٨٧

(٢) أنظر ثورنديك ، المصدر السابق ، ٢٢٢ ، ٢٢٣

(٣) المصدر نفسه ، ص ٧٣١

و ـ السحر عند اليونان القدماء :

كان لظهور الإسكندر الأكبر باليونان ، والفترة القصيرة التي استمر خلالها ، أكبر الأثر في تحول العالم اليوناني . فخلال السنوات العشر من ٣٣٤ إلى ٣٢٤ ق . م ، هزم الاسكندر كلا من آسيا الصغرى ، وسوريا ، ومصر ، وبابل ، وفارس ، وسمرقند ، والبنجاب .

وقد حطم الإسكندر الأكبر الإمبراطورية الفارسية ، وقد كانت أعظم إمبراطورية عرفها العالم ، وذلك خلال ثلاث معارك ، ولكن على الرغم من أن اليونان قد هزمت فارس ، فإن فارس بدورها استطاعت أن تنشر ثقافتها وغيبياتها القديمة باليونان ، فانتقلت إليهم ثنائية زرادشت التي تتصور العالم كميدان معركة بين قوتين كبيرتين : أحداهما قوة الخير بقيادة أهورا مازدا ، والثانية قوة الشريعة بقيادة اهريمان . كذلك انتقلت إليهم بعض المعتقدات الهندية ، حيث كانت البوذية في طريقها إلى السيطرة على قلوب الهنود[1] .

ويرى « برتراند رسل » أن اليونان تعلموا التنجيم لاول مرة في عهد الإسكندر الأكبر ، على يد رجل كلداني اسمه بيروسوس (Berosus)[2] .

ز ـ السحر عند الرومان القدماء :

عاش أباطرة اليونان الوثنيون في رعب من السحر ، واتخذوا إجراءات تحميهم منه . وفي القرن الثاني الميلادي اتهم لوكياس أبو لياس (Lucius Apulus) مؤلف الرواية الشهيرة حــول السحر المسماة الحمار الذهبي

---

(١) أنظر رسل ، المصدر السابق ؟ ٢٤١ .

(٢) المصدر نفسه ، ٢٥٠ .

(The Golden Ass) بممارسة السحر الشرير اللاأخلاقى . وكان المتمرسون بالسحر يعدون مشعوذين ويحاكمون ويعاقبون[١] .

والواقع أن انتصارات روما قديما جعلت العالم الغربى على ألفة بالسحر وتعاليمه وأيضا بالتنجيم . ففى روما كان المجال متسعا أمام كل نحلة وأمام كل ساحر ومنجم لتقديم نفسه ، ونشر تعاليمه ، وكان بعض هؤلاء يحظى بمكانة رفيعة فى الدوائر الحكومية . وفى روما كانت شهرة الكلدانيين ذائعة فى مضمار السحر ، وكان من المعروف أن أسرار السحر والتنجيم فى حوزتهم وإن كانت ترجع فى الواقع إلى المجوس[٢] .

(١) الموسوعة البريطانية ، المصدر السابق ، مجلد ١٤ ، ص ٥٧٠

(٢) أنظر رسل ، المصدر السابق ، ص ٣٠٢

الفصل الثانى

المفهومات الأساسية، والمرتبطة بالسحر

تمهيد

نتناول فى هذا الفصل مفهومات السحر الأساسية ، فنشرح مفهوم السحر فى اللغة العربية أولا ، ثم نوضحه من وجهة نظر القرآن الكريم ، والشرع الإسلامى ، ثم نفصل معنى مفهوم السحر من المنظور السوسيولوجى ، والأنثروبولوجى ، والسيكلوجى . كما نتناول فى هذا الفصل أيضا مفهومات السحر المرتبطة به وأهمها الخرافة ، والتفكير الخرافى ، والعرافة ، والكهانة والشعوذة. وفى النهاية نتعرض لمفهومات بعض الوسائل والإجراءات السحرية الهامة مثل التعويذة ، وقياس الأثر ، والحجاب ، والعمل ، والمندل والاستخارة ، والتحويطة .

أولا : المفهومات الأساسية للسحر :

ا — مفهوم السحر فى اللغة العربية .

السحر فى اللغة العربية ، كل أمر يخفى سببه ويتخيل على غير حقيقته ويجرى مجرى التمويه والخداع ، وكل مالطف مأخذه ودق . والساحر يطلق على الذى يقوم بهذه الأعمال : وسحره بالشىء سحرا أى خدعه ، وسحر

الشيء عن وجهه أي صرفه وسحره بكذا أي استماله وسلب لبه . يقال : سحرته بعينها ، وسحره بكلامه . وسحر الشيء أي أفسده [١] .

« والساحر بصفة عامة فهو الشخص (سواء كان رجلا أو امرأة) الذى يقوم بأعمال السحر سواء كان محترفا أم هاويا بقصد ضرر غيره (سحر أسود (Balck Magic) أو فائدته (سحر أبيض (White Magic ، ولما كانت الوسائل والطرق والمواد التى يستعملها الساحر فى عمله كلها غامضة مجهولة فإنه يمكن أيضا بواسطة هذه الوسائل والمواد الكشف عن الكنوز المخبأة أو رصدها أو إخفائها ، كما يمكنه بنفس الوسائل والمواد الكشف عن حوادث الماضى والحاضر والمستقبل .

ولم نجد فى اللغة العربية أى لفظ يقوم مقام كلمة (الساحر) ويؤدى معناها تماما بعكس اللغات الأجنبية ففيها ما يزيد عن العشر كلمات وكلها تعنى كلمة (الساحر) ومنها Sorcer — Satanist — Magician — Wizard Demonist — Enchanter — Conjurer — Worlock — Sybil — Witch — Bedlam.

والثلاثة الأخيرة منها (تطلق على الساحرات الإناث فقط . ونلاحظ أن بعض هذه الكلمات مثل كلمة (Demonist و (Satanist) تحمل معنى كلمة (الشيطان) وذلك للصلة المتينة بين الأخير والساحر .

« هذا وأول كلمة أطلقت على الساحر فى اللغة الأجنبية هى كلمة (Magician) المشتقة من الأصل اللاتينى (Magus) وتعنى الرجل الشاطر الحاذق الأريب وكان أمثال هذا الرجل الأريب فى الزمن الخالى هم قادة الفكر

---

(١) المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، الجزء الأول ، ص ٤٢١

والعلم والمعرفة يفيدون بحكمتهم وعلومهم ويستفيدون .. وكانوا موضع احترام وتقدير جميع الطبقات يقربهم إليهم الملوك والنبلاء ويغدقون عليهم الهبات والعطايا . وبمضى الزمن ثارت النفوس الخبيثة على هذه الفئة القليلة واندست فى زمرتهم وتداخلت فى علومهم وتعاليمهم وادعوا العلم عن جهل وضلالة ، وانقلب (Magus) الرجل العاقل الحكيم إلى (Magician) وهو الساحر الخبيث المؤذى ومن هذا العهد صارت هذه الكلمة الأخيرة وقفا على طائفة السحرة » (١)

ويرى بعض الباحثين ضرورة التفرقة بين مظهرين للسحر مظهر يستخدم فيه الساحر طقوسا وممارسات سحريه ويطلق عليه مصطلح (magic) ومظهر يتمثل فى قوة غامضة تعتقد بعض الجماعات البدائية أن أفرادا معينين يمتلكونها وهى قوة فطرية Innate power متوارثة عن الأبوين أو أحدهما وهى التى تطلق عليها مصطلح Witchcraft (٢)

ب — مفهوم السحر فى القرآن الكريم ، والشرع الإسلامى :

ورد ذكر السحر فى القرآن الكريم كثيراً بمعنى الخداع والتخييل ، ومن ذلك قول الله تعالى فى سورة الأنعام « ولو أنزلنا عليك فى قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين » (٣) أى تخييل لا حقيقة ، وخداع للبصر والحواس .

---

(١) محمد جعفر ، كتاب السحر ، ص ٤٦ ، ٤٧

(٢) أنظر John Middleton, and E.H. Winter, Witchcraft and Sorcery in East Africa, 1963.

(٣) الأنعام آية ١١٦

ويقال سحره أى صرفه عن وجهه وخدعه ، ومن ذلك قوله تعالى فى سورة الأعراف : « وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين » [٤] وقوله تعالى فى سورة المؤمنون « قل من بيده ملكوت كل شىء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل فأنى تسحرون » ؟[٥]

وأصل السحر هو صرف الشىء عن وجهه أى صرفه عن حقيقته إلى غيرها وكأن الساحر لما أرى الناس الباطل فى صورة الحق وخيل الشىء على غير حقيقته ، فقد سحر الشىء عن وجهه أى صرفه [٦]

والسحر فى عرف الشرع مختص بكل أمر يخفى سببه ويتخيل على غير حقيقته ، ويجرى مجرى التمويه والخداع ، ومتى أطلق ولم يقيد أفاد ذم فاعله قال تعالى : « سحروا أعين الناس » [١] حكاية عن موسى وسحرة فرعون أعنى أنهم موهوا على الناس حتى ظنوا أن حبالهم وعصيهم تسعى . وقال تعالى :« يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى » [٢] وقد يستعمل مقيداً فيما يمدح ويحمد وهو السحر الحلال قال صلى الله عليه وسلم (إن من البيان لسحرا) لأن صاحبه يوضح الشىء المشكل ويكشف عن حقيقته بحسن بيانه ولطف عبارته ويقدر على تحسين القبيح وتقبيح الحسن ، يسخط تارة فيقول أسوأ ما يمكن ويرضى تارة فيقول أحسن مايعلم .

---

(١) الاعراف آية ١٣٢

(٢) المؤمنون آية ٨٩

(٣) أحمد الشرباصى ، حديث السحر فى القرآن ، الهلال ، يناير ١٩٧٤ ، ص ١٥

(٤) سورة الاعراف آية ١١٦

(٥) سورة طه آية ٦٦

واختلف العلماء المسلمون فى معنى السحر فقال بعضهم هو خدع ومخاريق ومعان يفعلها الساحر حتى يخيل إلى المسحور الشيء أنه بخلاف ما هو به نظير الذى يرى السراب من بعيد فيخيل إليه أنه ماء ويرى الشيء من بعيد فيثبته بخلاف ما هو حقيقته ، وكراكب السفينة السائرة سيراً حثيثا يخيل إليه أن ماعاين من الأشجار والجبال سائر معه ، قالوا فكذلك المسحور وتلك صفته يحسب بعد الذى وصل إليه من سحر الساحر أن الذى يراه أو يفعله بخلاف الذى هو به على حقيقته .

وعن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم ، لما سُحر كان يخيل إليه أنه يفعل الشيء ولم يفعله . وعن عائشة أيضا قالت سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم يهودى من يهود بنى زريق يقال له لبيد بين الأعصم حتى كان رسول الله يخيل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله .

والذى يقال إن يهود بنى زريق عقدوا عقد سحر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلوها فى بئر ذروان حتى كان رسول الله ينكر بصره ودله الله على مافعلوا فكان رسول الله يقول سحرتنى يهود بنى زريق وفى ذلك نزل قول الله تعالى «قل أعوذ برب الفلق من شر ماخلق ومن شر غاسق إذا وقب ومن شر النفاثات فى العقد ومن شر حاسد إذا حسد» .

والظاهر أن السحر عن طريق عقد العقد وقراءة التعاويذ عليها كان أمراً فاشيا فى زمن الرسول .

وأنكر البعض أن يكون الساحر يقدر بسحره على قلب شيء عن حقيقته وتسخير شيء من خلق الله إلا نظير الذى يقدر عليه سائر بنى آدم ، أو إنشاء شيء من الأجسام سوى المخاريق والخدع المتخيلة لأبصار الناظرين

بخلاف حقائقها . وقالوا لو كان فى وسع السحرة إنشاء الأجسام وقلب الحقائق الأعيان عما هى به من الهيئات لم يكن بين الحق والباطل فصل ولجاز أن تكون جميع المحسوسات مما سحرته السحرة فقلبت أعيانها وفى ذلك وصف الله عز وجل سحرة فرعون بقوله : « فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى » .

وقد تساءلوا كيف يفرق الساحر بين المرء وزوجه قيل إن معنى السحر تخييل الشىء إلى المرء بخلاف ما هو ، فى عينه وحقيقته ، فتفريق الساحر بين المرء وزوجه تخييله بسحره إلى كل واحد منهما شخص الآخر على خلاف ماهو به حقيقته من حسن وجمال حتى يقبحه عنده فينصرف بوجهه ويعرض عنه حتى يحدث الزوج لامرأته فراقا فيكون الساحر مفرقا بينهما بإحداثه السبب الذى كان منه فرقة مابينهما[1] .

ويرى بعض علماء المسلمين أن مفهوم السحر يعنى (حصول أمر خارق للعادة غير مألوف للبشر خفى سببه يتخيله الناظر يجرى مجرى التمويه والخداع لقوله تعالى : « سحروا أعين الناس واسترهبوهم » . « يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى » .

والسحر فى مفهوم البعض الآخر من علماء المسلمين « تأثير خفى فى جسم بشرى يوجد انفعالا على غير إرادة المسحور وهذا فى السحر غير المنظور »[2] .

وقد اختلف العلماء المسلمين فى تعريف مفهوم السحر باختلاف مذاهبهم فيه فعرفه صاحب إرشاد القاصد بقوله :

---

(١) أنظر أحمد الشنتاوى ، فنون السحر ، ص ٦٥ ، ٦٦

(٢) سيد عبد الله حسين ، الجن : فى ذكر جميع أحوال الجن ، ص ١١٣

« إنه علم يستفاد منه حصول ملكة نفسانية يقتدر بها على أفعال غريبة بأسباب خفية »

وعرفه ابن العربى الفقيه المالكى بقوله : —

« إنه كلام مؤلف يعظم فيه غير الله عز وجل وتنسب إليه الكائنات والمقادير » .

وبعضهم عرفه بقوله : —

« إنه مايغير الطبع ويقلبه عن حقيقته »

ومنفعة السحر عند الإسلاميين أن يعرف ليحذر عنه لا ليعمل به . ولا نزاع فى تحريم العمل به [١]

جـ ـ مفهوم السحر من المنظور السوسيولوجى والأنثروبولوجى والسيكلوجى

أثارت أهمية السحر فى الثقافات البدائية مناقشات نظرية عديدة اشترك فيها كثير من الثقات فى ميادين علم الاجتماع ، وعلم النفس ، والأنثروبولوجيا أمثال تايلور Tylor ، وفريزر Frazer ، ووسترمارك Westermarck وهوبيرت Hubert وموس Mauss ، وماريت Marett ، ولهمان Lehmann ، ولوى Lowie ومالينوفسكى Malinowski ، وسيجموند فرويد Freud أبو التحليل النفسى ، وكيمف Kempf .

إن السحر فى المفهوم السوسيولوجى ، ليس مجرد نمط من الاعتقاد أو قطعة من الجهاز العقلى للانسان ، ولكنه فن تترجم فيه النظرية والاعتقاد dogma ، فى كل خطوة إلى فعل ، وهو أيضاً شىء عملى جداً ، فلابد للسحر

---

(٢) مصطفى فهمى الحكيم ، أسرار الجن ، ص ١٢٢

أن يأتى للزرع بالمطر، وللحبيب بمحبوبته، وأن يتغلب على سوء الحظ .. الخ وهو فن انسانى بمعنى أنه يمارس فقط بواسطة الانسان. وتعود جذور السحر إلى تعدد الأنشطه الانسانيه، وهو طريقة للسيطرة على قوى الطبيعة، وإلى لوى عنقها لمصلحة الانسان وإرادته

ويضفى السحر على ممارسيه، والمشتغلين به قوة اجتماعية كبيرة، ففى كل المجتمعات تقريبا نجد أن الساحر هو الشخص الوحيد، الذى يمكن أن يقارن بالرئيس من ناحية النفوذ، والتقدير والسلطة، وهكذا يلعب السحر هنا دور قوة هامة من قوى الضبط الاجتماعى.

ويعد المتخصصون فى السحر طبقة متميزة فى المجتمع، ويحرص الأفراد على الانتفاع بمعلوماتهم، وعلى ضمان سريان مجرى هذه المعلومات واستمرار تدفقها، وذلك من خلال توريث المتخصصين فى السحر إياها لأبنائهم فقط وهكذا يشكل السحر مصدرا للامتياز، والتميز والتوريث من جيل لآخر.

ولمفهوم السحر ـ من وجهة نظر سوسيولوجيا السحر ـ أهمية اقتصادية لأن ممارسيه يكافأون عادة من قبل هؤلاء الذين يقصدونهم للمساعدة ويرجون خدماتهم، كما أن من يريد تعلم السحر، فلابد له أن يدفع بسخاء.

والسحر من الناحية التقليدية مرتبط بالميثولوجيا، وبالماضى السحيق وعهود الآلهة، والأبطال، وهو مرتبط كذلك بجذور الانسان الأولى، وبدايات الثقافة القبلية [(١)].

والسحر فى المفهوم الأنثروبولوجى يشير إلى مركب المعتقدات والأفعال

(١) أنظر Encyclopedia Britannica, Vol. 14, p. 624

التى يحاول الأشخاص والجماعات ـ على أساسها وبوساطتها ـ السيطرة على بيئتهم بطريقة تحقق أهدافهم . ولب الفعل السحرى هو أنه يستند إلى معتقد لم تختبر صحته ، وأنه مجهود تحت السيطرة under control ، والمظهر الأول يميزه عن العلم ، أما الثانى فيميزه عن الدين (١).

ويطلق فريزر (Frazer) على السحر علم الإنسان البدائى لأن كلا من السحر والعلم فى رأيه نوع من التكنولوجيا (١). والسحر فى نظره نوع من العلم الزائف والفن الزائف وهو بمثابة محاولات من جانب الإنسان البدائى للسيطرة على الطبيعة والإفادة منها (٢).

ويؤكد الأنثروبولوجيون مسألة خصوصية السحر وسريته ، فيقول فى ذلك «هوبرت» (Hubert) ، «وموس» (Mauss) : « إن السحر كى يكون مؤثرا يجب أن يمارس بطريقة سرية خاصة ، وبفاعل يكون فى حالة طقوسية خاصة » ، وهنا يربط الباحثان بين قوة السحرة وقوة آخرين من الأشخاص ذوى القوة الطقوسية ritual specialist ، مثل القسس والملوك (٣) .

ويعد «مالينفسكى» (Malinowski) أول من ميز بين سحر العامة وسحر المتخصصين فى كتابه سكان جزر التروبرياند .

«'Argonauts of the Western Pacific».

---

(١) أنظر

Gould and Kolb, Dictionary of the Social Sciences, p. 398.

(٢) أنظر

E. Seligman and A. Johnson, Encyclopedia of the Social Sciences Volumes IX-X, p. 39.

2. H. Hubert and M. Mauss, "Esquisse d'une Theoric Generale de la Magic", L'Annde Sociologique, Paris : Alcan, 1902-3, Vol. VII, pp. 1-146.

ويعد السحر فى نظره فنا برجماتيا يتعلق بتحقيق مطالب عمليه ، بينما يتعلق الدين بمسائل عامة وبعيدة المنال ، ليس لها حل مباشر بل تقدم معنى للمشكلات التى يجابهها الانسان فى حياته وما كان منها متعلقا بالقدر والموت. والسحر عند «مالينفسكى» لا يمثل العلم البدائى كما ذهب «فريزر» إلى ذلك ، بل يعد على العكس من ذلك موضحا لمعرفة البدائيين على أن الفن والمعرفة الانسانيتين لهما حدود معينة [١] .

وهكذا فإن السحر والفن العملى يقمان فى استقلال تام بعضهما عن بعض ولا يمكن أن يلتقيا أو يندمجا بعضهما فى بعض . فعندما يظهر للانسان عجزه عن التحكم فى الواقع الموضوعى للطروح أمامه ، فإنه يبدأ فى اللجوء إلى السحر كبديل للفن العملى . وهذا معناه أن هناك مستويين فى نظر (مالينوفسكى) للنشاط الإنسانى : مستوى عملى فى قدرة الانسان ، ومستوى غيبى يلجأ إليه عند العجز عن السيطرة على الظواهر وتسيير دفة الحياة . والمستويان لا يلتقيان بل يلجأ الإنسان إلى كل منهما حسبما يتطلب الموقف . فعند القدرة ووضوح الرؤية يلجأ إلى المستوى الأول الواقعى الموضوعى وعند العجز فإنه يسارع بالجوء إلى المستوى الثانى الغيبى [٢] .

ويرى «مالينوفسكى» أن السحر يخدم فى علاج كثير من سوء التوافقات والصراعات الفكرية ، وذلك أنه يصف الفكرة المناسبة ، ويقنن النغمة الانفعالية للائمة ، ويرسى نمطا من السلوك يحمى الإنسان من لحظات الخطر ، كما أنه يمد الناس بالقوى الدافعة إلى العمل ، والاتحاد والارتباط ، وهو

(١) أنظر Abram Kardiner, and Edward Preble, They Studied Man, p. 183.

(٢) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها

ينمى صفات لازمة لكل عمل ناجح مثل النظام، والثبات والدقة والتنبؤ[١].

ويذكر «مالينوفسكى» أن كل عمل سحرى يتميز بأشياء تقال ، وأشياء تفعل ، وشخص يصنع هذه الأشياء ، وعلى هذا فإن التعويذة spell والطقس rite ، وحالة الشخص القائم بعمل السحر performer تعد من أساسيات العمل الفعلى للسحر[٢].

والسحر فى المفهوم النفسى ، والمفهوم التحليلى النفسى ، يمثل امتدادا لمفهومه الأنثروبولوجى وقد استطاع فرويد أن يطبق استنتاجاته السيكلوجية بإزاء مجال علم الأنثروبولوجيا وبخاصة لدى تعرضه للطوطم Totem والتابوه Taboo وذلك فى كتابه الذى اتخذ عنوانه من هذين اللفظين والذى نشر لأول مرة عام ١٩١٢ ، ولقد كان هذا الكتاب يمثل مقارنة بين الميكانيزمات العصابية كما تظهر بالتحليل النفسى ، وبين بعض النظم الاجتماعية والقبلية وبخاصة ما كان متعلقا بالمحرمات والطوطمية والسحر .

وبمقتضى النظرة الفرويديه ، فإن السحر مرض نفسى يصيب بعض الأشخاص أو بعض المجتمعات ، وهو بمثابة ردة إلى التفكير البدائى ، أو هو ردة إلى مرحلة طفلية ، وبذلك يكون عرضا نكوصيا[١].

ويرى رجال التحليل النفس التابعين لفرويد ، وبخاصة فى كتابه (الطوطم والتابو) ، الاتفاق مع مالينوفسكى فى أن السحر فعال لأنه يعد نوعا من التفريغ الانفعالي بلغة التحليل النفسى.

---

(١) موسوعة العلوم الاجتماعية ، المصدر السابق ، ص ٤٢

(٢) الموسوعة البريطانية ، المصدر السابق ، ص ٦٢٤

(٣) أنظر

S. Freud, Tote m and Taboo. Pelican Books chapter 3.

وبينما يرى « فريزر » أن الرمزية فى السحر تشير إلى ارتباط زائف بين الأفكار فإن المحللين النفسيين يذهبون إلى أن هذه الرموز لها دلالة ، لأنها تتجاوب مع المشاعر المكبوته للساحر ، وجمهوره [١] .

ويرى « كيمف » Kemph حديثا أن المعتقدات السحرية magic beliefs تعد مجهودات نفسية علاجية لتهبيط الضغوط الفسيولوجية التى تحدث فى محيط اجتماعى . وقد صنع الإنسان أساليبه الثقافية ومعتقداته فى السحر لكى يضبط تلك الوظائف الفسيولوجية ، بالضبط كما أجبرته آلام الجوع على أن يختزن طعامه لوقت الحاجة [٢] .

ثانيا . المفهومات المرتبطة بالسحر : —

بعد أن تعرضنا للمفهومات الأساسية للسحر ، نتناول المفهومات المرتبطة به ، وهى مفهومات وثيقة الصلة بالسحر أهمها الخرافة والتفكير الخرافى والعرافة والكهانة ، والزجر ، والعيافة ، والتعاويذ ، والرقى ، والطلاسم ، والأحجبة والعمل ، والمندل ، والاستخارة ، والتحويطة .

١ — الخرافة :

(الخرافة) (والتخريف) (وخرف) من الكلمات المتداولة بين الناس وفى الأحاديث العادية ، وهى تشير إلى الكذب ، أو الخيال ، والبعد عن الواقع . فيقال أحيانا عن خبر ما أنه خرافة ويكون المقصود أنه خبر كاذب

(١) قاموس العلوم الاجتماعية ، المصدر السابق ، ص ٣٩٩

(٢) موسوعة العلوم الاجتماعية ، المصدر السابق ، ص ٤٢

وقد يوصف قول ما بأنه (تخريف) بمعنى أنه بعيد عن المعقول ومن نسج الخيال .

وقد يوصف شخص ما بأنه مخرف . ويقصد من هذا أنه يهذى ولا يصح أن يؤخذ قوله على محمل الجد .

ويبدو من هذا أن كلمة (خرافة) ومشتقاتها فى الحديث العادى — وإن تفاوتت معانيها فى المواقف المختلفة نوعاما — تلتقى عند معنى البعد عن الواقع الموضوعى ، وعلى هذا فإن استخدام كلمة خرافة فى الأحاديث اليومية العادية يتفق فى هذه الناحية مع المفهوم العلمى لهذه الكلمة حيث أن البعد عن الحقيقه الموضوعية يعد عاميا من الصفات الأساسية التى تميز الخرافة ومع ذلك فإن الخرافة فى الاصطلاح العلمى لا يقتصر معناها على مجافاتها للواقع .

فالخرافة فى التفكير العلمى هى اعتقاد أو فكرة لاتتفق مع الواقع الموضوعى بل تتعارض معه ، ولكن ليس كل اعتقاد أو فكرة تتعارض مع الواقع الموضوعى تعد من الناحية العلمية خرافة ، فيشترط فى هذا الاعتقاد أن يكون له استمرار ، فهو ليس مجرد خاطر طارىء لموقف وقتى ، أو تفسير عارض لظاهرة عرضية بل إن له وظيفة فى حياة من يؤمنون به ويستخدمونه فى مواجهة بعض المواقف وفى حل بعض المشكلات الخاصة فى الحياة [1] .

والخرافة بعبارة أخرى تفسير يزود من يؤمن به ، بوسيلة ما لمواجهة مشكلة لا يعرف صاحبها طريقا أفضل منها لمواجهة هذه المشكلة .

فالاعتقاد السائد عن بعض الناس من غير المتعلمين بأن خسوف القمر

---

(١) الخرافة مشتقة من اسم رجل من عذره استهوته الجن فكان يحدث بما رأى فكذبوه وقالوا حديث خرافة (مختار الصحاح)

مثلا يرجع إلى أن « بنات الحور » يمسكن به (أى بالقمر) وبذلك يمنعن نوره عنا ، هو خرافة تفسر هذه الظاهرة لهؤلاء الناس الذين لايعرفون تفسيرا غيره أو تفسيرا أفضل منه ، وعلى هذا الأساس تبعث هذه الخرافة فى نفوسهم قدرا من الطمأنينة ذلك أنها تمكنهم من ابتداع الوسائل التى تصلح فى نظرهم للتغلب على المشكلة التى تعترضهم وعلى الخوف الذى يعتريهم بسبب هذه الظاهرة . ، وهكذا تتيح الخرافة لهؤلاء الناس قدرا من السيطرة على الموقف — حتى وإن كانت تلك السيطرة مجرد وهم — فتراهم يسيرون فى الطرقات أحيانا يدقون الطبول وينادون « يابنات الحور . سيبوا القمر للنور»

ومثل هذا الاعتقاد له استمرار طالما بقى أصحابه على جهل بالعلاقات السببية الحقيقية لظاهرة خسوف القمر ، ولهذا يعد (خرافة) من وجهة نظر الأفراد الآخرين الذين يعرفون العلاقات الصحيحة (٢) .

فالخرافة إذن اعتقاد خاطىء له استمرار يفسر ظاهرة ما ، أو مشكلة ما يتكرر ظهورها فى حياة الناس . والحقيقة أن معرفة السر فى أية مشكلة مثيرة — أى إدراك العلاقات التى تنطوى عليها المشكلة ، حتى وإن كان ذلك على أساس خاطىء — يخفف كثيراً من آثارها النفسية ، ومما لاشك فيه أن أشد المشكلات إقلاقا لشعور الإنسان بالأمن والطمأنينة ، وأكثرها إزعاجا له هى تلك التى تؤثر فى حياته — سواء أكان هذا التفكير واقعيا أو وهميا — وهى تلك المشكلات المبهمة الغامضة التى لايعرف لها تفسيرا ، ومن ثم لايعرف سبيلا لمواجهتها أو الخلاص منها .

فالخطر الذى يعرف الإنسان حدوده فإنه يستطيع بطريقة ما أن يعد

---

(٢) أنظر نجيب اسكندر ابراهيم ، ورشدى فام منصـــور ، التفكير الخرافى ، ص ١٨ ، ١٩ .

نفسه لمواجهته أو على الأقل أن يتهيأ للتكيف معه ، أو يوطن نفسه على قبول أسوأ احتمالاته فيصيب بذلك قدر من الراحة النفسية .. ولكن الخطر الغامض الذى لا يعرف الإنسان له حدوداً ، ولا يعرف له مصدراً ، فإنه يعجز عن أن يجد منه مهربا ، أو أن يعثر على وسيلة لتجنبه أو دفعه أو صده حين يقع .. وفى مثل هذه الأحوال يكون الإنسان بصفة عامة أكثر استعدادا للايحاء ، فإذا أعوزه التفكير المنطقى السليم تطلع إلى الجواب البسيط حتى وإن كان جوابا غيبيا بعيدا عن المنطق . وإذا كان الموقف عاما ، أى يضم جماعة من الناس يتعرضون للمشكلات نفسها ، ويعيشون الخبرات ، والمشاعر ذاتها ، انتشر الجواب البسيط بينهم بسرعة كما تنتشر الإشاعة ، أى يتوقف مدى انتشاره على أهمية الموضوع ومدى غموضه ثم يصبح خرافة .

فالخرافة تعد اعتقادا اجتماعيا يشترك فيه أفراد مجتمع ما ، أو جماعة ذات ثقافة فرعية فى نطاق المجتمع العام . وعلى الرغم من أن الجماعة قد تشترك فى الاعتقاد بخرافة ما ، إلا أن موضوعها قد يتنوع من فرد إلى آخر .

فقد تؤمن جماعة بأن بعض الأفراد يجلبون الشؤم ، وآخرين يجلبون الخير لمن يصبح من الناس بهم مثلا ، ولكنهم مع هذا قد يختلفون حول تحديد الأشخاص الذين يتشاءمون منهم ومن مقابلتهم أو رؤيتهم . ونرى الشخص يحدد أفراد من الناس يعتبر مقابلتهم مجلبة لسوء الحظ بالذات ويحدد غيرهم من الأفراد يعتبر مقابلتهم مجلبة لحسن الحظ .

وبناء على ما تقدم يزداد انتشار الخرافات كلما زادت ظروف الحياة صعوبة ، وكلما زادت الأخطار التى تهدد كيان الجماعة دون أن يجدوا الوسائل الإيجابية الفعالة لدرئها أو تجنبها ، أى أن الخرافات تكثر وتعم وتنتشر بانتشار حالات القلق والاضطراب والشعور بالضعف والعجز عن

مواجهة مشكلات الحياة ومخاطرها[1] . ولعلنا نجد فى هذا ما يفسر انتشار الخرافات فى أوربا فى العصور الوسطى المظلمة عندما تتعرض الإمبراطورية لغارات القبائل الهمجية . ويتحدث « برتراند رسل » عن انتشار الخرافات فى تلك العصور فيقول « كانت الحياة فى تلك العصور مضطربة قلقة مشحونة بالصعاب .. وكان الناس يحسون فى كل لحظة أن الأرواح الشريرة تحاصرهم ، ووقعوا نتيجة لهذا فرائس فى أيدى المشعوذين والسحرة[2] .

والواقع أن مثل هذه الظروف القلقة المضطربة تجعل الإنسان أكثر استعدادا لقبول الأفكار الغامضة والتفسيرات الغيبيه ، وذلك لقصوره عن تحرى أسباب المشكلات التى يواجهها وعن فهمها فهما عميقا ، ولعجزه عن التغلب عليها ودرء شرورها . وعلى هذا فإن الخرافة فى العادة ، يغلب عليها المضمون الغيبى والميتافيزيقى .

وتتلخص ـ تأسيسا على ما تقدم ـ الشروط التى تحدد الخرافة فيما يلى :

١ — البعد عن الواقع الموضوعى .

٢ — شيوعها بين عدد كبير نسبيا من أفراد المجتمع .

٣ — الافتقار إلى العلية المنطقية أو العلمية . والاستناد فى كثير من الأحيان إلى المفاهيم الغيبية والميتافيزيقية مثل الحظ والأرواح والسحر . وتستخدم هذه المفاهيم فى تفسير ظواهر طبيعية يمكن فى حقيقة الأمر تفسيرها تفسيراً سليما بالاتجاه إلى الملاحظة المنظمة والدراسة القائمة على الشواهد الموضوعية[3] .

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٢٠ ، ٢١

(٢) أنظر B. Russel, History of Western Philosophy.

(٣) أنظر O. Kretch & R. Crutchfield, Theory and Problems of Social Psycho logy

«الخرافة إذن هى كل عمل أو فكرة أو عقيدة فردية أو جماعية تفسر ظواهر العالم على نحو لا يلتئم مع العقل ، ولا مع ما انتهى إليه العلم من مبادىء وقوانين . وهى ظاهرة اجتماعية عرفت فى الشعوب البدائية والمتحضرة ولا تزال تحيا خرافات فى الغرب والشرق برغم تقدم العلم والثقافة . وأكثر ما تدور الخرافة حول المعتقدات الشعبية والطقوس الدينية ، ويختلف الحكم عليها من بيئة إلى أخرى ومن جيل إلى جيل ، فما هو صواب شرقى جبال البرانس يعد خطأ غربيها ، وما كان عقيدة بالأمس أضحى خرافة اليوم»[1].

وفى الإنسان ميل قوى إلى قبول الخرافة ، طمعا فى اكتشاف الحجب وتوضيح الغامض ، أو محاولة للدفاع عن النفس ، ودرء الأمراض والأخطار ، وما لا سبيل إلى معالجته عن طريق العلم ، يلجأ فيه إلى الخرافة .

والسحر والتنجيم والشعوذة من خرافات الإنسانية جمعاء ، والتفاؤل والتشاؤم والطيرة قامت على خرافات لدى الإغريق والرومان والعرب .

ولاشك فى أن للثقافة وطرق التربية ونظم الحكم شأنا فى إنتشار الخرافة أو محاربتها .

ومن المألوف ألا يسلم المرء فى يسر بخرافة بعض ما يعتقد ، فى حين يتنبه إلى خرافات الآخرين ، وقد يكون ما هو دين فى رأى واحد من الناس ، خرافة فى نظر غيره .

« وقد شغل الباحثون بالخرافة منذ زمن بعيد فكتب فيها لوكريس

---

(١) إبراهيم مدكور . الخرافة ، مجلة الرسالة ، عدد ١٠٠ ص ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١١٢ ، ١١٦ ، ١٢٠

(٥١ ق . م) وتوسع فيها فلوطرخس (١٢٥) وعنى بها علماء الاجتماع المعاصرون وبخاصة فريزر (١٩٤١) الذى كشف عما فيها من جوانب الخير والشر، وأشار أنها أسهمت فى تثبيت طائفة من النظم الاجتماعية الهامة، وهى الحكومة ، والملكية الفردية ، والزواج ، واحترام الحياة الإنسانية »[1] .

علينا الآن أن نبحث فى العمليات العقلية التى تؤدى بالإنسان إلى الوصول إلى الخرافات والأخذ بها فى تفسير مشكلات الحياة واتخاذ الأساليب المناسبة لمواجهتها ، بعبارة أخرى علينا أن نبحث فى عملية التفكير الخرافى .

(ب) التفكير الخرافى :

إن التفكير الخرافى يختلف عن التفكير العلمى فى افتقاره إلى العليه أو السببية العلمية ، ولكن افتقار التفكير الخرافى أو السببية العلمية لا يعنى افتقاره إلى السببية أو العلية على الإطلاق .

فمشكلة التفكير الخرافى أنه يستند إلى أسباب غير طبيعية لتفسير أو حل مشكلات طبيعية فيعزوها إلى علل غير صحيحة أو غيبية لا يستطيع تحديدها أو التحكم فيها ، ومعنى ذلك أن الأسباب أو العلل التى يستنتجها الإنسان فى هذه الحالة لا ترتبط ارتباطا أصيلا بالمشكلة التى يحاول تفسيرها أو إيجاد حل لها ، والواقع أن هذا الموقف رغم مايبدو فيه من تناقض أمر مألوف بل وشائع حتى بالنسبة لكثير من المواقف التى يبدو أن التفسير فيها يقوم على أساس منطقى سليم أو التى يتوهم بعض الناس أنها تقوم على أسباب صحيحة من وجهة النظر العلمية .

فالتفكير الخرافى ليس ظاهرة خاصة خارجة عن الطبيعة أو لايستخدمه إلا البدائيون بل إن الإنسان المتمدين قد يفكر تفكيراً قريبا من التفكير

---

(١) إبراهيم مدكور وآخرون ، معجم العلوم الاجتماعية ، ص ٢٤٩ .

الخرافى وإن استند على حقائق علمية ، فالمهم هو طريقة تناول الظواهر والحقائق ، وطريقة ربطها . وقد ينحرف الإنسان دون وعى عن المنطق فيفكر تفكيراً خرافيا . والتفكير الخرافى فى رأى «جون ديوى» أمر طبيعى مثل التفكير العلمى سواء بسواء وفى هذا المعنى يقول جون ديوى : « .. إنه لايوجد فرق بين قدرة عمود من الزئبق على التنبؤ بالمطر ، وقدرة أحشاء حيوان أو سرب طيور على التنبؤ بنتيجة الحرب .. » . وبالتأمل الدقيق فى الأمر يتضح لنا أن قدرة عمود الزئبق فى ذاته على التنبؤ بالمطر لاتختلف من ناحية المنطق فى شىء تقريبا عن قدرة الودع مثلا فى التنبؤ بالمستقبل . فإننا بالفعل لا نستطيع أن نفاضل بين الجانبين ونفضل الواحد عن الآخر كتفسير لأى من الظاهرتين إذا أخذنا كلا منهما فى ذاته . ومع هذا فنحن نعلم أن أحد الموقفين صحيح من الناحية العلمية بينما الآخر خاطىء ، ولذلك فإنه يعتبر خرافيا .

والواقع أنه إذا استطعنا بالفعل أن نتناس معلوماتنا السابقة عن العلاقات القائمة فى كل من الموضوعين فإننا لا نستطيع أن نفاضل بالمنطق وحده بين سلامة وصدق إحدى العلاقتين وخطأ أو فساد الأخرى . وإذا كان الأمر كذلك فعلينا أن نتساءل عن السبب الذى يجعلنا نحكم على إحدى العلاقتين بأنها علمية ، وعلى الأخرى بأنها خرافية ونحن نعلم أن الأرصاد الجوية كثيراً ماتخطىء ولكننا مع ذلك تعتبرها علمية فى حين أن العلاقة الثانية (التنبؤ بالغيب عن طريق الودع) قد تصادف الصدق ، وتؤكد مع ذلك أنها خرافية . المسألة إذن ليست مجرد صحة أو خطأ . المسألة فى الواقع ترتبط بمبدأ العلية أو السببية فالإنسان عندما يتكلم عن أسباب ظاهرة معينة أو عندما يتكلم عن وسائل تغيير ظرف معين أو تعديل ظاهرة ما فإنه فى هذه الحالة يدخل

من الناحية الفلسفية فى ميدان العلية أو السببية سواء أكان على وعى بذلك أم لم يكن .

والعلية أو السببية هى القانون الذى يربط سببا معينا بنتيجة معينة ، وهو بمفهومه التقليدى يعنى أن كل ظاهر طبيعية يمكن أن نرجعها إلى عامل (أو أكثر) تسبب فى حدوثها . فقانون العلية بالمعنى التقليدى يوجد العلاقة بين الأشياء على أساس علة ومعلول

ولكن هل يمكن فعلا أن ندرك العلاقة العلية إدراكا مباشراً ؟ لقد تشكك « هيوم » فى القرن الثامن عشر فى هذه القضية ، ورفض فكرة أن العلية من المدركات المباشرة بل إنه ذهب إلى اعتبار أن العلاقة السببية أو العلاقه العلية (بالمعى التقليدى) تقوم على أساس خرافى . ويدلل هيوم على رأيه فيقول : « .. إن مجرد رؤية شيئين أو حدثين مهما كانت العلاقة بينهما لا يمكن أن يعطينا فكرة عن قوة ما أو عن ربط بينهما . وإن مثل هذه الفكرة إنما ينشأ من تكرار تلازمهما . ولكن التكرار لا يكشف فى الشىء أمراً ولا يسبب له أمرا ما ، ولكنه أى (التكرار) يؤثر فى العقل فحسب .. »

ومجمل القول أن «هيوم» يؤكد لنا أننا لا نستطيع أن ندرك علاقات سببية ، ولكننا نستنتجها من تكرار تلازم الأشياء . وأن فى عملية الاستنتاج يكمن الخطر ، أى خطر البعد عن الواقع المدرك والوقوع فى خطأ افتراض صفات أو قوى فى الأشياء لا يوجد ما يبرر افتراضها . والواقع أن المعنى التقليدى للعلية الذى يذهب إلى أنه إذا تكرر ظهور حدثين بالتتابع فإن الأول يعد سبباً فى الثانى ، هذا المعنى لم يعد مقبولا فى العلم الحديث وبخاصة فى فروع العلم المتقدمة . وهو إن استخدم أحيانا فإنما يكون استخدامه تجاوزا وبحكم العادة

دون أن يقصد به المعنى التقليدى القديم . بل إنه يشير فى حقيقة الأمر إلى تتابع الأحداث لا أكثر ، وقد استعيض عن إصطلاحات السبب والنتيجة فى العلوم الحديثة باصطلاحات جديدة تشير إلى العلاقات بين الاشياء وتتابعها مثل « المتغير المستقل » إشارة إلى الحدث السابق فى الظهور و « المتغير المعتمد » إشارة إلى الحدث اللاحق .

وهكذا يتضح أن مشكلة التفكير عموما — لا مشكلة التفكير الخرافى فقط — تتركز إلى حد كبير حول مفهوم أو مبدأ السببية[١] .

ويمكننا أن نعرف الكثير عن منشأ التفكير الخرافى ، إذا ما درسنا المراحل التى مر بها تطور التفكير الإنسانى .

وقد قام بعض المفكرين فعلا بدراسة التفكير الإنسانى وتتبع مراحل تطوره من المجتمعات الإنسانية الأولى حتى المجتمع الحديث ، وكان « أوجست كونت » من أوائل من بحثوا فى تطور التفكير الإنسانى وقد قسم مراحل التفكير إلى ثلاث هى اللاهوتية، ثم الميتافيزيقية ثم الوضعية، وذلك فيما أطلق عليه قانون المراحل الثلاث The law of the three stages ، ومؤدى هذا القانون أن العقل الإنسانى يمر بمراحل ثلاث : المرحلة الأولى ، وهى ما أسماها بالمرحلة اللاهوتية Theological ، وهى تلك التى يفسر فيها العقل الظاهرات عن طريق نسبتها إلى قوى أو كائنات غير منظورة لها خصائص تشبه خصائص الإنسان .

والمرحلة الثانية ، هى ما أسماها بالمرحلة الميتافيزيقية Metaphysical ، وهى تلك التى يفسر فيها العقل الظاهرات عن طريق قوة مجردة مثل الطبيعة .

---

(١) أنظر التفكير الخرافى ، المصدر السابق ص ٢٤ : ٢٦

والمرحلة الثالثة وهى ماأطلق عليها ما أسماها بالمرحلة الوضعية positive وهى التى يقنع فيها الإنسان بملاحظة الظاهرات واستخلاص الروابط التى يوجد بين بعضها البعض (١) .

ويرى « جون ديوى » و « آرثر بنتلى » إمكانية تتبع ثلاث مراحل متمايزة فى تطور التفكير الإنسانى هى :

أولا — مرحلة الحركة الذاتية Self-Action :

وتتميز بمحاولة الإنسان تفسير كل ظاهرة من ظواهر السكون بمعزل عن غيرها من الظواهر . فلم يكن الإنسان فى تلك المرحلة قد أدرك ما بين ظواهر السكون جميعاً من علاقات . وقد أدى هذا الموقف بالإنسان إلى افتراض وجود قوى غيبية فى كل الأشياء وفى كل ظاهرة طبيعية تحركها وتفسر سلوكها . وقد أطلق علماء الأنثروبولوجيا على هذه المرحلة اسم المرحلة الأنيمية Animistic Stage .

ثانياً — مرحلة التفاعل Interaction :

وفى هذه المرحلة كان قد تجمع لدى الإنسان قدر هائل من المعلومات والمعارف التى وجهت نظره إلى مابين الأشياء فى السكون من علاقات . وبدأ الإنسان ينظر إلى الطبيعة على أنها عدد هائل من الجزئيات دائبة الحركة ، وأنها يؤثر بعضها فى البعض الآخر على الدوام مما يؤدى إلى حدوث الظواهر التى تقع تحت حس الإنسان وفى محيط خبراته . وقد أدت هذه النظرة بالإنسان إلى أن يتبع المنهج التحليلى فى دراسة الطبيعة وما فيها من أشياء . وقوام

(١) أنظر
1. Raymond Aron, Main Currents in Sociological Thought, p. 65-66.

المنهج التحليلى هو التعرف على الجزئيات التى يتكون منها الشىء أو الظاهرة فإذا تمت دراسة تلك الجزئيات أمكنه بعد ذلك تحديد التفاعل بينها ونتائجه

ثالثاً — مرحلة الفاعلية Transaction :

وفى هذه المرحلة بدأ الإنسان يرى فى الكون وحدة متكاملة . وبدأ يدرك استحالة تحديد صفات أى جزء (أو جزىء) فى الكون بمعزل عن الوسط المحيط به . وفى ضوء هذه النظرة لم يعد ممكنا أن يرى الإنسان أو أن يتعامل مع شىء ما فى ذاته . ولا يمكن دراسة صفات الجزئيات أولا لتحديد مايحدث بينها من تفاعل بعد ذلك ، فإن صفات الأشياء أو الجزئيات تتحدد بنوع التفاعل الذى تعمل فيه وليس العكس . هذه النظرة أخذت صيغة محدودة فى علم الطبيعة على يد « أينشتين » وأصبحت تعرف بنظرية النسبية

ومن الأهمية بمكان أن نعرف أن تقسيم مراحل تطور التفكير الانسانى بهذه الصورة أو بأية صورة أخرى غيرها لا يقصد به اعتبار هذه المراحل منفصلة بعضها عن البعض الآخر ، أو أن قيام مرحلة من المراحل يعنى انتهاء المرحلة السابقة لها تماما . فالواقع أن المرحلة الأولى مثلا مازالت قائمة حتى اليوم عند بعض المجتمعات الإنسانية ، بل إنها مازالت قائمة فى بعض جوانب الحياة فى أكثر المجتمعات الإنسانية تقدماً .

ولاشك أن أكثر مراحل التفكير الإنسانى سذاجة هى مرحلة الحركة الذاتية أو المرحلة « الأنيمية » . ومن الممكن إرجاع بعض الخرافات وبعض رواسب التفكير الخرافى فى المجتمع الحديث إلى تلك المرحلة . وقد كان « إدوارد تيلور » هو أول من تكلم عن هذه المرحلة وأول من حدد معنى « الأنيمية » على أنها نمط من أنماط التفكير . ويقوم المفهوم « الأنيمى »

على فكرة أن الإنسان بصفة عامة ، والانسان البدائى بصفة خاصة، يميل إلى تصور العالم الخارجى على نحو شبيه بتصوره لذاته . فالإنسان عندما يعوزه الإطار المرجعى الخارجى الذى يقيس به الأشياء تصبح ذاته هى إطاره المرجعى. وهذا هو حال الإنسان الأول الذى كانت خبراته عن البيئة المحيطة به محدودة للغاية . ولما كانت فكرته عن ذاته أن له جسم مادى محسوس يتحرك وروح محسوسة تسكن فى الجسم وتحركه بإرادتها [١] ، فقد توهم أن مايحيط به من كائنات وأشياء على نفس صورته ، أى تصور أن لها مظهرها المادى الذى يراه وأن لها الروح التى فى الكيان المادى والتى تسيره بحسب إرادتها . ومن السهل علينا فى الواقع أن نتصور السر فى اتجاه الإنسان الأول نحو هذا اللون من التفكير ، فقد كانت الحيوانات والنباتات والجمادات تتحرك من حوله وتأتى أنماطا شتى من السلوك تساعده فى سعيه أحيانا ، وتعطله أحيانا بل وربما تهددت حياته بالفناء . ولقد كانت خبراته محدودة . فلم يكن وراءه تراث يستند إليه ويبنى عليه ، ولم يكن قد تعلم الكتابة التى تنقل التراث ، ولم تكن حياته مستقرة بالشكل الذى يتيح له امتحان أفكاره ومراجعة معتقداته عن طريق الملاحظة المنظمة . ومع ذلك فقد كان لابد له من أن يجد تفسيرا للظواهر المحيطة به وبخاصة ما كان منها يمس حياته أو يؤثر فيها بشدة .

ولكن القول ، بأن تفكير الإنسان وتفسيرة للظواهر المحيطة به فى المراحل الأولى من حياته كان تفكيرا « أنيميا » لايعنى أنه لم يكن سوى تفكير «أنيمى» . فالإنسان فى سياق خبراته فى الحياة كان ولازال يعمل فى

---

(١) ترجع هذه الفكرة إلى خبراته عند الأحلام ، والإغماء ، والموت حيث يظهر التمايز بين الجسم والروح

سبيل السيطرة على البيئة . وقد كان كفاح الإنسان الأول موجها أساسا نحو تحقيق أهداف عملية مباشرة ، وكانت أساليبه فى ذلك أساليب عملية إيجابية طالما كان قادرا على القيام بالعمل الإيجابى . وقد كان عليه أن يبحث عن مواطن الغذاء ويدرس عادات الحيوانات التى يصيدها أو التى يخشى ضررها . وكذلك كان عليه أن يدرس البيئة التى يعيش فيها للتوافق معها . وتعد الرسوم التى خلفها الإنسان الأول فى بعض الكهوف القديمة ، أدلة ناطقة على قدراته فى تلك الجوانب من الحياة . ولكن عندما كانت قدراته تتعطل وتعجز أو عند ما كانت تتهددها الأخطار ، فإنه كان يلجأ إلى الافكار الخرافية وإلى التفكير القائم على [الأنيمية] وهكذا اختلطت عند الإنسان الأول بذور العلم بالتفكير الخرافى (١) . ولم يكن غريبا والحال هكذا أن يعبد الإنسان الأول الكثير من الآلهة وأن يقدم إليها الذبائح والقرابين ، فقد تصور كثيراً من ظواهر الطبيعة كائنات حية مثله وإن كانت تفوقه فى القوة ، وتؤثر فى حياته تأثيراً شديدا . فكان لابد له أن يسترضيها . لقد كانت الشمس والعواصف والنار ، والصواعق وغيرها من الظواهر الطبيعية التى روعته وأثارت اهتمامه بشدة بأسها وتأثيرها فى حياته ، فتصورها كائنات هائلة القوة استسلم لها وعندها .

إنها عملية الإسقاط التى نشاهدها حتى الآن فى الأطفال الصغار الذين يتعاملون فى كثير من الأحيان مع الجمادات كما لو كانت حية مثلهم . وهى الظاهرة نفسها التى نشاهدها فى تصرفات الكبار أحيانا فى المواقف المحرجة أو المواقف القاسية والخطرة ، حيث يرتدون بتفكيرهم إلى المستوى الطفلى

---

(١) انظر B. Malinowski, Magic, Science and Religion, pp. 1-7.

« الأنيمى » ، فيسخطون على الجمادات ويلعنونها بل ويضربونها أو يحطمونها . وكما ينمو الطفل ويتطور تفكيره ، كذلك نما الإنسان الأول وتطور تفكيره .

ولكن الكثير من أنماط التفكير الماضى بقيت معه تعيش جنبا إلى جنب مع الأفكار المتمدينة . فقد تلبس تلك الأفكار أردية جديدة ولكننا إذا أزحنا الرداء الجديد وجدناها هى بذاتها خرافات الماضى السحيق

ويكشف علم الأساطير Mythology عن أن كثير من هذه الخرافات القديمة لا تزال حية بصورة أو بأخرى فى حياة الناس فى أرقى المجتمعات الإنسانية .

وعلى أية حال فإن بيت القصيد بالنسبة لعملية التفكير القائمة على « الأنيمية » هو أن هذا التفكير كان تفكيراً يقوم على أساس النظر إلى الأشياء مستقلا بعضها عن البعض الآخر دون التفطن إلى ما بينها من ارتباط بحيث يبدو كل حدث كأنه قائم بذاته مستقل عن غيره من الأشيا . وبعبارة أخرى كانت علة سلوك الشىء وحركته هى قوته الذاتية ، وكان هذا هو مبدأ العلية عند الإنسان الأول ، وكان من الطبيعى أن تكثر خرافاته وتعم وينتشر السحر ، وهو أسلوب الإنسان الأول فى التحكم فى القوى والأرواح الخفية الكامنة فى الناس وفى الأشياء .

ولم يكن هناك والحال هذه ، حدود للتطرف والبعد عن المعقولية من وجهة نظرنا الآن ، إذ من الممكن أن يصف الإنسان أى شىء بأية صفة وتنتشر الفكرة على أساس أنها حقيقة طالما كان مصدر الصفة قوة روحية لا ترى ولا تحس ، فمثلا حدوث مثيرين فى وقت واحد مثلا ، قد يوحى بمجرد ازدواجهما أو تواجدهما معا بأن واحدا منهما سبب الآخر أو أنه أحدثه

بقوته ، ثم قد تعمم الخبرة الواحدة بعد ذلك وتصبح نمطا جامدا للتفكير ، فمجرد التلازم العارض أو العرضى بين الأحداث والمثيرات يؤخذ على أساس أنه سبب ونتيجة ، وتفسر الخبرات التالية على هذا الأساس (١) .

ويرى (سكنر) أن هذا هو الأساس فى نشأة الخرافات وأنه يشبه انزعاج الطفل من الكلاب نتيجة عضة كلب واحد كما يشبه حالة النفور التى يثيرها فى الكبار ، شخص غريب إذا كان يشبه شخصاً آخر يبغضونه بغضا شديداً لسبب ما (٢) .

ومن الممكن أن نتبين أخطاء عملية التفكير الخرافى ، وبخاصة فى مرحلة التعميم إذا تعمقنا فى دراسة بعض الخرافات الشائعة .

فالتشاؤم من البوم « ونعيقه » مرجعه إلى الخرافة الشائعة عندنا والتى قوامها أن البوم يسبب الخراب والكوارث أينما يحل . وأغلب الظن أن هذه الخرافة ترجع فى الأصل إلى أن [البوم] يقطن الأماكن الخربة ويهرب من الأماكن الآهلة بالناس ، كما أن نظره يعشى بالنهار فيلجأ إلى الخرائب ويرى جيداً فى الليل فيصحو ليبحث عن غذائه من الحيوانات الصغيرة مثل الفيران . وهكذا نجد أساس الخرافة فى اجتماع البوم ومظاهر الخراب . وبناء على ذلك وقر فى الأذهان من قديم أن البوم يجلب الخراب . ولما كان البوم من الطيور غير الأليفة ، كما أنه أيضا من الطيور غير المألوفة لأنه يختبىء فى النهار ويخرج فى الليل للصيد ، وأنه ينعق أثناء الليل عندما يكون بعيدا

(١) التفكير الخرافى ، المصدر السابق ، ص ٢٩ ، ٣٠

(٢) B. F. Skinner, Science and Human Behavior, p. 55.

عن الأعين فيحيط به لون من الغموض ، فقد أصبح صوته ـ وهو رمز لوجوده ـ نذير سوء .

وإذا أخذنا الخرافة التى ترتبط بالرقم [١٣] والتى تجعل كثيراً من الناس فى مختلف أنحاء العالم وبخاصة فى الغرب يتشاءمون منه ، لوجدنا الظاهرة نفسها . ونعنى بهذا أن الترابط العارض بين حدثين أدى إلى خرافة كان أومازال لها أثر كبير فى الكثيرين وفى نمط توافقهم فى الحياة وترجع هذه الخرافة إلى العقيدة المسيحية التى تقول بأن الاجتماع الأخير للمسيح بتلاميذه كان يضم [١٣] شخصاً هم المسيح وتلاميذه الاثنى عشر . وقد تنبأ المسيح فى ذلك الاجتماع بأن أحد تلاميذه الحاضرين معه سوف يشى به إلى أعدائه من اليهود وسيسلمه إليهم . وقد وقع عقب الاجتماع ماتنبأ به المسيح ، وحوكم ثم قرر اليهود صلبه وهكذا فإن مجرد المصادفة فى حادث درامى أليم قد أدى إلى انتشار هذه الخرافة ، مماجعل الناس يتشاءمون من هذا الرقم حينما يلتقون به لدرجة أن كثيراً من الفنادق المرتفعة فى الغرب تتخطى هذا الرقم فى ترقيم حجراتها ، بل وأيضاً بالنسبة لترقيم المبنى حيث تنتقل فى الترقيم من الطابق الثانى عشر إلى الرابع عشر مباشرة . . ثم أن التشاؤم من يوم الجمعة وهو تاريخ الصلب ، وخاصة إذا جاء فى الثالث عشر من الشهر يرجع إلى نفس المنطق الذى يربط بين الحوادث لمجرد تتابعها أو تلاقيها بالصدفة المحضة ويزداد الأثر إذا كان الموقف خطيراً أو أليما باعثا على الانفعال الشديد (١) .

ويرى « هاند » أن الاعتقاد الخرافى كان يزدهر دائما أشد الازدهار

---

(١) أنظر التفكير الخرافى ، المصدر السابق ، ص ٣٣ .

حين يكون الأفق العقلي للانسان منخفضا ، وقدراته على الاستدلال محدودة وإذا كانت العلاقات بين السبب والنتيجة غير مفهومة على وجهها الصحيح . فالشخص غير الموجه توجيها سليما ، في أي زمان أو أية ظروف يمكن أن يكون ميالا للتشبث بأول تفسير للظاهرة يقدم له ، ويمكن بنفس هذا النهج المندمج أن يؤثر ويفضل حلا مدهشا أو مربكا على الحل الأسلم والمعقول السبب .

وإذا مافتشنا في التاريخ الماضي عن تفسير للنزوع إلى تفسير الظواهر والأحداث في إطار ذاتي ، فسنواجه حقيقة مؤداها أن الأفكار الخرافية ليست كلها نتيجة استنتاج شخصي معين . ويبدو أنه كانت توجد دائما مجموعة من الأفكار الموروثة من أزمنة ماضية ، هي عنصر مترسب وكلها خرافية تَطَيُّرية. وهذا الراسب كثيراً ما يحمل مفهوم عنصر مريب أو مرفوض .

ولم يتم الاتفاق قط على الاشتقاق الدقيق لكلمة الاعتقاد الخرافي بالانجليزية ، بيد أن مقابلها الألماني يبدو أنه يدعم فكرة الايمان الخاطىء أو الزائف التي إما أنها عاشت أو نبتت خارج حدود الإيمان أو الاعتقاد المقبول ، والألفاظ المقابلة بالألمانية والهولندية والدنمركية ألفاظ تفيد الوجهين ، وتتجاوز في هذه الناحية اللفظ اللاتيني الذي معناه مجموعة أفكار أو نسيج من الأفكار المريبة غير الشرعية . وهناك لفظ هولندي آخر يؤكد أن مثل هذه المعاني المريبة أو المشكوك فيها تقع خارج نطاق المعايير المقبولة للتفكير والإيمان .

وثمة وجه آخر أيضا يرى في أقرب لفظ إغريقي معادل للاعتقاد الخرافي وهو « مخافة الأرباب » فهذا اللفظ الإغريقي يعبر — أوضح من أي تعريف

آخر — عن اهتمام الناس بالقوى التى لا تدرك ، والتى تقوم وراء السكون المنظور ، وتوقظ فيه لا مشاعر الروح فقط ، بل مشاعر الخوف أيضا . وهذه المواجهة الأساسية مع القوى المحيطة به سواء أ كانت حية أم غير حية — هى التى تجبر الإنسان على تنظيم عالمه الخاص من التفكير والعمل . ويبدو أن هذا الإكراه عالمى ، يشمل الإنسان إلى درجة كبيرة أو صغيرة فى كل مراحل الحضارة ، ويدفعه إلى الاستفادة من الأوضاع المواتية حيث يدفعه هذا ، إلى محاولة ابطال مفعول القوى الشريرة أو المشئومة المزعومة التى تعترضه ، مهما اقتضاه هذا من ثمن ، وكلما أمكنه ذلك .

وفى حين يشيع الظن هذه المعتقدات القديمة والممارسات الخرافية ميراث قوم ماز الوا فى حالة بدائية ، أو جاهلية ، وأن هذه الأفكار الخاطئه الطريفة ظلت حيه فى المجتمع المتمدين لدى العامة غير المتعلمين ، نجد أن التجربة قد علمتنا غير هذا . فالتفكير الخرافى موجود لدى كل طبقات المجتمع ، ونلقاه لدى أناس على كل مستويات التعليم ودرجاته .

ولنترك جانبا الإنسان البدائى، مادام الكثير من حياته العقلية والروحية قائما على أدنى المعرفة بالعالم المادى الذى يحيط به ، ولننظر — من باب أولى — إلى من يمثلون زماننا هذا ، وحالتنا الراهنة ؛ ملتمسين لديهم أمثلة توحى إلينا بمدى المعتقدات والممارسات غير العقلانية التى تكون المجموع العام للعتاد العقلى الحديث المعروف باسم التفكير الخرافى .

فنجد — على سبيل المثال — رجلا من رجال المال بنيويورك يرى نفسه مجبراً على ارتداء ربطة عنق — مجلبة للحظ — معينة ، وهو ذاهب إلى سوق الأوراق الماليه ، ونجد تاجرا فى هامبورج يبرم أول بيع فى يومه بأى ثمن كان ، كى يضمن — بتعبير مجازى — صفقات بيع طيبة طيلة هذا النهار

ونجد سكان الجبل فى كارولينا الشمالية يمررون الصغار من خلال جذوع الأشجار المشقوقة ليخلصوهم من ضيق التنفس أو غيره من الأوجاع . ونجد صيادى السمك الإنجليز يطوحون إلى البحر جزءاً من أول صيد لهم ، لكى يكون ما يأخذونه من البحر محصولا سخيا جزيلا . ونجد مذيعا لمباريات الرياضة لا يشير إلى أن هدافا يتقدم نحو الهدف ، حتى لا « تنحس » هذه الحقيقة اللاعب وتحبط جهده . وهناك الاعتقاد الذى يكاد أن يكون عالميا بأن الدم البرىء الذى أهدر لا يمكن أن يمحى . وكذلك التحريم العالمى الذيوع لإشعال السجائر لثلاثة أشخاص بعود ثقاب واحد ، والإيمان المنتشر بالأثر السحرى للأرقام ٣ و ٧ و ٩ ، والنفور العالمى من الرقم ١٣ فى معظم أرجاء العالم الغربى[١] .

ويمكن للقائمة أن تمتد إلى مئات الألوف من العناصر التى تكون رصيد المعتقدات الشعبية والأفكار الخرافية فى العالم المتحضر . وما من أحد يعرف — ولو بالتقريب — كم من هذه المعتقدات التى انقضى زمنها يمكن أن توجد فى أى قطر ، لأن تنويعات منها تبتكر بسهولة ، وعناصر جديدة تصاغ على غرار النماذج القديمة بتداعى الفكر وترابطه . وهذه الصفة الإبداعية للعقل هى التى تفسر بالضبط القشعب الواسع للأفكار البسيطة ، وتجعل المعتقدات والخرافات الشعبية أكثر أنواع الفلكلور المتبقى من العصور السابقة تكاثرا .

ويكفى مثال واحد للتفكير الاقترانى لتصوير سهولة تنقل المادة الفولكلورية من قطر إلى قطر ، وسهولة تكييف العناصر المفردة من موقف إلى

(١) أنظر ويلاند د . هاند ، « مخافة الأرباب » الاعتقاد الخرافى والمعتقد الشعبى فى الفولكلور الأمريكى ، تأليف ٢٥ باحثا من المتخصصين ، ترجمة نظمى لوقا ص ٢٣٩ : ص ٢٤٣

موقف . وهذا المثال يتعلق بتحريم الصفير . ويبدو أن هذا التحريم كان مرتبطا ارتباطا بارزا بالمراكب ـ على الخصوص فى زمن استخدام الأشرعه ـ حينما كان المعتقد أنه بحسب الملاح أن يصفر كى يجلب على سفينته إعصاراً دون أن يفطن . ومن الناحية الأخرى ، عندما تقف سفينة فى مكانها لقلة الريح ، فنى وسع النوتى الحصيف أن (يصفر ليوقظ الريح) كما يقولون . ولـكن هـذا الصفير كان يعد (استحضارا سحريا) ، لا يلجأون إليه باستخفاف ونزق . وسرعان ما اكتشف أن تحريم الصفير موجود أيضاً فى المناجم ، ولـكن علاقة ذلك بالرياح غير قائمة . ثم عرف بعد هذا أن عواقب الصفير السيئة تنطبق أيضا على المسارح ، لاسيما فى غرف ملابس الممثلين . ولم يعرف بعد كيف وصل هذا التحريم إلى حجرات الصحف فى المدينة وإلى غيرها من المؤسسات، ولـكن الخوف من أنه قد يسبب النحس أو سوء الطالع كان سببا كافيا كى يتقبل الشخص سريع التصديق هذا التحريم بدون تساؤل، على أساس إحساس ظاهرى بالترابط المنطقى . وسواء أكان أصل هذا التحريم قائما على الظن بأن المرء إذ يصفر (يستدعى الشيطان) — كما يظن كثير من العلماء — أو كان مرجعه إلى الزمن الذى قيل أن النساء كن يقفن فيه جانبا ويصفرن بلا اكتراث بينما كان الحدادون الغجر يصنعون المسامير لصلب المسيح ، فلن يتاح لنا الجزم بأى من هذه التعليلات . ويقال أن النفور الحالى ـ فى العقلية الشعبية ـ من الفتاة التى تصفر ، على نحو ماهو وارد فى شعر قديم :

الفتاة التى تصفر والدجاجة التى تنعق ،
لابد حتما أن تـكون نهايتهما سيئة

إنما يرجع تاريخه إلى الظروف المزعومة التى اكتنفت صلب المسيح .

وفى يومنا هذا يعتقد فى ألمانيا أن الفتاة التى تصفر فتاة واهية العفة والفضيلة ، ويذهب البعض إلى أنها لا بد أن تنتهى إلى الانخراط فى أقدم مهنة عرفها التاريخ أى الدعارة .

والاعتقادات الخرافية ، تختلف عادة عن المعتقدات الشعبية ، فى أنها فى آن واحد أكثر التصاقا وإلحاحا إنها ـ بوجه عام ـ من الأهمية بحيث لاينظر إليها كمجرد أوهام عابرة ، بل على العكس ينبغى اعتناقها واتباعها . وفضلا عن هذا ، يؤدى الامتثال لما تقضى به المعتقدات الخرافية حتما إلى الخطأ والضرر فى النهاية ، فالامتناع مثلا عن مساعدة من أصابتهم الصواعق ـ كما كان عليه الحال فى العصر الكلاسيكى القديم ـ أو رفض إنقاذ غريق كما فى زمن أقرب إلى العصر الحديث ، إنما يقوم هذان الموقفان على أساس أن الآلهة أو غيرها من القوى فى سبيلها إلى اقتضاء حقها من المصعوق والغريق . وكلا هذين الموقفين اعتقاد خرافى فى أسوأ صوره .

وأما الأفكار غير الضارة التى تقوم على حكم خاطىء ، فكثير من الكتاب يستخدمون حاليا مصطلح « الاعتقاد الشعبى » ، « والاعتقاد الفولكى » للدلالة عليها . وتلك هى الأفكار العتيقة التى تثير الروع والعجب من جهة ، أو تثير البهجة والسرور ، من جهة أخرى . فالاعتقاد الشعبى أو « الفولكى » كثيرا ما يكون مسألة موقف ومسألة إيمان . أضف إلى هذا إرادة ناشطة هى إرادة التوهم أو التخيل [١] .

وهناك من أنماط التفكير الخرافى ما يقوم على أساس جعل الرغبة أساسا للواقع ، وتخيل الواقع فيما ينسجه الخيال من أوهام . والحقيقة

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٣٤٤ : ٣٤٦

أننا جميعا فى بعض الأحيان نبنى لأنفسنا قصورا فى الهواء ، فى أحلام اليقظة ونحقق من الآمال فى خيالنا ما تحول حقائق الحياة بيننا وبين تحقيقه فى الواقع. ولكننا نقف فى هذا الاتجاه عند حد لا نتخطاه ، فإذا جاوزناه كان ذلك انتقالا من صفوف الأسوياء ، إلى صفوف المرضى . فاللعب بالأفكار والخيال الذى يبعد الإنسان فترة ما عن رقابة الواقع من الأمور التى تفيد الصحة النفسية ويبعث فى الإنسان النشاط للعمل الجدى والابتكار . ولكن المشكلة تصبح خطيرة حقا عندما نبالغ فى البعد عن الواقع الملموس وعندما نتعلق بأهداب الخيال أو الصدفة البعيدة التحقيق (مثل الاعتماد على أوراق اليانصيب كوسيلة للإثراء) ونركز فى ذلك كل جهودنا ونبنى عليه آمالنا فى الحياة . وقد نتلمس أسباب النجاح والسعادة والتوفيق فى رؤية وجه معين فى الصباح مثلا ، وسماع كلمة عابرة فى الطريق (مايقوله الفأل) . ونستمد العون مما نحمل من تعاويذ وأحجبة ، ونتذرع ونتسلح بذلك فى وجه الأخطار والمصاعب والعدوى من الأمراض ، وتصريف شئون الحياة .

ولكن إذا كانت الخرافات التى تنطوى على التفاؤل ضارة من حيث أنها تصرف الإنسان عن الواقع ، وتوجه نشاطه وتفكيره فيما لا يفيد ، فهى مع ذلك أقل ضررا من تلك التى تنطوى على التشاؤم .

فالأولى قد تطمئن الفرد على غير أساس من الواقع أو المنطق ، فى حين أن الثانية تثير فيه الشك والقلق وعدم الطمأنينة مما يعرضه للإخفاق والفشل فعلا ، وفى ذلك تدعيم لتلك الخرافات وللتفكير الخرافى . وينبغى أن نتذكر أن الخرافات التى تقوم على التفاؤل تقابلها أخرى تقوم على التشاؤم ، وأن هذا

التفاؤل يوجد فى معظم الأحيان عند الفرد الواحد وفى سلوكه . فالشخص الذى يتفاءل بمقابلة شخص ما ويعتقد اعتقادا قويا فى أثر هذا فى عمله وفى حظه فى ذلك اليوم لابد وأن تنتابه الوساوس إذا لم يقابله خاصة عندما يكون مقبلا على أمر هام من أمور حياته ، ثم إن من يؤمن بأن مجرد لقاء وجه ما له تأثير فى مصيره ، وإن كان هذا التأثير خيراً فهو فى أغلب الأحيان يؤمن بأن وجها آخر قد يكون فى لقائه الغم وسوء المصير . والشخص ، الذى يتفاءل خيرا بحمل التعاويذ يكون أكثر استعدادا لقبول فكرة أن أشياء معينة وأحداث خاصة ـ لاعلاقة منطقية لها بعمله أو سلوكه ـ ذات تأثير سىء فى مصيره ، ومن أمثلة ذلك « الشبشب » المقلوب ، أو المقص المفتوح ، وكذلك مثل كسر المرآة ، وتناول الإبرة من يد شخص آخر ـ وخاصة أثناء الليل ـ وهكذا .. ذلك لأن التفكير فى الحالتين ينطوى على مسلمات عن السحر قد لا يعيها الفرد .

فالسحر نوع من الخرافات وهو يقوم على أساس التفكير الخرافى . والواقع أن السحر من أبرز أمثلة التفكير الخرافى القائم على العلية الغيبية . وهو لون ونمط من التفكير واسع الانتشار بين كثير من فئات المجتمع ، ومن الخطأ أن نظن أن الاعتقاد فى السحر والتفكير القائم عليه مقصور على العامة أو على البدائيين والهمج فحسب ، لأن كثيرا من المتعلمين فى الواقع يؤمنون بأفكار لايمكن تبريرها إلا على أساس غيبى هو لون من ألوان السحر .ولا يعنينا هنا أن يكون الإنسان واعيا أو غير واع بأن تفكيره قائم على السحر ، وإنما الذى يعنينا هو الركائز التى يقوم عليها تفكيره فعلا (١) .

---

(١) أنظر التفكير الخرافى ، المصدر السابق ، ص ٣٥ : ٣٧

(ﺣ) العرافة :

العرافة لغة هى حرفة العراف ، والعراف هو المنجم وطبيب العرب[1] . والعرافة witchcraft هى فن التنبؤ بواسطة الاتصال بالأرواح الشريرة . وترتد فى معناها الأصلى إلى معنى آخر عكس ما صار شائعا عنها . فلقد كان العراف هو الشخص صاحب الحكمة والبصيرة ، وقد استمدت هذه اللفظة الإنجليزية witch من كلمة wit ومعناها يعرف .

ولكن منذ حوالى القرن الخامس عشر اقتصر استخدام كلمة عرافة على الاشتغال بالسحر بواسطة التنجيم أو الرجم بالغيب سواء كان الممارس لها رجلا أو امرأة . والواقع أن السحرة والمنجمين معروفون فى جميع بقاع العالم . وقد اعتقد الناس دائما أنهم منوطون بقوى فائقة للطبيعة . وأهم الأسلحة التى يتذرع بها العراف زعمه أنه يستطيع الرجم بالغيب .

ويمكن القول أنه إذا ما تم ذلك باسم الإله المعترف به من قبل المجتمع اعتبر نبوءة ، وينال التقدير ، ويناط صاحبه بمسحة من التقديس ، ولكن على العكس من ذلك فإذا ما تم الرجم بالغيب عن طريق الاتصال بإله أو بروح غير معترف بها من جانب المجتمع عُدّ التنبؤ إذن عرافة وضربا من ضروب السحر . ذلك أن العرافة تمد جانبا من جوانب السحر . ولعل هذا التمييز بين الاثنين يظهر فيما قدمه موسى من معجزات وما قدمه السحرة أمام فرعون . فكل من موسى والسحرة اتهم الجانب الآخر بأنه يستلهم قوته من الشيطان . فمن وجهة نظر المصريين آنذاك كانت الأعمال الخارقة تتم بمساعدة الله الواحد الذى يعبده . وما يقال عن السحر باعتباره ممارسة

---

(٢) المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، ص ٦٠١ الجزء الثانى .

ينسحب أيضا على العرافة كرجم بالغيب ، والتنبؤ بما سيكشف عنه المستقبل من أحداث (١) .

(د) الكهانة :

الكهانة لغة هي حرفة الكاهن . والكاهن كل من تعاطى علما دقيقا . ومن العرب من كان يسمى المنجم والطبيب كاهنا .

وكهن له كهانة أخبره بالغيب فهو كاهن .

وكهن كهانة أى صار كاهنا ، أو صارت له الكهانة طبيعة وغريزة (٢) .

وقد كان المتداول على ألسنة العرب فى الجاهلية أن فى بلاد العرب نفر من الذين وصلتهم أسرار سليمان الحكيم السحرية ، يعيشون فى الواحات البعيدة عن الطرق المسلوكة وهؤلاء هم سحرة العرب . وكان هؤلاء السحرة يعرفون عادة فيما قبل الإسلام باسم الكهان . وكانوا يدعون المعرفة بالغيب .

وتذهب الروايات الإسلامية إلى أن الكهانة كانت أصنافا ، منها ما يتلقاه الكهنة من الجن إذ كانت الجن تصعد إلى السماء فيركب بعضها بعضا إلى أن يدنو الأعلى بحيث يسمع الكلام فيلقيه إلى الذى يليه إلى أن يتلقاه من يلقيه فى أذن الكاهن فيزيد فيه . فلما جاء الإسلام ونزل القرآن ، حرست السماء من الشياطين ، وأرسلت عليهم الشهب فبقى من استراقهم ما يتخطفه

---

(١) أنظر الموسوعة البريطانية ، المصدر السابق ، مجلد ٢٣ ، ص ٦٨٧

(٢) المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، ص ٨٠٩ ، الجزء الثانى

الأعلى فيلقيه إلى الأسفل قبل أن يصيبه الشهاب . وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى : « إلا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب » .

والنوع الثانى مايخبر به الجنى من يواليه بما غاب عن غيره مما لايطلع عليه الإنسان غالبا أو يطلع عليه من قرب منه لا من بعد .

والثالث ما يستند إلى ظن وتخمين وحدس ، وهذا قد يجعل الله تعالى فيه بعض الناس قوة مع كثرة الكذب فيه .

والنوع الرابع ما يستند إلى التجربة فيستدل على الحادث بما وقع قبل ذلك، وكانت إصابة الكهان قبل الإسلام كثيرة جداً ، وظهر من بين العرب نفر اشتهر منهم شق بن أنمار بن نزار وسطيح ابن مازن بن غسان وطريفة الكاهنة . ولهؤلاء وغيرهم قصص عجيبة طويلة تبين الخوارق والأعاجيب التى قاموا بها (١)

وقال الشمس بن عابدين : « والحاصل أن الكاهن هو من يدعى معرفة الغيب ، وينقسم إلى أنواع متعددة كالعراف ، والرمال ، والمنجم ، والكل مذموم شرعا، محكوم عليهم وعلى مصدقهم بالكفر إذ أن ما يدعون به هؤلاء السحرة والدجاجلة وهو معرفة الغيب شرك بالله الواحد الصمد (٢) .

بين العرافة والكهانة :

اختص بعض الدارسين العرافة بأنها التكهن بما خفى من أحداث الماضى، واختصوا الكهانة بأنها التكهن بما عسى أن يحدث فى المستقبل . ولكن هذا

---

(١) أحمد الشنتناوى ، المصدر السابق ، ص ٥٩ : ٦١

(٢) مصطفى فهمى الحكيم ، أسرار الجن . ص ٨ ١٦.

التخصيص ليس له مايبرره ، ويعززه ، لأن العرافة والكهانة بمعنى واحد ، إلا أن العراف كان أقل شأناً من الكاهن ، وكان الناس يقصدونه لمعالجة بعض أمراضهم ، أما الكاهن فكانوا يفزعون إليه لعرف الحوادث ، ويعتمدون عليه فى الفصل بينهم إذا ما تفاخروا وتفاخروا (١) .

(هـ) الشعوذة : Sorcery

الشعوذة خفة اليد والقيام بعمليات من أجل خداع المشاهدين . وهى فن يستعمل قوة غير عادية، فيقوم المشعوذ بأعمال تظهر الشيء للمشاهدين على غير ماهو عليه فى الواقع،ومرجع ذلك إلى خفة فى اليد، (وهذا مايعبر عنه حرفيا،فى الانجليزية Slight of Hand ،وتكتسب «خفة اليد» بممارسة الحيل وتنمية المهارة العضوية ، وبخاصة السرعة فى حركة الأصابع (هذا هو المعنى الحرفى للأصل اللاتينى للكلمة الفرنسية Prestidigitation) (٢) .

والشعوذة أو الشعبذة هى : « تأثير فى القوى المتخيلة ، يعمد صاحب هذا التأثير إلى القوى المتخيلة ، فيتصرف فيها بنوع من التصرف ويلقى فيها أنواعا من الخيالات والمحاكاة وصوراً مما يقصده من ذلك ، ثم ينزله إلى الحس من الرائين بقوة نفسه المؤثرة فيه فينظر الراءون كأنها فى الخارج وليس هناك شىء من ذلك » (٣) .

فالشعوذة إذن تختلف عن السحر ، لأن السحر ، قد يهدف إلى إخضاع القوى الطبيعية لإرادة الإنسان .

---

(١) أحمد الحوفى ، ألوان من استكناه الغيب فى العصر الجاهلى ، الهلال : يناير ١٩٧٥ ، ص ٢٢ .

(٢) محمد عزيز الحبابى ، معجم العلوم الاجتماعية ، ص ٣٣٨

(٣) ابن خلدون ، المقدمة ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، ص ٤٩٨ .

وتبدو الشعوذة ، أحيانا ، قريبة من السحر ، وهذا مايظهر جليا عند «الباقلانى» « السحر .. إنما هو تخيل وتمويه ، على نحو سحر سحرة فرعون . أما ما يعمله المشعبذون فهو نوع من الحيلة والخفة »[(١)] ولا تخلو الشعوذة من مهارة ومحاولة التسلية أحيانا .

ثالثا: المفهومات المتعلقة ببعض الوسائل والإجراءات السحرية الهامة:

١ — التعويذة :

من أهم الوسائل المستخدمة فى السحر التعويذة ، وهى عبارة عن كلمات مفهومة أو غير مفهومة يقولها الساحر أو يكتبها بطريقة معينة ويؤمر الشخص الذى تعمل التعويذة لصالحه بأن يضعها فى مكان معين سواء فى جسمه أو فى مكان قريب من جسمه ، أو فى مكان قريب من عدوه ، إذا كان يطلب قهر ذلك العدو أو إبطال مكائده والتغلب عليه .

ويمكن القول بوجه عام إن التعويذة هى سحر فردى، بمعنى أن المستخدم للتعويذة لا يكون جماعة من الناس بل يكون شخصا واحدا قبالة شخص واحد . فالعداء الفردى يدفع بكل من الشخصين المتخاصمين إلى الساحر بحيث لهما تعويذة، يدفع بها كل منهما كيد الآخر من جهة، ومن جهة أخرى يجلب على الطرف الآخر النوائب والمصائب بالمرض ، أو الفقر ، أو غير ذلك من أشياء مستكرهة[(٢)] .

---

(١) أبو بكر الباقلانى ، البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والسحر ، عنى بنشره ريتشارد مكارثى ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٥٨ ، ص ٣٢

(٢) أنظر يوسف مخيائيل أسعد، المرجع السابق ، ٢١٣

٢ — الحجاب :

«الأحجبة جمع حجاب. وقد اشتهر بين العوام المصريين استعمال الأحجبة، وأشهر من اشتهر بعملها المغاربة من أهالي تونس، والجزائر، ومراكش، ويليهم في ذلك السودانيون وبعض الفقهاء. والعادة أن تكتب بحبر أحمر، أو أخضر، ثم تطبق الورقة، وتوضع في جلد أحمر، ويعلقها في رقبته من أراد، ويكون الحجاب تحت الثياب. وبعض الناس يتعمد أن يكتب الحجاب بنجاسته حفاظا من العفاريت. ويقولون إن الجان أسرع في إنجاز الأغراض من غيرهم.

وبعض الناس يتقطعون لهذا العمل، وبعضهم يغالي فيه. وبعضهم يتحجب بالمصحف الشريف، ولذلك طبع في حجم صغير جدا ليوضع في الجيب الصغير. وبعض الأغنياء يضعه في علبة صغيرة من الذهب أو الفضة للتبرك. وقد ألف بعض العلماء كتبا في الأحجبة على اختلاف أنواعها: فحجاب لشفاء المريض، وحجاب لقضاء الحاجات، وحجاب لتحبيب الزوج في الزوجة وغير ذلك، ومن أشهر الكتب في هذا المجال كتاب مجربات الديربي الكبير»[١].

«ويؤمن المصريون بالأحجبة ومعظمها عبارة عن تعاويذ، أو آيات معينة من القرآن، وأسماء الله الحسنى وأسماء الملائكة، وأسماء الأنبياء المشهورين يتخلل هذا كله أرقام وأشكال هندسية يقال أن لها مجتمعة أثرا لا يعلم أحد. ويعتقد المصريون بقوة تأثير هذه الأحجبة وقدرتها على حفظهم من الأمراض، والسحر، والعين وغيرها من الشرور.

---

(١) أحمد أمين، قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية، ص ٢٥ .

ومن المناظر المألوفة فى مصر أننا نرى الأطفال يلبسون حجابا داخل علبة مثلثة الشكل يعلق فوق الطاقية لكى يقيهم شر العين، والخوف من العين يفسر لنا كثيرا من عادات المصريين وسلوكهم ، وحتى الخيول يعلقون على رؤوسها الأحجبة والتعاويذ. وهم يتخذون الحيطة دائما من العين ، ويحاولون جهدهم دفع أذاها وشرها »[1] .

٣ — التحويطة :

حجاب للوقاية يحمل تحرزا من أى عمل سحرى ضار يوجه للإنسان ، وتقوم فكرته على أساس أنه مادام الإنسان قادرا (من وجهة نظر المعتقد الشعبى) على استخدام السحر فى إيقاع الضرر بالآخرين فلابد أن الآخرين لديهم فى الوقت نفسه وبالدرجة نفسها قدرة على إيقاع الضرر به ولذا وجب عليه التحوط من الأعمال السحرية الضارة الموجهة إليه[2] .

٤ — الرقيـــة :

الرقية تعويذة يستعان بها من الشر، وقد تكون الرقية من عين حاسدة ، ولهم فى ذلك طرق كثيرة ، من ذلك أن تؤخذ قطعة من طرف ثوب صاحب العين وتحرق فى النار ، وتتلى عليها التعويذة .

ومن الرقى المستعملة كلمات تقال بعد وضع قليل من الملح فى كيس صغير ، ويعلق فى رقبة الأطفال . وهناك رقية خاصة تقال فى أيام عاشوراء ، وهى فى العشرة الأولى من المحرم ، فتعدد الأشياء التى فى البيت وتضاف إليها التعويذة، حتى لاتحسد[3] .

(١) «إدوارد وليم لين، إنجليزى يتحدث عن مصر» ترجمة فاطمة المحجوب ، ص ١٣٤

(٢) أنظر محمد الجوهرى ، علم الفولكلور ، ص ٢١٦

(٣) أحمد أمين ، المصدر السابق ، ص ٢١٢ .

٥ — العين :

العين إذا رفت فإن المصريين يتشاءمون بهذا إذا حصلت من إحدى العينين (اليسرى)، ويتفاءلون إذا حصلت من الأخرى . ويقولون إذا رفت أعينهم : اللهم اجعله خيرا .

وتطلق العين أولا على الحسد ، فيقولون للمحسود . أصابته عين . ويعتقدون أن بعض الناس فى عينه قدرة على الحسد تؤذى من أصابته ، ويداوون ذلك بالتعاويذ والبخور والأحجبة . ويقولون فى أمثالهم : « عين الحسود فيها عود »[1] .

٦ — الحسد :

يعتقد المصريون كثيراً فى الحسد وخلاصة هذه العقيدة أن بعض الناس عنده خاصية فى عينه ، إذا نظر إلى شىء أماته أو أتلفه . ومن غريب الأمر أن رجلا عظيما « كابن خلدون» يحكى مثل هذا ويقول أنه شاهد بعض الناس إذ انظر إلى خروف أو نعجة نظرة خاصة أماتها ، ثم إذا شرحت وجد قلبها قد تفتت . وقال أنه رأى فى بلاد المغرب جماعة من هذا القبيل يسمون « البعاجين » .

« ويعتقد المصريون أن الحسد يسكون على أتمه إذا نظر الحاسد وشفع نظرته بالشهيق . وكان من الشائع عند النساء أنه إذا نظر رجل تلك النظرة أسرعت المرأة وقالت له : « وراك ثعبان أو عقربة أو فار » فيلتفت وراءه لينظر إليه ، وبذلك يذهب سحر عينه .

ويداوون ذلك بأن يأخذوا قطعة من طرف ثوب الحاسد ويبخروا بها

---

(١) أحمد أمين ، المصدر السابق ، ص ٢١٢

المحسود ، سواء أكان إنسانا ، أو حيوانا ، أو أى شىء آخر .

ويزيد الاعتقاد بالحسد إذا اشتهى ماعند المحسود ، كأن يكون الحاسد فقيراً والمحسود غنيا ، أو عند المحسود مواش أو أموال يشتهيها الحاسد ، أو إذا كان الحاسد ليس له ولد والمحسود كثير الولد ويزعمون أن الحجاب يمنع العين . ولهم فى ذلك طرق منها وضع قليل من الملح الجريش فى كيس يعلق فى عنق الأطفال ، وكذلك ناب الذئب أو ناب الضبع ، أو رأس هدهد عليه ريش توضع فى قطعة من الستان الأحمر ، ويخاط عليها . وأحيانا يداوون الحسد بالرقى من ذلك رقية مشهورة وهى : « بسم الله أرقيك ، من كل شئ يؤذيك . ومن كل عبد حاسد بسم الله أرقيك ، والله يشفيك ، من كل نفس أو عين » .

ومن هذه الطرق أن يوضع قليل من الملح فوق جمر من النار ، ويقف المحسود ، ويجعل الجمر بين رجليه ، وتتلى الرقية المذكورة ، ثم تجعل الراقية وجهها فى وجه الذى ترقيه ، وتتثاءب بشدة حتى يتثاءب المحسود .

وأحيانا تأتى بعض العجائز فتوقد نارا ، وترمى فيها شيئا من « الشب » وتذكر أسماء الذين يظن أنهم الحسدة ، وتأخذ دبوسا أو ابرة فتضعه فى عين الصورة التى تحول إليها الشب ، وتقول : فقأ الله عينها .

وقد تأخذ قطعة من الورق ، وتشك فيها الدبوس مرات متعددة فى كل مرة تقول : من عين فلانة ، ثم يبخر المحسود بهذه الورقة مع الملح . (١)

٧ — الاستخارة :

الاستخارة ضرب من قراءة الغيب ، فيستخيرون بالسبحة ، تؤخذ مجموعة من الحبات اعتباطا ، وآخر حبة هى القول الفصل فى أن يفعل الشىء أو لا يفعل .

---

(١) أنظر أحمد أمين ، المصدر نفسه ، ص ١٦٧ ، ١٦٨ .

وأحيانا يستخيرون بالمصحف يفتحونه كيفما اتفق ، ويستخيرون بورق يقطعونه ، ورقة فيها نعم ، وورقة فيها لا ، ويستخيرون بأول قادم يطلع عليهم ، إن كان مليح الوجه أورديئه ، وهى شائعة عند المصريين .

٨ — المندل :

يقول أحمد أمين فى قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية ، أنه شاهد مرة مندلا لإظهار سارق شيئا .

« فأتى صاحب المندل بطفل فى نحو السابعة أو الثامنة واختاره بواسطة رسم كفه، فهم يعتقدون أنهم إذا كان كفهم يقرأ ٧١ ،أو ١٧، كان الأطفال أقرب إلى نجاح المندل . وبعد أن أحضر صاحب المندل الطفل صب فى يده اليمنى نقطا من زيت مع إطلاق البخور . ثم سأل الطفل هل ترى مكانا مرشوشا وكراسى مصفوفة ؟ ولايزال بالطفل حتى يقول رأيت . ثم يسأله هل ترى فى هذا المكان أحد ؟ فيقول بعد طول وقت : نعم رأيت . ويسأله عن صفة هذا الرجل ومايلبسه فيقول أرى رجلا أو أمرأة صفته كذا ، ثم يطبقون هذه الأوصاف على شخص يعرفونه فيكون هو اللص . وهو نوع من الإيحاء »[1] .

٩ — الربط :

الربط هو عمل سحرى يعمله الشيخ ويتلو عليه عزائم ، يزعم الناس أنه يعوق الرجل عن الإتيان بالأعمال الجنسية ، ولذلك يلجأ المربوط إلى الشيخ أو شيخ آخر ، يحل هذا الربط ، فإذا حل ، عاد الرجل إلى طبيعته الأولى ، ويكثر ذلك فى القرى[2] .

(١) المصدر نفسه ، ص ٣٨٠

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٠٩

الفصل الثالث

تصنيفات السحر – عرض تحليلى نقدى

تمهيد

يذهب العلماء والباحثون فى تصنيف السحر إلى تصنيفات ومذاهب شتى. ويرجع الاختلاف فى التصنيف إلى الخلفيات المتباينة لهؤلاء العلماء والباحثين، ومنطق التصنيف لدى كل منهم. فبعضهم يصنفه تصنيفات وصفية، ومنهم من يصنفه تصنيفات وظيفية ومنهم من يتجه إلى التصنيفات الإجرائية. ونلاحظ أن غالبيتهم يتجهون إلى التصنيفات الثنائية للسحر. فهناك من يصنفه إلى سحر أبيض وسحر أسود. وهناك من يصنفه إلى سحر سلبى وسحر إيجابى. ويذهب البعض إلى تقسيمه إلى سحر تعاطفى وآخر تشاكلى، أو إلى سحر حقيقى وسحر غير حقيقى، أو إلى سحر رسمى وآخر شعبى. كما أن هناك نفر من الباحثين ينفرد كل بتصنيفه المتفرد للسحر. وفيما يلى عرض تحليلى لأهم تصنيفات السحر عند علماء الأنثروبولوجيا والاجتماع، ثم عند علماء المسلمين.

أولا : تصنيفات السحر لدى علماء الأنثروبولوجيا والاجتماع :-

١ — السحر الأسود والسحر الأبيض :

من أشهر تقسيمات السحر تقسيمه إلى سحر أسود وسحر أبيض. ويعد « فريزر Frazer » من أهم العلماء الذين ذهبوا هذا المذهب فى تقسيم السحر. والسحر الأسود سحر ضار يمارس بقصد إلحاق الأذى بالآخرين، أو على الأقل لإيذاء شخص ما من أجل شخص آخر، أو لتحقيق نفع شخص ما على

حساب شخص آخر ، وهذا الشكل من السحر شائع شيوعا كبيراً فى كل المجتمعات والثقافات فى كل العصور .

أما السحر الأبيض فإنه يخدم أهدافا أخرى مختلفة عن ذلك تماما كما أنه أكثر أهمية من وجهة نظر المجتمع نظراً لأنه يحقق أهدافا عملية تعود بالنفع على المجتمع ككل ولا تتعارض مع قيم ذلك المجتمع . ويتمثل السحر الأبيض فى أكثر صوره انتشاراً فى التعاويذ والطلاسم والرقى التى يستعين بها المرء لإنجاز أعماله اليومية وتحقيق الأهداف التى قد يعجز عن تحقيقها بقواه الخاصة . ولذا فإن السحر الأبيض له فروع كثيرة متخصصة تتنوع تبعاً لتنوع الحياة الاقتصادية على الخصوص ، فهناك سحر خاص بقنص الحيوان وسحر خاص بصيد السمك أو بفلاحة البساتين أو بصناعة الفخار . وإن تكن هناك فروع أخرى تتعلق بغير ذلك من أنواع النشاط الإنسانى كما هو الحال مثلا فى السحر الخاص بالحب . وهذا معناه فى الحقيقة أنه من الصعب جداً إحصاء الصيغ السحرية وتصنيفها . تلك الصور التى قد توجد لدى أى شعب من الشعوب بل حتى لدى أى قبيلة من القبائل الصغيرة العدد .

ويجمع العلماء على أن أهم نوعين من السحر الأبيض فى كل أنحاء العالم هما السحر الخاص بالتنبؤ بالمستقبل أو التنبؤ بالغيب ، والسحر الخاص بالعلاج أو التداوى أو التطبيب . وترجع أهميتهما إلى الدور الذى يلعبانه فى حياة الإنسان والمجتمع من جهة ، وإلى أن ممارستهما تحتاج إلى كثير من التخصص والدراية والمهارة من جهة أخرى[١] .

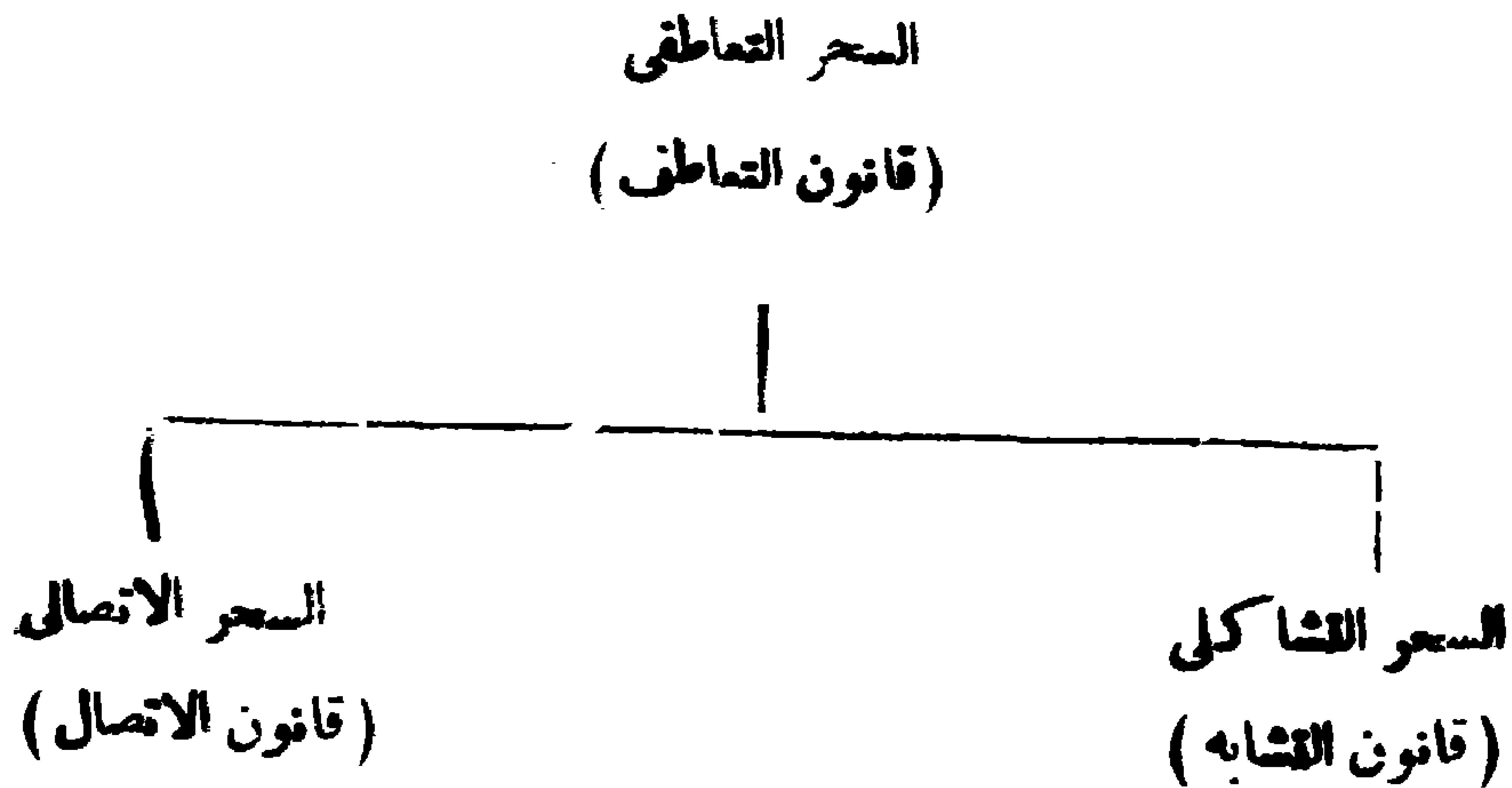
---

(١) أنظر سير « جيمز فريزر » الغصن الذهبى ، ص ١٠١ ، ١٠٢ .

٢ — السحر التشاكلى ، والسحر الاتصالى :

ويمكن فهم هذين النوعين من السحر فهما أوضح إذا أطلقنا عليهما تسمية واحدة شاملة وعامة مثل السحر التعاطفى ، نظراً لأن الاثنين يفترضان إمكان تأثير الأشياء بعضها فى بعض من بعيد عن طريق نوع من التعاطف الخفى ، بحيث ينتقل ذلك التأثير من شىء لآخر خلال ما يمكن تصوره على أنه نوع من الأثير الشفاف . ولا يختلف الأمر هنا عما يسلم به العلم الحديث من أجل غرض مماثل تماما وهو تفسير كيفية تأثير الأشياء فيزيقيا بعضها فى بعض خلال الفضاء الذى يبدو خاليا

ويمكن أن نضع قسمى السحر المذكورين فى الشكل التالى تبعا لقوانين الفكر التى يستندان إليها :



وسوف نوضح عن طريق الأمثلة كلا من هذين القسمين الكبيرين للسحر التعاطفى بادئين بالسحر التشاكلى .

(ا) السحر التشاكلي : homoepathic magic

فالسحر التشاكلي ويعرف أحيانا بسحر المحاكاة imitative magic يقوم على استخدام مبدأ التشابه « الشبيه ينتج الشبيه » . ومن أبرز المحاولات استخداما لمبدأ التشابه ، وأكثرها شيوعا وانتشاراً هي المحاولات التي يقوم بها كثير من الناس في مختلف العصور لإلحاق الأذى أو الدمار بأعدائهم عن طريق إيذاء صورهم أو تدميرها ، اعتقاداً منهم أن ما يلحق بالصورة من شر وضرر يلحق بالتالي بصاحبها ، وأنه حين يتم تدمير الصورة يموت الأصل بالضرورة .

وقد قامت هذه الممارسات منذ آلاف السنين عند سحرة الهند القديمة وبابل ومصر وكذلك في بلاد اليونان وروما ، كما أنها لا تزال شائعة عند الجماعات البدائية في أستراليا وأفريقيا .

فالهنود الحمر في أمريكا الشمالية يعتقدون أن رسم صورة الشخص في الرمل أو الرماد أو الطين أو الحصول على أي جزء من جسمه ونخسه بقطعة حادة من الخشب أو إلحاق أي نوع آخر من الأذى به يستتبعه إلحاق أذى مماثل بالشخص ذاته الذي تمثله هذه الصورة . وعلى ذلك فحين يريد شخص عند هنود «أجبواي ojebway» إيذاء أحد أعدائه فإنه يصنع له تمثالا صغيراً من الخشب ثم يغرز إبرة في رأسه أو قلبه أو يطلق عليه سهما ، اعتقاداً منه أن عدوه سوف يشعر بآلام حادة نفاذة في ذلك الجزء من جسمه الذي يقابل الموضع الذي أصابته الإبرة أو السهم من التمثال . أما إذا كان يريد قتل عدوه مباشرة وفي التو واللحظة فإنه يحرق التمثال أو يدفنه وهو يردد بعض الصيغ السحرية . كذلك كان الهنود الحمر في «بيرو» يصنعون من الدهن المخلوط

بالحفطة تماثيل على هيئة الأشخاص الذين يكرهونهم أو يرهبونهم ويحرقونها فى الطريق الذى يسلكه هؤلاء الأعداء ، ويعرف ذلك عندهم باسم « حرق الروح » .

والحقيقة أن هذا الأسلوب من السحر شائع جدا فى كل المجتمعات المعروفة مع خلاف فى درجة الممارسة والتطبيق . ويوجد هذا الأسلوب فى مجتمعاتنا كما هو الحال مثلا فى صنع « عروسة » من الورق وغرزها بالإبرة فى عدة مواضع ثم إحراقها لإبطال الحسد .

ويستخدم السحر التشاكلى أو سحر المحاكاة فى بعض الأحيان — وإن كان بدرجة أقل بكثير — فى تحقيق النوايا الطيبة نحو الآخرين ومساعدتهم فى الحياة ، فكثيرا ما يستخدم لتسهيل عملية الوضع والولادة ومنح النسل والذرية للنساء العاقرات .

ومن الأوجه المفيدة الأخرى التى يستخدم فيها السحر التشاكلى الاستعانة به فى معالجة الأمراض أو الوقاية منها . ولقد كان الهندوس القدماء يمارسون بعض الطقوس الدقيقة التى ترتكز على السحر التشاكلى لعلاج مرض الصفرة أو اليرقان ، وكان الهدف الأساسى من هذه الطقوس هو نقل الصفرة من جسم المريض إلى الكائنات والأشياء الصفراء الأخرى مثل الشمس التى تنتمى إلى ذلك اللون عن جدارة ، ثم حقن المريض باللون الأحمر الذى يدل على الصحة والعافية وذلك من أحد المصادر التى تتمتع بالحيوية والقوة مثل الثيران الحمراء . ولكى يتم ذلك كان أحد رجال الدين عندهم يتلو الرقية التالية « سوف تصعد إلى الشمس آلام قلبك ومرض الصفرة ، وسوف نغمسك فى لون الثور الأحمر . إننا نغمسك فى الأصباغ الحمراء لتنعم بالحياة طويلا . ألا فلتتحرر وتتخلص من ذلك اللون الأصفر . إننا نضفى عليك صورة وحيوية تلك الأبقار التى تنتمى إلى الإلهة « روهينى » الحمراء . إننا ننقل صفرتك إلى الببغاوات

وطيور الدج وغيرها من الطيور الصفراء » . ولـكى يسرى وحيق الصحة الوردى فى جسم المريض الشاحب فإنه يرشف ـ أثناء ترديد رجل الدين لهذه الـكلمات ـ بعض رشفات من الماء الممزوج بشعر ثور أحمر، وذلك بعد أن يكون رجل الدين قد سكب الماء فوق ظهر الحيوان ليقدمه للمريض ويجلس المريض أثناء ذلك فوق جلد دب أحمر وقد ربط قطعة من ذلك الجلد إلى جسمه .

وزيادة على ذلك فإن السحر التشاكلى بخاصة ، يلعب دوراً كبيراً فى الإجراءات التى يتخذها قانصو الحيوانات وصيادوا السمك عند الشعوب الهمجية لضمان الحصول على قدر وافر من الطعام . فتبعا لمبدأ « الشبيه ينتج الشبيه » يقوم الصياد وأصدقاؤه بكثير من الأعمال التى تهدف عمدا إلى محاكاة النتائج التى يريدون الوصول إليها ، بينما يتجنبون من الناحية الأخرى كثيراً من الأمور التى تشبه من بعض الوجوه الأشياء التى يعتقدون أنها ضارة ومؤذية .

وهذا يفسر لنا تلك العادة التى كان يلجأ إليها الإنسان المبكر فى عصور ماقبل التاريخ من رسم صور الحيوانات وقد انغرزت فى أجسامها الحراب أو السهام كما هو الحال فى كهوف العصر الحجرى القديم . إذ بمثل هذه الحيلة كان قانصو الحيوانات يتحكمون فيها مقدما بقصد التمكن من قتلها بالفعل أو على الأقل استدراجها إليهم (١) .

وقد يلجأ الناس فى بعض الاحوال إلى السحر التشاكلى أو سحر المحاكاة للتغلب على الفأل السيء وإبطال مفعوله ، وذلك عن طريق المحاكاة وتقليد النتائج المتوقعة ، على أمل أن تخدع هذه العملية القدَر المحتوم فيتم

(١) أنظر فريزر ، المصدر نفسه ، ص ١٠٩ ، ١١٠ ، ١٢٣ .

استبدال الكارثة الوهمية بالنكبة الحقيقية . وهذا الأسلوب فى خداع الأقدار يستخدم بطريقة منهجية منظمة فى مدغشقر ، حيث يعتقد الناس أن حظ المرء فى الحياة يتأثر بيوم وساعة مولده . فإذا صادف مولده ساعة نحس مثلا كان النحس هو قدره المحتوم إلا إذا أمكن إبعاد الشر — أو نزعه كما يقولون — عن طريق إيجاد بديل له . وثمة طرق كثيرة متنوعة لتحقيق ذلك . فإذا عبس القدر لشخص ما عند مولده ، واختاره الفقر حليفا له ، فانه يستطيع بسهولة أن يبعد عنه شبح الفاقة ، وذلك بأن يشترى اثنتين من اللآلى الرخيصة التافهة ويدفنها فى التراب فالأثرياء وحدهم هم الذين يستطيعون فى هذا العالم الاستغناء عن اللآلى ورميها .

كذلك يعد شهر نوفمبر الذى تهطل فيه الأمطار بغزارة شهر الدموع ، وعلى ذلك فإن الطفل الذى يولد فى ذلك الشهر إنما يولد للحزن والأسى ، ولكى تنقشع الغيوم التى تتجمع فوق مستقبل حياته يتحتم عليه أن يرفع بيديه الغطاء عن إناء به ماء مغلى وأن يحركه حول جسمه حتى تحقق القطرات المتساقطة من الغطاء مصيره وقدره لأنها تحل محل الدموع التى كان مقدرا أن تنهمر من عينيه حين يكبر .

(ب) السحر الاتصالى : Contagious Magic

رأينا أن المبدأ الرئيسى فى السحر التشاكلى أو سحر المحاكاة هو أن « الشبيه ينتج الشبيه » وهذا معناه بقول آخر أن المعلول يشبه علته ، والفرع الكبير الثانى للسحر التعاطفى هو السحر الاتصالى ، وهو يقوم على فكرة أن الأشياء المتصلة تظل — حتى بعد أن تنفصل تماما أحدها عن الآخر — فى علاقة تعاطف بحيث أن ما يطرأ على أحدها يؤثر بالضرورة تأثيراً مباشراً على الآخر . وعلى ذلك فالأساس المنطقى للسحر الاتصالى هو وجود نوع من الترابط الخاطئ بين الأفكار كما هو الحال بالنسبة للسحر التشاكلى .

وربما كان أشهر مثال للسحر الاتصالى هو التعاطف السحرى الذى يفترض وجوده بين الإنسان وأجزاء جسمه كالشعر والأظافر حتى بعد أن تنفصل هذه الأجزاء عنه بحيث أن وقوع شعر شخص ما أو أظافره فى يد شخص آخر يجعله خاضعا لإرادته مهما بعدت المسافة بينهما . وتشيع هذه الخرافة فى العالم كله . ويورد « فريزر » عليها كثيراً من الأمثلة [١] .

ومن الأجزاء الأخرى التى يعتقد كثير من الناس باستمرار وجود الصلة التعاطفية بينها وبين الجسم بعد أن تنقطع كل الروابط الفيزيقية بينهما حبل السرة وكل ماينزل من جوف المرأة بعد الولادة بما فى ذلك المشيمة . والواقع أن الناس يرون أن هذه الصلة تتمتع بدرجة من القوة والمكانة بحيث تحدد أقدار الأفراد وحظوظهم فى الحياة ، ونصيبهم من الخير والشر . ومن هنا كان الاعتقاد بأن المحافظة على الحبل السرى والمشيمة والعناية بهما تؤثران تأثيراً مباشرا فى نجاح الشخص، بينما أن تعريضهما للتلف والضياع يكون له تأثير مماثل على صاحبهما . ومن هنا كان الاعتقاد الشائع عند بعض قبائل غرب أستراليا بأن إجادة الرجل للسباحة أو فشله فيها أمر يتوقف على ما إذا كانت أمه قد ألقت بحبله السرى فى الماء بعد الولادة أو لم تفعل . وحتى فى أوربا نفسها (فى القرن ١٩) نجد كثيراً من الناس يعتقدون أن مصير الشخص مرتبط إلى حد ما بحبله السرى أو بمشيمته . ومن هنا كان الناس فى المناطق المتاخمة من بافاريا لنهر الرين يلفون الحبل السرى فى قطعة قماش من التيل القديم ويحفظونه لفترة معينة من الزمن يقطعونه بعدها إلى أجزاء صغيرة أو يخزونه عدة مرات تبعاً لما إذا كان الطفل ذكرا أو أنثى حتى يشب صانعا ماهرا أو خياطة حاذقة [٢] .

---

(١) المصدر نفسه ص ١٧٨ — ١٨٠ .

(٢) المصدر نفسه ص ١٨٠ ، ١٨٥ ، ١٨٩ .

وفى ريف مصر نجد أيضاً هذا الاعتقاد بأن المحافظة على الحبل السرى والمشيمة والعناية بهما تؤثران فى نجاح الشخص، بينما أن تعريضهما للإهمال والضياع يكون له التأثير نفسه على صاحبهما. ومن العادات المتبعة فى التخلص من الخلاص، أن يرمى فى الصاغة اعتقادا أن هذا يجعل الطفل ثريا فى المستقبل، أو يرمى فى ماء البحر أو النهر أو الترع إعتقادا أن هذا يجعل جروح الطفل فى المستقبل سريعة الالتئام بغسلها بالماء. ويفضل البعض رمى الخلاص للكلاب أملا فى أن تكون الزوجة ولودا مثل أنثى الكلب المعروفة بكثرة خلفها.

هذا بالنسبة للتخلص من الخلاص. أما بالنسبة لباقى الحبل السرى الذى يترك متصلا بالسرة ومغطى بالملح والقماش، فإنه يذبل ويسقط من نفسه فى اليوم السابع عادة أو بعد ذلك بقليل.

وهنا تؤخذ هذه البقايا الجلدية الذابلة وترمى على عتبة محل بقالة أو أقمشة، أو فى وكالة حبوب، أو وكالة قطن، أملا فى أن يكون الطفل فى المستقبل تاجرا من التجار الأثرياء. وتفضل بعض الريفيات أن ترمى هذه البقايا أمام عتبة كتاب القرية، أملا فى أن يشب الطفل مقبلا على حفظ «كلام الله» أى القرآن. ومن العادات الشائعة أيضاً، أن ترمى هذه البقايا فى الحقل أملا فى أن يكون الطفل فى المستقبل زارعا ماهرا. هذا إذا كان المولود صبيا، أما البنت، فإن بقايا حبلها السرى ترمى عادة أمام عتبة المنزل رمزا لأن العمل المرغوب فيه لها فى المستقبل هو أن تكون ربة بيت ناجحة[1].

٣ — السحر الإيجابى والسحر السلبى:

(١) السحر الإيجابى:

يقول السحر الإيجابى أو الطلسم «افعل كذا لكى يحدث كذا»

(١) فوزية دياب، القيم والعادات الاجتماعية، ص ٣١٦، ٣١٧.

ويهدف السحر الإيجابى إلى تحقيق شىء مرغوب فيه ، مثال ذلك إقبال الرجل البدائى على أكل كثير من الحيوانات والنباتات لكى يكتسب منها بعض الصفات المرغوبة التى يعتقد أنها متأصلة فيها(١) .

ب) السحر السلبى :

يقول السحر السلبى أو التابو « لا تفعل كذا حتى لا يحدث كذا » ويهدف إلى تجنب شىء مرغوب عنه .

ومع ذلك فإن كلا النتيجتين — أى المرغوب فيها والمرغوب عنها — تحدثان تبعا لقانونى التشابه والاتصال . وكما أن النتيجة المرغوب فيها لا تتأثر فى الحقيقة والواقع بمراعاة الطقوس السحرية كذلك النتيجة المكروهة أو المرغوبة لا تنتج فى الحقيقة والواقع من خرق التابو . وإذا كان الشىء المفترض حدوثه ينتج بالضرورة من خرق التابو ، فإن التابو لا يصبح مجرد تحريم وإنما يصبح أحد القواعد الأخلاقية أو قواعد الإدراك السليمة . فليس من التابو أن نقول « لا تضع يدك فى النار » وإنما هذه قاعدة من قواعد الإدراك السليم ، لأن الفعل المنهى عنه يؤدى إلى أذى متخيل أو متوهم . وبالجملة ، فإن هذه القواعد السلبية التى نسميها تابو أشياء عديمة النفع والجدوى تماما مثل القواعد الإيجابية التى نسميها طقوس ، وكل ما فى الأمر أن الاثنين يمثلان ناحيتين متقابلتين أو قطبين لأغلوطة كبيرة منجمة ، أو لتصور خاطىء لترابط المعانى . فالطقس هو القطب الموجب فى هذه الأغلوطة ، بينما يؤلف التابو القطب السالب .

ومن الأمثلة الجيدة للسحر السلبى ، تلك التحريمات التى تفرض على

---

(١) فريزر ، المصدر السابق ص ٣٨ .

تناول أنواع معينة من الطعام . فالرجل البدائى مثلا يتجنب تناول بعض الأنواع من الحيوان والنبات لكيلا تنتقل إليه منها الخصائص غير المرغوبة التى يعتقد أنها كامنة فيها . فمن المعلوم مثلا أنه يحرم على المحاربين فى مدغشقر تناول أنواع معينة بالذات من الطعام خشية أن تنتقل إليهم – تبعاً للسحر التشاكلى – بعض الصفات الضارة أو المكروهة التى تعتقد الناس أنها متأصلة فى تلك الأطعمة . فهم يحرمون عليهم مثلا أكل ركبة الثور حتى لا تضعف ركبتا المحارب وتصبحان مثل ركبتى الثور فلا يقوى على المشى الطويل كما أن الناس فى مدغشقر يحرمون ذبح الذكور من الحيوانات فى بيوت الجنود أثناء وجودهم فى الحرب حتى لا يترتب على قتل الحيوان قتل الرجل نفسه .

ويتضح لنا مما سبق من أمثلة عن التابو ، أنها تفترض أن مفعول السحر يسرى ويمتد إلى مسافات بعيدة . وإذا كان العلم يثير كثيرا من الشكوك حول إمكان التأثير من مسافة كبيرة فإن السحر لا يعرف مثل هذه الشكوك . فالإيمان بالتأثير عن بعد (telepathy) يعد أحد المبادىء الهامة فى السحر[1] .

٤ — السحر الرسمى والسحر الشعبى:

يفرق « محمد الجوهرى » فى مقال له بعنوان « السحر الرسمى والسحر الشعبى » . بين قسمين أو نوعين من السحر ، الأول هو السحر الرسمى ، والثانى هو السحر الشعبى ، وهو يرى أن السحر الرسمى يخاطب فئة محدودة من الناس هم السحرة المحترفون . المشايخ المعروفون لنا جميعا فى ريف بلدنا

---

(١) المصدر نفسه ، ص ١٣٩ .

وحضرها ، أما السحر الشعبي فهو ملك لنا جميعا ، فنحن نعيشه ونمارسه كل يوم .

فالسحر الرسمي فى رأى الباحث هو سحر الخاصة أما السحر الشعبي فهو سحر العامة . . سحر عامة الشعب(١) ، لذلك يحرص السحر الرسمي بشدة على أن يبقى على خصوصيته ، وعلى ألا يذاع (سر المهنة) مهددا قارئه ، أو محيله فى أكثر من موضع ـ على لسان المؤلف نفسه أو على لسان ملاك أو خادم فى سياق معين ـ بأن يبطل مفعول هذا التأثير إن هو باح به لأحد(٢).

ولهذا يتصدر كتاب أساسى من كتب السحر الرسمي وهو « شمس المعارف الكبرى » للبونى على الصفحة الثالثة من المجلد الأول مايلى :

« إنه كتاب الأولياء والصالحين الطائعين والمريدين والعاملين الراغبين » ويرتبط بهذا أوثق الارتباط أن يطلب الساحر الرسمي فى تفتيح كتابه أو رسالته أن يضن من تصل إليه هذه المعلومات ، يضن بها على الآخرين وألا يبوح بما تحويه من أسرار .

ويقول البونى فى الافتتاحية المشار إليها : « فحرام على من وقع كتابى هذا فى يده أن يبديه لغير أهله ، أو يبوح به فى غير محله ، فإنه إن فعل ذلك

---

(١) يعد « مالينوفسكى » أول من ميز بين سحر المتخصصين ، وسحر العامة ، وذلك عام ١٩٢٢ ، عندما ذكر أنه لا بد من التفرقة بين سحر المتخصصين المبنى على المعرفة السحرية ، وسحر العامة المبنى على المعرفة العادية .

أنظر B. Malinowski, Argon uts of the Western Pacific.

(٢) أنظر على سبيل المثال ، البونى : شمس المعارف الكبرى ، جـ ١ ، ص ١٢٩ ، وانظر أيضا منبع أصول الحكمة للبونى ص ٢٤١ (النص السابق نفسه مختصرا) .

حرمه الله تعالى منافعه ومنعت عنه فوائده وبركته . ولا تمسه إلا وأنت طاهر ، ولا تقربه إلا إذا كنت ذاكرا ، لتفوز منه بما تريد ، ولا تصرفه إلا فيما يرضى الله تعالى . فكن به ضنينا ، ولا تدع منه قليلا ولا كثيراً وليكن يقينك صادقا وإيمانك بحقائقه واثقا . . »

ويفبه الباحث ابتداء بأن حديثه محدود بحدود السحر الإسلامى المصرى ثم يورد خمسة اختلافات أساسية بين ميدانى السحر الرسمى والسحر الشعبى تتلخص فيما يلى :

١ — النظرة إلى العالم .

٢ — الموضوعات الأساسية التى يدور حولها كل ميدان منهما .

٣ — الشكل الذى يحفظ ويتوارث به كل نوع منهما .

٤ — مصادر التأثير على كل نوع ، أو على الأقل ترتيب أهميتها .

٥ — مدى شدة الحاجة الدافعة إلى اللجوء للسحر فى كل منهما .

أما بالنسبة للنظرة إلى العالم ، فإن الساحر الرسمى يعتقد أن الله خالق نظام هذا العالم والمسيطر عليه ، وأن هذا النظام لا يخضع لإرادة غير إرادته . هو الذى خلق كل شىء ، وأنه قد سار فى ذلك وفق بعض الأسس السحرية من هذا مثلا : أنه خلق كل شىء بقوة اسمه هو ، وخلق الأشياء الطيبة فى الوقت الطيب المناسب ، وخلق الأشياء الضارة فى الوقت النحس غير المناسب ، وخلق لكل شىء ملاكا أو روحا أوكل إليه الإشراف عليه .

وتمثل هذه العناصر الأركان الأساسية للعملية السحرية . فالاسم يمثل فى جميع الثقافات التقليدية قوة خاصة . وهو مرتبط بشخصية صاحبه بواسطة

قوة روحية . وقد لعبت هذه الخاصية السحرية للاسم — ولا زالت تلعب — دورا هاماً للغاية فى الحياة الروحية لجميع الشعوب وفى جميع العصور .

وهنا أيضاً تلعب الأسماء — سواء كانت أسماء إلهية أو غير ذلك — الدور الأساسى . ويعد ميدان علم الأسماء تتويجا للميادين الأخرى كعلم الحروف ، وعلم الخواتم والأشكال ، والمربعات ، والتنجيم ، وغيرها ، فهى تعد جميعا ذات أهمية ثانوية بالنسبة لهذا «العلم» . أما من حيث ارتباط العمل السحرى بوقت معين ، فهنا تتجلى لنا العلاقة القوية المتبادلة بين علم الأسماء وعلم التنجيم . فالساحر يرى أن الاسم الإلهى لا يمكن أن يستخدم هكذا فى كل وقت من الأوقات . وإنما لكل اسم منها وقت خاص به يجب استخدامه فيه . ويتوقف تحديد هذا الوقت على عاملين :

(١) طبيعة الوقت نفسه إن كان سعيدا أو نحسا .

(ب) طبيعة ومزاج الملاك الموكل بالاسم .

أما من حيث الملائكة الموكلين فيرى السحر الرسمى أن لكل مخلوق ملاك موكل به . ولكل اسم من أسماء الله خادم موكل به ، كما أن هناك خادما لكل آية قرآنية ، وكل حرف من الحروف الأبجدية ، بل وكل دعوة (رقية) .

وليست الملائكة الخدام قاصرة فقط على هذه الأشياء (المقدسة) وإنما هناك أيضا خادم لكل يوم من أيام الأسبوع ، ولكل ساعة من ساعات اليوم ، ولكل فصل من فصول السنة ، وكل نوع من الرياح ، وكل اتجاه من الاتجاهات الأربع .

ويرى الساحر الرسمى ، أن مهمته هى خلق كل شىء وفقا للمبادىء التى

اتبعت فى الخلق الإلهى بقدر الإمكان . والمقصود بكلمة «خلق» هنا صنع شىء جديد أو تغيير شىء قائم فعلا . وهو يحاول فى هذا الصدد أيضا استخدام الوسائل نفسها التى استخدمها الله فى خلق العالم . ولذلك لا يمكن أن ينجح له أى عمل دون إذن وتفويض من الله . ونلاحظ أن السحرة الرسميين يؤكدون هذا فى كل مناسبة ، وعند تقديم أى وصفة سحرية . ولا يمكن أن تتحقق فاعلية أى من الوسائل التى أشرنا إليها : أسماء الله واختيار الوقت المناسب والحروف .. الخ إلا من خلال القوة التى يضفيها الله عليها ، ومن خلال مساعدة خدامها من الأرواح الذين هم خلق الله تعالى(١) .

ويورد محمد الجوهرى مصداقا لذلك نصا من كتاب « شمس المعارف الكبرى » للبونى — وهو كتاب أساسى فى السحر الرسمى — يقول فى بدايته عن شرح الأسماء الحسنى : (. . اعلم أن اسمه تعالى الله هو اسم الله الأعظم ، وهو من الأذكار المفردة العظيمة . فمن ذكره ٦٦ مرة بعد صلاة ركعتين فى جوف الليل بعد صوم ورياضة طويلة فإنه ينزل عليه سيد الروحانيين الملك كهيائيل عليه السلام وهو من الملائكة التى تجاه العرش وهو حاكم على ٦٦ صفا من الملائكة وتحت كرامته أربع قواد تحت يد كل ٦٦ ملكا فإذا ذكره الذاكر عدده فى خلوته فإن الخادم يحضر ويخر ساجدا لله تعالى ويقول فى سجوده أسماء عظيمة سريعة الإجابة وهى اللهم إنى أسألك بالله . . أسألك بأحديتك وصمديتك ونعوت ربوبيتك أن عبداً من عبيدك قد شاركنا فى التسبيح والتقديس والأمر أمرك فإن أمرتنا بالنزول إليه فبإرادتك . فيقول الله تعالى انزلوا إليه واقضوا حاجته فإنه دعا باسمى

(١) أنظر محمد الجوهرى ، السحر الرسمى والسحر الشعبى ، المجلة الاجتماعية القومية ، المركز القومى لبحوث الاجتماعية والجنائية ، العدد الثانى ، مايو ١٩٧٠ ص ٦ — ٨ .

الأعظم . فينزل ومن معه إلى الذاكر ، ويقول له : أيها العبد الصالح . .)

يترتب على هذا منطقيا أن اتباع الطرق والأساليب الواردة والمفصلة فى كتب السحر المختلفة عند تقديم وصفة سحرية معينة لابد أن يقود حتما إلى النتيجة المطلوبة . ولكن ماذا لو تأخرت النتيجة أو احتجب التأثير المنشود تماماً ؟ تفسير ذلك عند الساحر الرسمى أمر يسير : فالخطأ طبعا راجع إلى شخص الساحر المنفذ وليس كامنا فى طبيعة التكنيك المستخدم أو راجعا إلى قصور فى قوة الاسم الإلهى أو غيره من عناصر العملية السحرية . ولذلك يقول البونى : « . . وإن لم تحصل الإجابة فمن تقصيرك فإن هذا الدعاء لا يخيب من دعا به موقنا مخلصا أكالا للحلال ، صواما ، قواما ، صاحب صلاة ورياضة وصدق نيّة . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن يدعو والمطعم حرام والمشرب حرام والملبس حرام أنى يستجاب له . فعليك بالحلال يستجاب لك لأنه دعاء الأولياء والأصفياء » .

أما بالنسبة للساحر الشعبى ، فالفكرة أبسط من هذا بكثير . حقيقة أنه يُسلِّم — كمسلم — بأن كل شىء فى هذا العالم يخضع لإرادة الله . ولكنه يعتقد مع ذلك أن كل خير أو شر يمكن أن يصيب الإنسان يرجع إلى علاقة بين الإنسان الفرد والجن . ولذلك ليس (علم) السحر الشعبى سوى كيفية تسخير واستغلال للجن للحيلولة دون وقوع شىء ضار أو لعمل ما من شأنه الإضرار بأحد . وإذا ما تتبعنا تصور المستخدم للسحر الشعبى أكثر من هذا لاتضح لنا أنه يتجاوز عتبة الوثنية ، ويدخل فى تناقض مع المبادىء الأساسية للدين الإسلامى .

من هذا يتضح لنا مدى الاختلاف فى النظرة إلى العالم بين نوعى السحر ، غير أن هذه الهوة آخذة فى التضاؤل بمرور الأيام .

أما من حيث الموضوعات الأساسية التى يدور حولها كل ميدان منهما ، فنجد أن السحر الرسمى يدور أساساً حول الدراسة العقليدية والبحث فى الله وعرشه ، وخدمه ، وما يرضية وما يغضبه .. الخ . وكذلك الملائكة والجن والخصائص السحرية للحروف والأعداد وأسماء الله ، والنباتات والحيوانات . . إلخ . ثم تأتى فى مرتبة تالية لهذا التعاليم الخاصة باستخدام هذه العناصر السحرية ، وطرق نقل هذه الأسرار إلى الأجيال التالية والمحافظة عليها . ثم تلى ذلك الأغراض التى يمكن استخدام هذه العناصر السحرية فيها. ويخضع الانتفاع العملى هنا لدرجة تدين الساحر ، وما بلغه من تقدم فى مراتب التصوف والأخذ بأساليبه الصعبة ، التى تسعى إلى تخليص جسده وروحه من كل شرك أو فساد أو ظلم . ومعنى هذا أنه لا يستطيع دفعة واحدة تحقيق التأثير السحرى المطلوب ، بل لابد له أن يتوصل إلى ذلك على مراحل ، حتى يصل فى النهاية إلى أن يخضع له كل المخلوقات »[1] .

أما السحر الشعبى فيدور أساسا حول الممارسة العملية . ولا تحتل العناصر النظرية — التى كانت تشغل مكانة بارزة فى السحر الرسمى — سوى مرتبة ثانوية فقط . ونجد بعض الموضوعات التى كانت تعالج فى السحر الرسمى بمنتهى العناية والإسهاب لا تتمتع فى السحر الشعبى إلا بأهمية ضئيلة ، والعكس صحيح . ولذلك كان من أبرز الظواهر المصاحبة لتدهور السحر الرسمى فى العصر الحاضر — بعد أن فقد موارده من السحرة الرسميين المتخصصين وأتى العصر الحديث على كثير من مكانته السابقة ، وفقد بذلك طابعه (الأكاديمى) الذى ذكرنا طرفا منه — كان من أبرز تلك الظواهر تطويع الكتب السحرية الرسمية لمتطلبات الشعب ، ومفاهيم السحر عنده . فهو لا يحتاج إلا إلى وصفات لمواقف معينة . وكان أن أصبحت كتب

(١) أنظر محمد الجوهرى ، المصدر نفسه ، ص ٨ ، ٩ .

السحر اليوم لا تعدو مجموعة كبيرة من الوصفات التي يلجأ إليها الساحر المحترف لإجابة طلبات عملائه(١) . وتزود هذه الكتب الجديدة ، أو القديمة المعاد طبعها ، بفهارس متصلة تقتصر عادة على سرد الأغراض التي يمكن أن تستخدم فيها هذه الوصفات . ولم يعد على الساحر المحترف - عندما يأتيه العميل - إلا أن يقلب صفحات فهرس الكتاب الذي يستعمله ليفتح مباشرة على الوصفة التي يتقبلها للعميل(٢) .

وهناك فرق واضح بالنسبة للشكل الذي يحفظ به كل نوع من السحر ويتوارث؛ إذ أنه لما كان السحر الرسمي أساسا تراثا مكتوبا، لا يتناقل ولا يحفظ إلا مدونا ، نجده أكثر تأثرا بالتراث الحضاري المكتوب عادة . وتأتي في مقدمة هذه الكتب ، تلك المؤلفات التي نقلت إلى اللغة العربية من اللغتين العبرية والسوريانية ، وتحتوي هذه الكتب - بشكل واضح كل الوضوح - إلى جانب العناصر العبرية والسوريانية عناصر بابلية ، وآشورية ، وإغريقية . ومن المؤلفات ذات التأثير الهام في هذا الصدد أيضا ، الكتب العربية في فجر الإسلام .

أما السحر الشعبي فيقوم أساساً على المعتقد المحفوظ في صدور الناس ، وعلى الخبرات المكتسبة التي يتم تواترها وحفظها شفاهة في المقام الأول (مثل: الحسد وما يدور حوله من معتقدات وممارسات ، والتفاؤل والتشاؤم من الأسماء . كالتفاؤل بكلمة أخضر والعزوف عن ذكر أسماء الأمراض الخطيرة

---

(١) أنظر على سبيل المثال :

عبد الفتاح السيد الطوخي : سحر الكهان في حضور الجان ، القاهرة ، مكتبة القاهرة

« « « « : المندل والخاتم السليماني والعلم الروحاني للامام الغزالي ، القاهرة ، مكتبة القاهرة .

عبد الفتاح السيد الطوخي : السحر العجيب في جلب الحبيب ، القاهرة ، مكتبة القاهرة .

(٢) أنظر محمد الجوهري ، المصدر السابق ، ص ٧ — ٩ .

كالسلطان أو غيره ، وذلك إيمانا بالقوة السحرية للاسم . فذكر الاسم استحضار لمضمونه واتصال بهذا المضمون . . إلخ . وكذلك عفريت الليل وما يسجله المعتقد الشعبي الشفاهي عنه من قصص وحكايات . ولهذا نرى ميدان السحر الشعبي أكثر تأثرا بالتراث الشفاهي المتواتر في المجتمع المصري . وأبرز عناصر هذا التراث : البقايا المصرية القديمة ، والمسيحية القديمة ، والإسلامية الأولى التي نقلت إلى مصر على يد القبائل التي هاجرت إليها بعد الفتح العربي وقد استوطنت هذه القبائل فيما بعد ، بعض أقاليم مصر ، فقربت إلى المصريين من خلال ذلك التراث العربي القـــديم والإسلامي الأول .

وهناك اختلاف بين مدى شدة الحاجة الدافعة إلى اللجوء للسحر في كل من السحر الرسمي ، والسحر الشعبي . فالسحر الشعبي يعتمد على خبرة عامة غير عميقة الأسس . ويمارس السحر الشعبي من قبل كل فرد في المجتمع وفي كل مناسبة من المناسبات .

أما السحر الرسمي فيقوم على معارف متخصصة ذات أساس « علمي » . ولا يذهب الشخص للساحر الرسمي إلا إذا كان السحر الشعبي قد أخفق في تحقيق النجاح المطلوب ، أو إذا قدر صاحب الحاجة بادىء ذي بدء أن الهدف المنشود عظيم الأهمية بحيث أن الخبرات الضعيفة المحددة للسحر الشعبي لن تيسر الوصول إليه . وكمثال للحالة الأولى تذكر السيدة التي تريد إنجاب أطفال . فهي تسعى في أول الأمر إلى أن تعالج نفسها وزوجها بواسطة الطرق المعروفة ، وهي تستعين في ذلك بخبرات الأقارب والجارات فإذا ما أخفق كل هذا لجأت إلى الساحر الرسمي . وبذلك يبدأ السحر الرسمي . وكمثال للحالة الثانية نذكر الرجل الذي يريد القضاء على جاره لأي سبب من الأسباب ،

وهو غرض وارد بكثرة فى كتب السحر ، فهو يرى منذ البداية أن خبراته أضعف من تحقيق هذه الرغبة ، ولذلك يتجه إلى الساحر الرسمى مباشرة .

وينبغى القول بأن هناك تفاعل دائم بين هذين النوعين من السحر ، ولهذا ازدادت بمرور الوقت صعوبة تَبَيُّن الخصائص المميزة لكل نوع منهما ، وأخذت حدودهما تتلاحم ، بل وتتداخل فى بعضها .

ويجب ألا ننسى فى مجال التفرقة بين السحر الرسمى والسحر الشعبى ، أن حملة السحر الرسمى هم أبناء المجتمع ، ولدوا فيه وعاشوا فى إطاره ، فهم أنفسهم همزة وصل بين نوعى السحر . إذ يأخذون من السحر الرسمى خبرات ومعارف ينقلونها للشعب أثرت فى السحر الشعبى تأثيراً قويا . وهم من ناحية أخرى ينقلون عن السحر الشعبى الشىء الكثير الذى يثرون به مؤلفاتهم ووصفاتهم فى السحر الرسمى .

ويرى محمد الجوهرى أنه لم يعد هناك « شىء جديد » فى ميدان السحر الرسمى بمعناه الحقيقى ، وأن السحر قد فقد كثيرا من مكانته كمهنة . فهناك إذن نوع من « التوقف » فى إنتاج سحر رسمى جديد ، ولم يعد أمام مخلفاته الباقية إلا أن تقدم الثوب الذى يغلف فيه الممارسون مادتهم السحرية الشعبية التى لا زالت تدب فيها الحياة .

وقد بذلت جهود كثيرة لصبغ أفكار السحر الشعبى وخبراته بطريقة التفكير المعروفة فى السحر الرسمى ، مما نتج عنه مؤخرا حشد ضخم جداً من الكتب — والمخطوطات طبعا — التى تحتوى فى جوهرها على تصورات وخبرات سحرية شعبية ، ولكنها مغلفة بمناهج وخبرات سحرية رسمية ،

وهى فى الوقت نفسه وسيلة – تجارية نفسية – لتأكيدها وإبراز مدى فاعليتها[1] .

وتلعب بعض دور النشر المصرية دوراً كبيرا فى هذا الصدد ، فهى تحقق تجارة رابحة للغاية ، إذ لا تحتاج إلى أكثر من طبع بعض فصول من كتاب أو عدة كتب سحرية . وقد يحدث أحيانا أن يعيد بعض الشيوخ كتابة هذه الفصول[2] ، ولو أن هذه ليست هى القاعدة السائدة . كما يعاد اليوم طبع مؤلفات بأكملها ، كشمس المعارف الكبرى للبونى مثلا[3] .

ويرى محمد الجوهرى بناء على ماتقدم أن الواقع الذى سنتعامل معه – إزاء ماحدث من توقف فى إنتاج سحر رسمى جديد – هو سحر شعبى متشح بغلاف السحر الرسمى[4] .

٥ — سحر التنبؤ وسحر العلاج :

يذكر « وليام هاولز » أن أهم قسمين أو نوعين من أنواع السحر فى كل أنحاء العالم هما السحر الخاص بالتنبؤ بالغيب ، والسحر الخاص بالتداوى والعلاج .

---

(١) من أمثلة المخطوطات والكتب السحرية ذات المضمون الشعبى والشكل الرسمى نذكر بعض الأمثلة :

البونى وابن الحاج مخطوطة : « مجموعة فوائد من كتاب شمس المعارف الكبرى وكتاب ابن الحاج وغيره » رقمها بدار الكتب المصرية ، ٣٩ ش . وهى منسوبة لهذه الأسماء فقط ولكنها إنتاج شعبى متأخر .

(٢) النموذج المثالى على هذا الكتاب « منبع أصول الحكمة » المنسوب للبونى ، القاهرة ١٩٥٦ . وقد اتضح أن الكتاب بشكله الحالى ليس من تأليف البونى . أنظر محمد الجوهرى ، المصدر نفسه ص ٣٥٥ .

(٣) لا زالت طبعاته تتوالى حتى عام ١٩٦٩ .

(٤) أنظر محمد الجوهرى ، السحر الرسمى والسحر الشعبى ، المصدر السابق ، ص٩ – ١٢

ويرد «هاولز» تلك الأهمية إلى أن المرض والشك هما دائما أشد وأقسى أسباب القلق الشخصي والاجتماعي . وهذا نفسه هو السبب في وجود المشتغلين بقراءة الكف وورق اللعب ، والعرافين والمنجمين وأمثالهم بيننا . كما أنه هو السبب في أن الناس لا يزالون يقبلون كل أنواع طب الركة أو طب العجائز على الرغم من الطب الحديث بكل معلوماته الصحيحة الشاملة .

والواقع أن الاستعانة بما يمكن تسميته بطب الركة أو الطب الشعبي في علاج الأمراض -وبخاصة المستعصية والمزمنة- أمر شائع في كثير من المجتمعات والثقافات على اختلاف درجات تقدمها ، ويعد مكملا للطب الحديث ووسائل العلاج العملية بحيث يستخدم المريض الاثنين معا ، ويرد شفاءه إليهما معا أيضا[١] .

٦ - السحر النظري والسحر العملي :

إذا حللنا مبادىء الفكر التي يقوم عليها السحر ، ونظرنا إليه على أنه نسق للقانون الطبيعي ، أي تقرير للقواعد التي يتحكم فيها تتابع الأحداث في العالم كله ، فإنه يمكن تسميته حينذاك بالسحر النظري . أما إذا نظرنا إليه على أنه مجموعة من القواعد والتعاليم التي يتبعها الناس في تحديد أهدافهم فإنه يمكن حينئذ تسميته بالسحر العملي[٢] .

٧ - سحر الإنتاج ، والوقاية ، والهدم :

يذهب بعض الباحثين الأنثروبولوجيين إلى تصنيف السحر إلى ثلاثة أنواع رئيسية : سحر إنتاجي ، وسحر وقائي ، وسحر تحطيمي أو هدمي .

---

(١) « وليام هاولز » ، ما وراء التاريخ ، ترجمة أحمد أبو زيد ، ص ٣٣٥ .

فالسحر الإنتاجي بما له من أهمية طقسية، يهتم في المقام الأول بالإتيان بنتائج إيجابية وفيرة، كأن يأتي بحصول أوفر أو حصيلة أكبر من صيد السمك.. إلخ وهذا النوع من السحر قد يساعد في تنظيم الجانب التقنى من النشاط ، كما أنه يعمل على حث العاملين لبذل جهد أغزر ، كما يعطيهم ثقة أكبر في أن جهودهم المبذولة سوف تضمن لهم جزاء عظيما .

أما السحر الوقائي وهو السحر الذي يستهدف إبعاد الخطر وسوء الحظ أو المرض ، فإنه قد يعطى المشاركين فيه الثقة الضرورية للنجاح أو للطمأنينة مما يعمل بلا شك على الحصول على طاقة نفسية عظيمة . وتعد بعض الجهود السحرية المبذولة جهودا سلبية . فأولئك الذين يعتمدون على السحر الإنتاجي يرفضون استثمار حب الاستطلاع العلمي لديهم ، كما أنهم يعرضون عن بذل الجهد في سبيل تحقيق قدر أكبر من التطور التكنولوجي .

أما النوع الثالث وهو السحر التحطيمي أو الهدمي فإنه يسمى بالإنجليزية sorcery أي الشعوذة ، في مقابل witchcraft الذي يعتقد أنه ينبع من هبة خاصة أو استعداد معين لدى الفرد . وهو كثيراً ما يكون مصدراً للإشراف أو التحكم الاجتماعي ، وذلك لأن أولئك الممسكين بزمام السلطة بالمجتمع يخشون من استخدام قوة هذا النوع من السحر ضدهم . كما أنه من جهة أخرى قد يصير وسيلة تنفيسية ، وذلك لأنه يسمح لأى شخص بأن يحطم عدوه في نطاق خياله ، ومن ثم فإنه يتحاشى استخدام العنف بيديه . لهذا فإن السحر قد احتل مكانة هامة في غالبية المجتمعات البدائية ، وقد ظل محتفظا بدرجة معينة من التأثير على الرغم من التحديات التي تصادفه اليوم في ظل الحضارة الإنسانية المادية[١] .

(١) Encyclopedia Britannica, Vol. 14, 1965, p. 573.

ثانيا — تصنيفات السحر عند علماء المسلمين :

١ ـ تحدث أبو بكر الرازى المفسر المشهور عن تصنيفات السحر وأنواعه، فذكر منه سحر أصحاب الأوهام والنفوس القوية ، وسحر يستعين أصحابه بالأرواح الأرضية ، ويقصد بها الجن ، وسحر التخيلات والأخذ بالعيون ، لأن المشعبذ الحاذق يظهر عمل شيء يشغل أذهان الناظرين به ، ويأخذ عيونهم إليه ، حتى إذا استغرقهم الشغل بذلك الشيء والتحديق نحوه ، عمل شيئا آخر بسرعة شديدة فيبقى ذلك العمل خفيا ، لتفاوت الشيئين : اشتغالهم بالأمر الأول ، وسرعة الإتيان بهذا العمل الثانى . « وحينئذ يظهر لهم شيء آخر غير ما انتظروه ، فيتعجبون منه جدا ، ولو أنه سكت ولم يتكلم بما يصرف الخواطر إلى ضد ما يريد أن يعمله ، ولم تتحرك النفوس والأوهام إلى غير ما يريد إخراجه ، لفطن الناظرون لكل ما يفعله ، فهذا هو المراد من قولهم أن المشعبذ يأخذ بالعيون لأنه بالحقيقة يأخذ بالعيون إلى غير الجهة التى يحتال فيها ، وكلما كان أخذه للعيون والخواطر ، وجذبه لها إلى سوى مقصوده أقوى ، كان أحذق فى عمله .

وكلما كانت الأحوال التى تفيد حس البصر بها نوعا من أنواع الخلل أشد ، كان هذا العمل أحسن ، مثل أن يجلس المشعبذ فى موضع مضيء جدا ، فإن الضوء الشديد يفيد البصر كلالا واختلالا، وكذا الظلمة الشديدة، وكذلك الألوان المشرقة القوية تفيد البصر كلالا واختلالا ، والألوان المظلمة قلما تقف القوة الباصرة على أحوالها »[١] .

ويضيف الإمام الرازى إلى تصنيفات السحر ما يسميه سحر الأعمال

(١) أنظر أحمد الشرباصى ، حديث السحر فى القرآن ، المصدر السابق ، ص ١٥

العجيبة التي تظهر من تركيب الآلات المركبة على النسب الهندسية الخاصة ، وهناك سحر الاستعانة بخواص الأدوية ، كاستعمال بعض الأدوية المزيلة للعقل ، أو التي تسبب تبلد الذهن ، وهناك سحر « تعليق القلب » بأن يوهم الساحر مسحوره بأنه يعرف « الاسم الأعظم » فيعتقد المسحور الضعيف العقل بذلك ويتعلق قلبه به ، فيتحكم فيه الساحر ، ويوجهه إلى مايشاء ، وهناك سحر السعي بالنميمة والوقيعة بوجوه لطيفة خفيفة .

٢ ـ وهناك من علماء المسلمين من يصنف السحر إلى أصناف ثلاثة ، فنجد الإمام الأصفهاني يذكر أقساما ثلاثة للسحر في كتابه « مفردات القرآن » وهي :

أولا : الخداع والتخيلات .

ثانيا : استجلاب معاونة الشيطان بضرب من التقرب إليه .

ثالثا : ما كان بقوة تغير الصور والطبائع ، ولا حقيقة لذلك عند المحققين .

٣ ـ أما المفسر الجليل ابن كثير فيجعل أصناف السحر ثمانية وهي :

(ا) سحر الكذابين الذين كانوا يعبدون الكواكب السبعة السيارة ، ويعتقدون أنها مدبرة العالم ، وأنها تأتي بالخير والشر .

(ب) سحر أصحاب الأوهام والنفوس القوية ، لأن الوهم هو الذي يؤثر في الإنسان ، فيجعله يعتقد أنه يمكنه أن يمشي على الجسر الموضوع على وجه الأرض ، ولا يمكنه المشي عليه إذا كان ممدودا على نهر أو نحوه ، والنفوس خلقت مطيعة للأوهام .

(ح) سحر الاستعانة بالأرواح الأرضية ، وهم الجن ، ومنهم كفار ومؤمنون ، واتصال النفوس الناطقة بهم أسهل من اتصالها بالأرواح السماوية ، لما بينهما من المناسبة والقرب ، وهذا النوع هو المسمى بالعزائم وعمل التسخير .

(ى) سحر الشعبذة والأخذ بالعيون ، وإذهال الناظرين ، مع الاعتماد على السرعة الشديدة ، ومن هذا النوع ماذكره القرآن فى قوله : « فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم » وقوله : « يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى » .

(هـ) سحر الأعمال العجيبة القائمة على استخدام خواص المواد واستغلال تركيب الآلات الخاصة بنسب هندسية خاصة ، ومن هذا القبيل ماذكره المفسرون فى قصة سحرة فرعون ، حيث عمدوا إلى حبالهم وعصيهم ، فحشوها زئبقا ، وجعلوا من أسفلها حرارة خاصة فصارت تتلوى بسبب ما فيها من ذلك الزئبق ، فيخيل إلى الرائى أنها تسعى وتتحرك باختيارها .

(و) سحر الاستعانة بخواص الأدوية فى الأطعمة والدهون الخاصة .

(ز) سحر تعليق القلب ، حيث يدعى الساحر المخادع أن الجن يطيعونه وينقادون له فى أكثر الأمور عن طريق معرفة (الاسم الأعظم) فإذا اتفق أن السامع لذلك ضعيف العقل قليل التمييز ، تعلق قلبه بذلك وحصل فى قلبه نوع من الرعب والمخافة ، فإذا حصل الخوف ضعفت القوى الحساسة ، فيتمكن الساحر حينئذ أن يفعل مايشاء .

(ح) سحر السعاية والنميمة ، عن طريق التحريش بين الناس ، وبتوقف

هـــــذا النوع على مدى ذكاء القائم به[1] .

٤ ـ وقد صنف علماء المسلمين أمثال ابن العربى الفقيه المالكى ، والبونى صاحب شمس العارف الكبرى ، السحر إلى صنفين : حقيقى وغير حقيقى ويسميه بعضهم بالسيما . وأصله « شيم به » . وقيل إنه اسم الله تعالى بالعبرانية فعربوه بالسيميا، ويسمى السحر غير الحقيقى أيضا، بالأخذ بالعيون.

وقد أتى سحرة فرعون بمجموع القسمين ، وقدموا أولا السحر غير الحقيقى . وإليه الإشارة بقوله تعالى :

« سحروا أعين الناس » .

ثم أردفوه بالحقيقى وإليه الإشارة بقوله تعالى :

« واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم »

فلما اشتد أمر السحر ، وخفيت أسبابه ، وتزاحمت به الظنون ، اختلفت طرقه إلى مذاهب شتى فأحد هذه المذاهب ما يقال له طريقة تصفية النفس وتعليق الوهم ، وهى طريقة أهل الهند ، لأنهم يعتقدون أن تلك الآثار السحرية إنما تصدر عن النفس الناطقة . ويلازمون الرياضات الشاقة حتى تصفو نفوسهم وتتجرد من جميع الشواغل البدنية بحسب الطاقة البشرية .

وقد بنى هذا المذهب على ثبوت التأثير لتوجيه النفس وتعليق الوهم ويدل على ذلك عشرة أوجه[2] .

---

(١) أنظر أحمد العرباصى ، حديث السحر فى القرآن ، المصدر السابق ، ص ١٥ ، ١٦

(٢) مصطفى فهمى الحكيم ، أسرار الجن ، المصدر السابق ، ص ١٢٤

الوجه الأول :

الرامى بالسهم أو بغيره . إذا أراد أن يرمى إلى غرض معين ، فإنه لا يمكنه ذلك إلا إذا جمع الهم وتحرى الإصابة . وأيضا من أراد أن يستقصى النظر إلى شيء معين ، بموضوع معين ، فلابد له من صرف جميع الشعاع وتوجيهه بالكلية نحو ذلك الموضع بدليل أنه لو بقى مشتغلا بالنظر إلى شيء آخر تعذر عليه الإصابة فى الأول ، والنظر المستقصى إلى ذلك الوضع فى الثانية .

الوجه الثانى :

الاعتقاد الراسخ فى النفس ، وقوة الإرادة والعزيمة .

الوجه الثالث:

إن العقل والنقل متطابقان على أن العين حق وما ذاك إلا تأثير نفسانى .

الوجه الرابع :

أن الإنسان يسير بكل سهولة على الأرض لتخيله السلامة ، فإذا كانت هذه الأرض جسرا على هاوية ، تخيل السقوط ، لأن الوهم إذا اشتد جعل الشيء الموهوم موجودا .

الوجه الخامس :

القوى العقلية .

الوجه السادس :

التجربة والقياس . وهما يشاهدان بأن التصورات قد تكون مبدأ لحدوث بعض الكيفيات فى الأبدان ، فإن الغضب الشديد مثلا قد يفيد السخونة جداً .

الوجه السابع :

إجماع الحكماء على نهى المرغوب عن النظر إلى الأشياء ذات اللون الأحمر ، والمصروع عن النظر إلى القوى اللامعة . وما ذاك إلا لأن النفوس مطيعة للأوهام .

الوجه الثامن :

ما حكاه ابن سينا عن أرسطو من أن الدجاجة إذا تشبهت بالديك فى الصياح ، والخصام ، وتوهمت الذكورية ، نبتت على ساقها شوكة مثل الديك وهذا يدل على أن الاحوال الجسمانية تابعة للأحوال النفسانية .

الوجه التاسع :

ذكر ابن سينا كذلك عن أن التفاوت بين الاشخاص الإنسانية فى الخلق والصورة أكثر منها بين سائر الحيوان . فقال إن تخيلات الإنسان وأفكاره أكثر مما لسائر الحيوان، والأشكال تتغير بحسب تغير التصورات .

الوجه العاشر :

اختلاف شكل الإنسان بحسب اختلاف تصوراته النفسانية ، فإن

شكله وصورته فى حالة غضبه مثلا يخالفان شكله عند الفرح والسرور والخوف، وغير ذلك .

ومن هذه الوجوه العشرة يثبت التأثير الوهمى .

أما القوة النفسية التى يقتدر بها على الإتيان بالخوارق فتنقسم إلى قسمين:

١ ـ فطرية :

وهى التى تحصل للانسان من غير اكتساب ولا نظر إلى طالع ، بل طبيعة أصيلة فى النفس فقد يجوز أن يودع الله تعالى فى نفس مخصوصة قدرة وقوة وهمة غير موجودة فى غيرها من النفوس كما أودع الإحراق فى ماهية النار ، والتبريد فى ماهية الماء ، وغير ذلك وهذا إذا قلنا أن النفوس مختلفة بالماهية كما هو الحق .

أما إن قلنا إن النفوس متحدة بالماهية فلا شك أنها مع ذلك الاتحاد مختلفة بسبب الآلات البدنية ، وبسبب الأعراض النفسانية . فلا يبعد أيضا أن يخص الله تعالى بعض النفوس بمزاج خاص يكون آلة لنفسه فى القدرة على الإتيان بالأفعال الخارقة للعادة أو يخصها بعرض مخصوص يكون أكثر لنفسه ومعداً لها على التمكن من الإتيان بتلك الخوارق .

وقد تكون أيضا للنفس قوة المزاج ، لأن الأمزجة مختلفة جداً من جهة القرب إلى الاعتدال الحقيقى والبعد عنه ، فيجوز أن يخص الله بعض الناس بمزاج غريب على نهج عجيب قل أن يتفق لأحد من الناس فيقوى بسبب ذلك المزاج على الإتيان بما يعجز عنه غيره .

ومن هذه الاحتمالات يجوز أن تكون القوة فى بعض النفوس فطرية .

٢ ـ مكتسبة :

وهى القسم الثانى من القوة النفسية ، إما أن تكون مكتسبة أو قريبة من الفطرية ، وهى التى يدل عليها أصل الإنسان .

ولهذا نجد أن شخصا لا يتعب نفسه فى تحصيل قوانين هـذا العلم ، ورعاية شروطه فيحصل له المطلوب المقصود ولا يخطىء فيه أصلا . ومن الناس من يتعب نفسه فى تحصيل تلك القوانين ومراعاة شروطها ، وبعد ذلك لا يحصل له من منافعه إلا شىء قليل جداً ، ومنهم من يكون وسطا بين النوعين .

(ب) السحر غير الحقيقى :

السحر غير الحقيقى يأتى بالطرق المكتسبة ، والاكتساب يحصل بمراعاة ثلاثة أنواع ، فمتى اختل واحد منها فلا تحصل تلك القوة أصلا .

فالنوع الأول ، هو رفض اللاذ الدنيوية ، وترك الالتفات إلى طلبها بالكلية ، فإنه إذا تركها الشخص زالت عن قلبه همومها وإشغالها من الفرح بوجود شىء ، أو الحزن بفقده ، ويصفو قلبه ، وتقوى همته ، ويخلو سره عن كل ماسوى المطلوب ، فحينئذ يقدر على التفكير فيما يريده ويحصل على مقصوده .

والنوع الثانى ، تنقية البدن عن فضول الأخلاط الرديئة ، لأن تنقية القلب من الأفكار الرديئة متوقفة عن تنقية الاخلاط .

النوع الثالث ، مراعاة حالة الغذاء ، كمية وكيفية . فأما وجه المراعاة فى الكمية فهو التقليل منها ، لأن تصرف الطبيعة فى الغذاء شغل عظيم مانع

للنفس عن تمام الاشتغال بما عداه من الأعمال بدليل أن الإنسان قل مايقوى على الحس والحركة بعد الإكثار من الغذاء فضلا عن التفكير والتذكر . وما ذاك إلا لأن النفس لا يمكنها الجمع بين تدبير الغذاء وتدبير الحس والحركة ، ولذلك تعرض النفس عن تدبير الحس والحركة لتقوى على هضم الغذاء . فإذا كان اشتغالها بهضم الغذاء يمنعها من تدبير الحس والحركة مع شدة ألف النفس بهما ، فما ظننا بالفكر والتطلع إلى هذا العالم المستور وهو مما لم نألفه » (١) .

فالإنسان فى هذه الحالة ينبغى أن يجعل طعامه فى أول الأمر مثل ماجرت به عادته بأكله ثم ينقص منه فى كل ليلة بالتدريج جزءا فجزءا إلى أن ينتهى إلى القدر الذى لا بد منه فى حفظ الرمق .

ومن آفات كثرة الأكل ، فساد الدماغ ، لأن من أكل كثيرا شرب كثيرا ، وإذا شرب كثيرا ، صعد البخار الردىء إلى دماغه فيفسد دماغه وفكره ، فكل مايضر بالدماغ يجب الاحتراز منه ، وكذلك مايضر القلب .

أما مراعاة حال الطعام فيلاحظ عدم أكل مافيه روح بل يكون طعامه من الحبوب بدهن الزيت إن وجد وإلا فالشيرج أو غيره من الأدهان المأكولة ، وكذلك يمتنع تماما عن أكل الدجاج والحمام ففيها فساد للدماغ .

وقال المطلعون من العلماء الروحانيين ، فإذا داوم إنسان على هذا النظام مع مداومته على الصوم أربعين يوما صارت نفسه صافية ، وروحه نقية ، ويحيط بغوامض العلوم ، ويقدر على تمريض الأجسام العليلة .

أما أولئك الذين يدعون السحر الآن ويقولون بأنهم قادرون على فعله ،

---

(١) المصدر نفسه ، ص ١٢٤ ـ ١٣٢

والحصول على فوائده ، فهم يخدعون بسطاء الناس لعدم إيمانهم بالحق ، وبأن الله وحده هو عالم الغيب[١] .

٥ — ويرى سيد عبد الله حسين[٢] ، وهو من الباحثين الذين بحثوا فى ظاهرتى الجن والسحر ، واعتمد فى ذلك على أدلة من القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة ، وكتب علماء المسلمين ، أن للسحر أصنافا كثيرة أشهرها أربعة[٣]:

(ا) سحر الكلدانيين، وهم عبدة الكواكب يعتقدون أنها هى المدبرة لهذا العالم ومنه يصدر الخير والشر والسعادة والنحس . وقد بعث الله فيهم إبراهيم عليه السلام مبطلا لمقالتهم ورادا عليهم مذهبهم .

وطريقة سحرهم أنهم يرصدون الكواكب فى منازلها فلها طبائع نحس وسعود ، فإذا اقترن زحل بالقمر مثلا فى وقت كذا يحدث كذا ولهم عزائم يتلونها ولهم رياضات خاصة يمارسونها فيحصل ما يريدون بأمر الله .

(ب) سحر تسلط الروح ، وهو من أهل النفوس القوية . وذلك لأن النفس إذا كانت مستعلية على البدن شديدة الانجذاب إلى عالم السموات كانت كأنها روح من أرواح السموات فتكون لها القوة المؤثرة فى مواد هذا العالم المادية ، وذلك مصداق الحديث القدسى : « يا عبدى أطعنى تكن ربانيا تقول للشيء كن فيكون » .

أما إذا كانت الروح ضعيفة شديدة التعلق بهذه الملذات البدنية فلا تتصرف إلا فى البدن ، فإذا أراد صاحبها أن تؤثر فى بدن آخر اتخذ تمثال

---

(١) المصدر نفسه ، ص ١٣٤

(٢) من علماء الأزهر ، وحاصل على ليسانس الحقوق .

(٣) سيد عبد الله حسين ، الجن : فى ذكر جميع أحوال الجن ، ص ٨٧ .

ذلك الغير ووضعه عند الحس واشتغل الحس به فيتبعه الخيال إليه . وأقبلت النفس الناطقة عليه فتقوى التأثيرات النفسانية والتصرفات الروحانية، ولذلك كان لا بد لمزاولة هذه الأعمال أن ينقطع عن المألوف والمشتهيات وأن يقلل الغذاء وينقطع عن مخالطة الخلق .

وهذا القدر من القوة النفسانية المستقل بالتأثير إذا انضم إليه النوع الأول من السحر وهو الاستعانة بالكواكب وتأثيرها، كان له أعظم التأثير.

فإذا صفت النفوس من الأبدان جاز لها أن تنضم الأرواح المماثلة لها التي خرجت من أجسامها فتتعاضد النفوس الكثيرة على ذلك الفعل فيحدث، وأيضا إذا صفت هذه النفوس الناطقة عن الأكدار البدنية صارت قابلة للأنوار من الأرواح السماوية والنفوس الفلكية فتقوى على أمور خارقة العادة .

(ج) السحر باستخدام الأرواح الأرضية (الجن) والاستعانة بها وهي أرواح خيرة ، وأرواح شريرة ، فالخيرة مؤمنو الجن ، والشريرة كفار الجن والشياطين .

وهذه الأرواح الأرضية قادرة عالمة مدركة للجزئيات ، واتصال الأرواح بها أسهل من اتصالها بالأرواح السماوية ، لكن القوة الحاصلة بالاتصال الأرضي أضعف من القوة الحاصلة بالاتصال السماوي ، ويحصل الاتصال بالأرواح الأرضية بالرقى ، والدخن (البخور) والتجريد وهي العزائم وتسخير الجن .

(د) السحر بالتخيلات والأخذ بالعيون وهو مبني على ما يأتي :

١ ـ أغلاط البصر وهي كثيرة .

٢ ـ القوة الباصرة إنما تقف على المحسوس وقوفا تاما إذا أدركت المحسوس فى زمان له مقدارها .

٣ ـ إن النفس إذا كانت مشغولة بشىء فقد يحضر عن الحس شىء آخر ولا يشعر به الحس أبدا[١] .

ويرى الباحث أننا إذا عرفنا أنواع السحر أمكننا أن نفهم أثره فيتعلق السحر بالإنسان إما من جهة نظره (سحروا أعين الناس واسترهبوهم) وإما من جهة جسمه (فيتعلمون منهما مايفرقون به بين المرء وزوجه)، وإما من جهة تعطيل بعض أعضائه فيمنعه عن الحركة وعن أن يكون طبيعيا كما خلقه الله.

ربما أن تأثير السحر خفى يمكن أن يقع فى أى وقت وفى أى عضو فى جسم الإنسان بلا مقدمة ولا رؤيا . لهذا كان تأثير السحر على الإنسان من حيث هو جسم بلا فرق بين جسم شخص عادى أو نبى أو رسول . فالسحر يؤثر على الرسول فى جسمه لا فى تشريعه ، ولا فى رسالته لأن الله عصمه فى رسالته من الإنس والجن فلا يقدر أحد أيا كانت قوته أن يؤثر عليه فى هذه الناحية . وقد روى البخارى ومسلم أن رسول الله (صلعم) قد سحر وأثر السحر فيه ولذلك فإن السحر فى نظره حقيقة واقعة لا مجال لإنكارها [٢] .

فنى السحر إذن ـ فى تصنيفات علماء المسلمين ـ معنى الخداع والخفاء ، والاستمالة والتمويه بالكذب . وهو إما حيلة أو شعوذة ، وإما صناعة علمية خفية يعرفها بعض الناس ، وإما تأثير نفس إنسانية فى نفس أخرى . يقول تفسير المنار[٣] : « وقد اعتاد الذين اتخذوا التأثيرات النفسية صناعة ووسيلة

---

(١) سيد عبد الله حسين ، المصدر السابق ، ص ٨٨ ، ٨٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٩١ .

(٣) تفسير المنار هو تفسير عصرى يمثل مدرسة الأستاذ الإمام محمد عبده .

للمعاش أن يستعينوا بكلام مبهم وأسماء غريبة اشتهر عند الناس أنها من أسماء الشياطين وملوك الجان ، وأنهم يحضرون إذا دعوا بهـا ، ويكونون مسخرين للداعى . ولمثل هذا الكلام تأثير فى إثارة الوهم عرف بالتجربة ، وسببه اعتقادم الواهم أن الشياطين يستجيبون لقارئه ويطيعون أمره ، ومنهم من يعتقد أن فيه خاصية ، وإنما تلك العقيدة الفاسدة تفعل فى النفس الواهمة مايغنى منتحل السحر عن توجيه همته وتأثير إرادته ، وهذا هو السبب فى اعتقاد الدهماء أن السحر عمل يستعان عليه بالشياطين وأرواح الكواكب[١]

---

(١) أنظر أحمد الشرباصى ، المصدر السابق ، ص ١٧ .

الفصل الرابع

السحر والدين

تمهيد

الواقع أن الدين والسحر يتشكلان أساسا من مقومين يشتركان فيهما على حد سواء : أما المقوم الأول فهو الاعتقاد فى كائن أو كائنات علوية غيبية لها اتصالات على نحو آخر بالإنسان سواء بطريق مباشر كأن تكون متجسدة فى شكل إنسانى أو فى هيئة حيوانية ، أو فى بعض الجوامد كالكواكب أو العناصر أو كانت اتصالاتها بالإنسان بطريق غير مباشر ، أى عن طريق بعض المقربين منها كالأنبياء أو الملائكة . وأما المقوم الثانى فى كل من الدين والسحر فهو الطقوس التى تمارس بشكل جمعى أو بشكل فردى ، وسنتناول فى هذا الفصل التفرقة بين الدين والسحر عند علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا ، ثم موقف الديانات السماوية اليهودية والنصرانية والإسلامية من السحر .

ويميز ابن خلدون بين الدين والسحر ، من حيث طبيعة رجل الدين من ناحية ، وطبيعة الساحر من ناحية أخرى ، وذلك بقوله « ولنقدم هنا مقدمة يتبين بها حقيقة السحر ، وذلك أن النفوس البشرية وإن كانت واحدة بالنوع فهى مختلفة بالخواص . وهى أصناف كل صنف مختص بخاصية واحدة بالنوع لا توجد فى الصنف الآخر . وصارت تلك الخواص فطرة وجبلة لصنفها . فنفوس الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لها خاصية تستعد بها للمعرفة الربانية ومخاطبة الملائكة عليهم السلام عن الله سبحانه وتعالى كما مر وما يتبع فى ذلك من التأثير فى الأكوان واستجلاب روحانية الكواكب للتصرف فيها والتأثير بقوة نفسانية أو شيطانية . فأما تأثير الأنبياء فمدد إلهى وخاصية ربانية

ونفوس الكهنة لها خاصية الاطلاع على المغيبات بقوى شيطانية . وهكذا كل صنف مختص بخاصة لا توجد في الآخر[١] .

وهناك من يدرجون السحر في إطار الفكر الديني ، على أساس أن المعتقدات الدينية تتمشى وتنسجم مع كل نمط من أنماط التفكير يمكن تصوره . فالسحر بمقتضى هذه النظرة يعد طيفا من أطياف الاعتقاد الديني . وحيث أن العقل البشرى قادر على أن يستوعب كل نوع من أنواع الاعتقاد طالما أنه يستجيب لإحدى الرغبات القوية ، فإن من الممكن أن نتوقع أن بعض الناس قد يلجئون إلى الممارسات السحرية على أمل أن تتحقق رغباتهم أو مرادهم[٢] .

نظرية السحر والدين عند « فريزر » :

وتعد نظرية السحر والدين أهم ما أسهم به « فريزر » في الدراسات الأنثروبولوجية التطورية . وربما كان أطرف ما في هذه النظرية محاولة الربط والتقريب بين السحر والعلم اللذين يقفان موقف التعارض مع الدين، ولكنهما يقومان على أسس ومبادىء منطقية واحدة تعتمد على تداعي المعاني أو ترابط الأفكار ، وإن كانت عملية التداعي في السحر تتم بطريقة خاطئة . فالسحر صورة من صور تطبيق — أو على الأصح إساءة تطبيق — مبادىء تداعى وترابط المعاني ، ولذا يطلق عليه في كتابات كل من « تايلور » و « فريزر » اسم العلم الكاذب أو « شبه العلم » .

ولقد أقام «فريزر» تمييزه بين السحر والدين على أساس أن الدين يشترط

(١) ابن خلدون ، المقدمة ، ص ١٩٧ .

(٢) نجيب يوسف بدوى، السحر والتنجيم ، ص ٢٠٩ .

الاعتقاد فى الكائنات الروحية أو الإلهية والأرباب ، بينما يتألف السحر من الأعمال والممارسات والشعائر التى تتصل بالكائنات الأخرى .

ويختلف رأى « فريزر » مع رأى معظم علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا فى القرن التاسع عشر وأوائل هذا القرن فى أن السحر أسبق فى الزمن من الدين . ولقد كان الرحالة والمبشرون والعلماء الأوائل على العموم يفترضون أن الرجل البدائى لا يعرف الدين الذى يرتبط فى نظرهم بالأشكال الأكثر تقدما من الحضارة . وحتى « تايلور » Tylor نفسه ، على الرغم من أنه لم ينكر وجود الدين كل النكران فى الأشكال البدائية للحياة الاجتماعية ، فإنه كان يرى أن فكرة الله لم تظهر إلا فى مرحلة متأخرة من تاريخ الإنسانية بعد تطور طويل فى التفكير الحيوى أو الأنيمى animism ، الذى كان يرى الحياة والروح منتشرين بصورة أو بأخرى فى كل الموجودات وجميع الكائنات [١] .

وقد بلغ من شيوع هذه الفكرة وسيطرتها على الأذهان أن ضاعت الأصوات التى أرادت التدليل على أن فكرة الله كانت موجودة فى ضمير البشرية ومنذ أقدم العصور ، وأن الرجل البدائى فى كل المجتمعات المتأخرة المعروفة لنا عنده فكرة الدين .

فالرأى السائد إذن بين هؤلاء العلماء هو أن السحر مهد لظهور الدين ، وأن معظم الممارسات والطقوس التى يمارسها البدائيون والتى تتصل بعالم الغيبيات وبالكائنات الإعجازية أو الخارقة للطبيعة هى ممارسات وطقوس سحرية ، ولم يشذ «فريزر» عن ذلك الرأى أو يخرج عليه [٢] .

---

(١) أنظر نجيب يوسف بدوى ، المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

(٢) أنظر جيمس فريزر ، الغصن الذهبى : دراسة فى السحر والدين ، ترجمة د . أحمد أبو زيد وآخرين ص ٤٨ ، ٤٩ .

ومهما اختلفت النظريات التى تدور حول التفرقة بين السحر والدين فى الكتابات الأنثروبولوجية ، ومهما تعددت الآراء المتضاربة التى يحاول أصحابها الالتزام بها فى محاولتهم التمييز بين الاثنين ، فإن معظم الآراء تكاد تتفق على عدد من الاسس الهامة : أولها أن السحر له القدرة على « إجبار » عالم مافوق الطبيعه أو عالم الغيبيات على تحقيق مطالبه ، وأن الممارسات السحرية لا يمكن أن تفشل فى تحقيق النتائج المرجوة إلا نتيجة ارتكاب أحد الاخطاء أثناء ممارسة تلك الطقوس أو نتيجة لتدخل سحر آخر مضاد يكون أقوى مفعولا وذلك بعكس الدين الذى لا يحقق — فى رأى أنصار فريزر على الأقل — النتائج المطلوبة فى كل الأحوال نظراً لأنه يقتصر على التضرع والابتهال والسؤال دون القيام بأى عمل إيجابى لتحقيق مطالبه .

ومن ناحيه أخرى فإن الممارسات السحرية لا يمكن القيام بها على مستوى المجتمع كله ، أو الجانب الأكبر منه ، كما هى الحال بالنسبة للدين ، بل إنها كثيرا ما تمارس فى الخفاء ، وقد لا يكون لها أى مظهر اجتماعى على الإطلاق .

ومن أهم الاختلافات بين السحر والدين أن السحر يعتمد على عبارات وتعاويذ ، وصيغ كثيرا ما تكون غير مفهومة حتى للأشخاص الذين يستخدمونها ، وذلك بعكس الدين الذى يستخدم اللغة العادية السائدة فى المجتمع .

وأخيرا فإن السحرة يؤلفون جماعة منعزلة عن رجال الدين كما أن نظرة المجتمع إليهم تختلف اختلافا كبيرا عن نظرته إلى رجال الدين ، إذ يعتبرهم أقل منهم مكانة وأدنى فى المرتبة حتى وإن كان بعضهم يسخر سحره لصالح الجماعة كلها . ذلك كله بالإضافة إلى أن رجل الدين يحتاج فى العادة إلى فترة

إعداد طويلة قبل أن يباشر وظيفته ، وهى وظيفة يعترف بها المجتمع نفسه ويقرها ، وذلك بعكس الحال بالنسبة للسحر ، أو على الأقل بعض أنواعه وبخاصة السحر الأسود Black Magic أو السحر الضار .

ويعرف « ماريت » السحر بأنه الأخت السيئة السمعة للدين . والمشكلة بين السحر والدين لا تتبدى فى الحكم على كل منهما بأنه غيبى أم لا ، بل فى الوقوف على أن كلا منهما يمثل طرف النقيض بالنسبة للآخر . ويذهب « فريزر » إلى أن السحر تكنولوجى فى طبيعته وهو أيضا آلى فى تطبيقاته ، وهو يجبر الطبيعة على الخضوع لمرامى المرء ، أما الدين فإنه سلوك روحى ، وهو يستعين قبالة كون مشخص بكل أنواع السلوك الذى يستهدف خير الإنسان وتحقيق العلاقات الطيبة بين الناس بعضهم بعضا[١] .

ولكن على الرغم من هذه الأسس فكثيراً ما يفشل العلماء فى التمييز بين ماهو سحر ، وما هو دين . وكثير جداً من الأمثلة التى يوردها «فريزر» للسحر فى كتابه « الغصن الذهبى » يمكن بسهولة أن تؤخذ على أنها شعائر دينية . ويبدو أن فريزر نفسه أحس بذلك إذ يشير فى أكثر من موضع من كتابه إلى أن بعض العناصر الدينية قد تجد طريقها إلى الممارسات السحرية ، ولكن ذلك لا يحدث فى رأيه إلا فى المراحل الاكثر تقدما فى تاريخ الحضارة .

ومهما يكن من أمر هذه الاختلافات فإن الرأى السائد بين علماء الانثروبولوجيا المحدثين الذين قاموا بدراسات وأبحاث حقلية بين الشعوب المتخلفة والتقليدية هو أن كلا من السحر والدين يقتضى نوعا مختلفا من

(١) أنظر Encyclopaedia of the social scieaces. vol 9, 1963, p.39.

السلوك الاجتماعى رغم أنهما يتعلقان بعالم الغيبيات ويستعينان بالكائنات الروحية أو بالقوى الخفية الخارقة للطبيعة لتحقيق الطمأنينة والهدوء وراحة البال والتوفيق .

ويقف العلماء المحدثون من دراسة السحر والدين والعلم موقفا يختلف كل الاختلاف عن موقف «فريزر» ومعاصريه من علماء القرن التاسع عشر . فهم لا ينظرون إليها على أنها مراحل أو حالات مختلفة ومتمايزة يمر بها المجتمع الإنسانى فى تطوره ، واحدة بعد أخرى عبر الزمن ، وإنما يعتبرونها ثلاثة أنماط من النشاط العقلى ، أو ثلاث وجهات نظر إلى الكون وأحداث الطبيعة وأنها توجد جنبا إلى جنب فى المجتمع الواحد فى وقت واحد ، ويؤثر بعضها فى بعض كما يؤثر بأشكال ودرجات مختلفة فى السلوك الإنسانى .

ومما لاشك فيه ـ سواء أكان السحر حقيقيا ، أم زيفا من الزيف ، أن الرسالات السماوية وهى اليهودية والمسيحية والإسلام قد شجبت السحر والسحرة ، واستحلت دماءهم ، وعدُّوا خطراً على الناس سواء فى الدنيا أو الآخرة[1] .

موقف اليهودية والمسيحية من السحر :

أجمع أكثر المفسرين على أن اليهود ، سواء من كان منهم فى زمن سليمان عليه السلام أو فى زمان محمد عليه الصلاة والسلام ، كانوا من السحرة الذين أتقنوا هذا الفن . وقد ذهب هؤلاء السحرة من اليهود إلى أن سليمان إنما أوجد هذا الملك العريض والجاه العظيم بسبب السحر فبه سخر الإنس والجن والريح التى تجرى بأمره[2] .

(١) المصدر نفسه ، ص ٤٩ : ٥٢ .

(٢) أحمد الشنقناوى ، المصدر السابق ، ص ٤٣ .

وقد كانت هناك أيضا صلة وثيقة بين السحر المصرى والسحر اليهودى، ويدل على ذلك أن النبى موسى كان من الإسرائيليين الذين شبوا فى بلاط فرعون وبرزوا فى فنون السحر . وقصة موسى مع سحرة فرعون شائعة إذ ألقى سحرة فرعون حبالا وعصيا فإذا هى تتحول إلى حيات يركب بعضها فوق بعض ثم ألقى موسى عصاه فإذا هى ثعبان مبين ابتلع جميع ما ألقى السحرة من حبال وعصى ، ثم إن موسى عندما خرج من مصر إلى فلسطين هو وجنده ، شق البحر بعصاته، وهذا دليل مادى على أهمية السحر فى حياة الجماعات القديمة[١].

وقد شدد الكتاب المقدس ضد السحرة وتهددهم ومن يثقون فيهم بالعقاب الشديد (ملاخى ٣ : ٥) (ورؤيا ٢٢ : ١٥) وأمر الله بقتلهم بتاتا (تثنية ١٨ : ١٠ — ١٢) كما مُنع العرافون من الإقامة فى أرض العبرانيين (خروج ٢٢ : ١٨) .

غير أن شعب إسرائيل تهاون فى حفظ هذه الوصية الإلهية ، فبدأ الشعب يلجأ إلى السحرة عند الحاجة ، فلجأ الملك شاول إلى عرافة عين دور بعد مفارقة روح الرب له (صموئيل ٢٨ : ٣ — ٢٠)[٢] .

وقد أوضح الكتاب المقدس أن أعمال السحرة مرفوضة أمام الله ، ويطلب الله من الناس ألا يأكلوا بالدم ولا يتفاءلوا ولا يعفوا (لا ١٩ : ٢٦). ولهذا يعد القيام بهذه الأعمال خطية .

ويوضح الكتاب المقدس شدة استياء الله من السحرة ومن يتعاملون

---

(١) صمويل باسيليوس ، السحر ظاهرة اجتماعية عند الشعوب المتخلفة ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، المجلد ٢٦ ، ١٩٦٩ ، العدد الأول والثانى ، ص ٦٩ .

(٢) قاموس الكتاب المقدس ، مجمع الكنائس فى الشرق الأدنى ، ط ٢ .

معهم ، فيقول فى سفر ملاخى « .. واقترب إليكم للحكم وأكون شاهداً سريعاً على السحرة ، وعلى الفاسقين ، وعلى الحالفين زوراً .. » (ملاخى ٣ : ٥) ويصل غضب الله من السحرة إلى أقصى درجة عندما يطالب بموت السحرة « لاتدع ساحرة تعيش » (خر ٢٢ : ١٨) وذكر فى سفر الرؤيا أن خارجا يكون الكلاب والسحرة والزناة والقتلة . . (رؤ ٢٢ : ١٥) وهنا نجد الكتاب المقدس يساوى بين السحرة والزناة والقتلة .

وقد جاءت نصوص الكتاب المقدس منذ العهد القديم تحرم السحر والعرافة والعيافة ، فقد جاء فى سفر التثنية مثلا « لايوجد فيك من يجيز ابنه أو ابنته فى النار ، ولا من يعرف عرافة ولا متفائل ولا ساحر ولا من يرقى رقية ولا من يسأل جانا أو تابعة ولا من يستشير الموتى لأن كل من يفعل ذلك مكروه عند الرب . وبسبب هذه الأرجاس الرب إلهك طاردهم من أمامك . تكون كاملا لدى الرب إلهك . إن هؤلاء الأمم الذين تخلفهم يسمعون للعائفين والعرافين ، وأما أنت فلم يسمح لك الرب إلهك هكذا » (تث ١٨ : ١٠ — ١٤) .

وقد بين الكتاب المقدس أن مثل هذه الأعمال نوع من النجاسة « لا تلتفتوا إلى الجان ولا تطلبوا التوابع فتتنجسوا بهم » (لا ١٩ : ٣١) .

أما عن مصير السحرة فهو يتفق مع طبيعة أعمالهم :

فى الأرض : يكرههم الناس — رغم أنهم يخشونهم — ولا يلجأون إليهم إلا لاعتقادهم بأن فى يدهم سلطانا . ويجب التنبيه إلى نقطة هامة وهى أن بعض الناس يخافون السحرة لدرجة أنهم يخشون مجرد التحدث عنهم ، أو الاعتراض على أعمالهم ، لهذا يبتعدون عن أية محاولة لفحص

تلك الأعمال لمعرفة ما إذا كانت من الله أم من الشيطان .

والكتاب المقدس يدعو لفحص الأرواح، وامتحان ماهو من الله وماهو ليس من الله . وذلك لأن الذئاب الخاطفة تلبس أحيانا أثواب الحملان(١).

ويعيش القائمون بهذه الأعمال مرفوضين من الله حتى يتوبوا ويرجعوا عنها . وقد كانت نهاية حياة الكثير منهم نهاية مؤسفة تتفق مع طبيعة البعيدين عن الله والمتعاونين مع الشياطين . فبعضهم مات مقتولا بيد بعض الناس الذين أضيروا من أعمالهم ، والبعض الآخر صرعته الشياطين أو أفقدته النطق لأنه رفض لها طلبا .

وفى السماء : أوضح الكتاب أنهم مرفوضون لأن الإنسان لا يستطيع أن يشرب كأس الرب وكأس الشياطين ، ولا يقدر أن يشترك فى مائدة الرب وفى مائدة الشياطين (١ كو ١٠ : ٢١) كما ذكر يوحنا الرائى أن السحرة سيكونون خارجا مع الزناة والقتلة وعبدة الأوثان وكل من يحب ويصنع كذبا (رؤ ٢٢ : ١٥) وسيكون نصيبهم فى البحيرة المتقدة بنار وكبريت ، وهذا هو الموت الثانى (رؤ ٢١ : ٨) (٢) .

السحر فى الإسلام :

يقال سحره أى صرفه عن وجهه وخدعه . ومن ذلك قوله تعالى فى سورة الأعراف « وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين » . وقوله فى سورة المؤمنون « قل من بيده ملكوت كل شيء وهو

---

(١) أنظر نبيل صبحى حنا ، السحر : دراسة منهجية للسحر والسحرة والمتعاملين معهم فى ضوء الكتاب المقدس ، مراجعة وتقديم الأنبا غريغوريوس أسقف عام الدراسات العليا والثقافة القبطية والبحث العلمى . ص ١٩ .

(٢) المصدر نفسه ص ٥٠ .

ويجير لا يجار عليه إن كنتم تعلمون ؟ سيقولون لله فأنى تسحرون ؟ » أى فكيف تصرفون عن الحق وتنخدعون ؟

وأصل السحر هو صرف الشيء عن وجهه أى صرفه عن حقيقته إلى غيرها وكأن الساحر لما أرى الناس الباطل فى صورة الحق ، وخيل الشيء على غير حقيقته ، فقد سحر الشيء عن وجهه أى صرفه .

وقد ورد ذكر « السحر » فى القرآن الكريم كثيراً ، فتكرر ذكر السحر والسحرة ٦٠ مرة ورد منها لفظ السحر ٢٣ مرة ، وتكرر ذكر الساحر ١٢ مرة فى مثل قوله الكريم : « وقال فرعون ائتونى بكل ساحر عليم[1] ». ومنها لفظ السحرة الذى تكرر ٨ مرات فى مثل النص الشريف : فجمع السحرة لميقات يوم معلوم[2] » . وتكرر لفظ مسحورا ٣ مرات فى مثل النص الكريم « فقال له فرعون إنى لأظنك ياموسى مسحورا[3] » .

ولفظ المسحرين مرتين فى مثل قوله تعالى : « قالوا إنما أنت من المسحرين[4] » ومرة واحدة بكل من ألفاظ :

سحروا — لتسحرنا — تسحرون — بسحرك — بسحره — بسحرهما سحروم سحران — ساحران — الساحرون — سحار — مسحرون[5] .

ويقرر القرآن الكريم كثيراً أن السحر خداع وتخيل ، ومن ذلك قول الله تعالى فى سورة الأنعام : « ولو نزلنا عليك فى قرطاس فلمسوه بأيديهم

---

(١) ٧٩ سورة يونس .
(٢) ٣٨ سورة الشعراء .
(٣) ١٠١ سورة الاسراء .
(٤) ١٥٣ سورة الشعراء .
(٥) أنظر عبد الرزاق نوفل ، الناروت فى سحر هاروت وماروت.

لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين »[١] أى تخييل لا حقيقة ، وخداع للبصر والحواس .

ومن الناس من إذا رأى الآيات التى يوجه الله النظر إليها أو يرسلها للأنبياء والرسل قالوا عنها أنها سحر وذلك فى النص الشريف : « وإذا رأوا آية يستسخرون . وقالوا إن هذا إلا سحر مبين » .

بل إنه حق إذ أتى أمر الله واقتربت الساعة وظهرت أدلتها كانشقاق القمر . . فإن هناك من سيعرضون عن هذه الآيات ظنا منهم أنها من عمل السحر وفى ذلك تقول آيات قرآن الخالق عز وجل :« اقتربت الساعة وانشق القمر . وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر[٢] » .

والمسحور إنما يخضع لما وقع عليه من سحر مهما كانت الظواهر المحيطة به، والأدلة المقنعة له ، فيقول الحق تبارك وتعالى :

« ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون . لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون[٣] » .

والسحر طبقات . . والسحر درجات . . ولذلك كان فرعون يبحث عن السحرة العلماء ويقول الله عز من قائل : « قالوا أرجه وأخاه وابعث فى المدائن حاشرين . يأتوك بكل سحار عليم[٤] » .

ولقد ذكر القرآن الكريم موقفين من مواقف السحر ، أولهما يتعلق

---

(١) ١٤ ــ ١٥ سورة الصفات .
(٢) ١ ــ ٢ سورة القمر .
(٣) ١٤ ــ ١٥ سورة الحجر .
(٤) ٢٦ ــ ٢٧ سورة الشعراء .

بالسحر فى عهد سليمان ، ويتعلق بقصة هاروت وماروت ، والموقف الآخر يتعلق بسحرة فرعون فى قصة موسى عليه السلام .

الموقف الأول جاء فى شأنه قول الله تعالى فى سورة البقرة : « واتبعوا ماتتلوا الشياطين على ملك سليمان ، وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ماله فى الآخرة من خلاق، ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون[1] » .

يخبر الله تعالى بأن سيئات اليهود أنهم نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم وأعرضوا عنه ، واتبعوا السحر واتبعوا كتابا فيه صنعة (آصف) كاتب النبي سليمان ، واتبعوا سحر هاروت وماروت ، ــ وكانا يعلمان الناس السحر اختبارا وابتلاء ــ ، ووصفوا سليمان بأنه ساحر وليس نبيا ، فكذبهم الله فى ذلك ، وأبان أن الشياطين هم الذين افتروا على سليمان وموهوا على الناس بالتلبيس والخداع فكانوا من الكافرين .

وكان هاروت وماروت يقولان للناس : « إنما نحن فتنة فلا تكفر » وكانا يعلمان الناس السحر تعليم من يحذر منه لا تعليم من يدعو إليه . ويقولان للناس : لا تفعلوا كذا وكذا ولا تحتالوا بكذا ، لتفرقوا بين المرء وزوجه .

ويرى الإمام (محمد عبده) أن قوله تعالى « فيتعلمون منهما ما يفرقون

---

(١) ١٠٢ سورة البقرة .

به بين المرء وزوجه » لا مانع أن يكون المراد منه تلك الطرق الخبيثة التي تصرف الزوج عن زوجته ، والزوجة عن زوجها ، ولا يبعد أن يكون مثل هذه الطرق مما يتعلمه الناس ويطلبون له الأساتذة ، ونحن نرى أن كتبا ألفت ودروسا ألقيت لتعليم أساليب التفريق بين الناس ، لمن يريد أن يكون من عمال السياسة في بعض الحكومات .

وقد يكون ذكر المرء وزوجه من قبيل التمثيل ، وإظهار الأمر في أقبح صورة : أي بلغ من أمر مايتعلمونه من ضروب الحيل وطرق الفساد أن يتمكنوا به من التفريق بين المرء وزوجه ، وسياق الآية لا يأباه ، وذكر الشياطين لا يمنعنا من ذلك : بعد أن سمى الله خبثاء الإنس المنافقين بالشياطين قال :« وإذا خلوا إلى شياطينهم» «وقال شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض » .

وينفى القرآن الكريم أن يقع شيء في هذا الكون إلا بإذن الله فيقول في الآية السابقة : « وماهم بضارين به من أحد إلا بإذن الله » .

والموقف الثاني الذى عرضه القرآن عن السحر هو موقف سحرة فرعون مع موسى عليه السلام ، وقد تحدث القرآن عن هذا الموقف في سورة الأعراف ويونس ، وطه ، والشعراء ، والقصص ، وغيرها ، وبحسبنا أن نذكر الآيات التي وردت في سورة الأعراف عن هذا الموقف فهى تقول :

« وجاء السحرة فرعون قالوا إن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين ، قال نعم وإنكم لمن المقربين ، قالوا ياموسى إما أن تلقى وإما أن نكون نحن الملقين ، قال ألقوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم ، وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هى تلقف ما يأفكون ، فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون » .

وقوله « استرهبوهم » أى حاولوا إرهاب الناس ، وإلقاء الخوف فى قلوبهم ، بما فعلوه من تخييل ، وبما موهوا عليهم ، حتى خيل إلى الناس أن عصيهم وحبالهم تسعى ، وإنما الأمر فى الحقيقة تلبيس واحتيال ..

ولعل من أدق ما يصور موقف القرآن الحكيم من السحر والسحرة ، ما جاء فى سورة طه على لسان موسى وهو ينصح السحرة : « قال لهم موسى لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى » . وقول القرآن بعد ذلك : « إنما صنعوا كيد ساحر ، ولا يفلح الساحر حيث أتى » وقوله فى سورة يونس عن السحرة مع موسى : (فلما ألقوا قال موسى: ماجئتم به السحر إن الله سيبطله ، إن الله لا يصلح عمل المفسدين ، ويحق الله الحق بكلماته ، ولو كره المجرمون[1]) .

السحر وحكمه عند علماء الإسلام ومفكريه :

تناول علماء الإسلام موضوع السحر والسحرة من زوايا مختلفة . ويمثل «الغزالى» قمة التفكير عند علماء المسلمين فى الإيمان المطلق بالسحر والاعتقاد به على الرغم من أنه علم مذموم ، ويرى أن هناك فى السكون أمورا غريبة من قبيل السحر وأن هناك فى (الأعداد) خواص عجيبة مجربة، كتلك الخواص التى تستعمل فى تجربة معالجة الحامل التى عسر عليها الطلق ، ويشير إلى ذلك المربع الذى يعرف بمربع (بدوح) وهو شكل فيه تسعة بيوت ــ أو خانات ــ يرقم فيها أرقام مخصوصة بحيث يكون مجموع ما فى جدول واحد خمسة عشر ، سواء قرأته بالطول أو العرض أو على التأريب . وقد تناول الغزالى هذا

---

(١) أنظر أحمد الشرباصى : المصدر السابق ، ص ١٥ ، ٢٠ ، ٢١ .

الموضوع وهو يتحدث عن (سر النبوة) فى كتابه (المنقذ من الضلال[١]).

وليس عجيبا أن يتكلم الغزالى عن السحر وهو فى معرض الحديث عن النبوة ، فإن للنبي معجزات يبرهن بها على صدق رسالته . والمعجزات أعمال خوارق للعادة والطبيعة ، فما هو الفرق بينها وبين السحر . ومن هنا كان تناول الغزالى للقضية .

على أن « ابن خلدون » قد تناول موضوع السحر بتفصيل وتدقيق أكثر حينما تكلم عن (السحر) فى المقدمة . « لأنه لما كانت المعجزة بإمداد من روح الله فإنه لا يعارضها شيء من السحر فإن سحر فرعون وسحرته لم يستطع أن يقف أمام العصا التى تلقف ما يأفكون وذهب سحرهم واضمحل كأن لم يكن[٢] » .

والسحر حقيقة واقعة ، فقد قال ، «ابن خلدون فى » مقدمته : « واعلم أن وجود السحر لا مرية فيه بين العقلاء[٣] ». وأن علوم السحر والطلسمات كانت (فى أهل بابل من السريانيين والكلدانيين وفى أهل مصر من القبط وغيرهم وكان لهم فيها التآليف والآثار ولم يترجم لنا من كتبهم فيها إلا القليل مثل الفلاحة القبطية من أوضاع أهل بابل فأخذ الناس منها هذا العلم وتفننوا فيه ووضعت بعد ذلك الأوضاع مثل مصاحف الكواكب السبعة وكتاب طمطم الهندى فى صور الدرج والكواكب وغيرها ثم ظهر بالمشرق جابر بن حيان كبير السحرة فى هذه الملة فتصفح كتب القوم واستخرج الصناعة وغاص فى زبدتها واستخرجها ووضع فيها غيرها من التآليف وأكثر

(١) الغزالى ، المنقذ من الضلال ، ص ٥٢ .

(٢) ابن خلدون ، المصدر السابق ص ٥٠٢ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٤٩٨ .

الـكلام فيها وفي صناعة السيمياء لأنها من توابعها لأن إحالة الأجسام النوعية من صورة إلى أخرى إنما يكون بالقوة النفسية لا بالصناعة العملية فهو من قبيل السحر .. ثم جاء مسلمة بن أحمد المجريطي إمام أهل الأندلس في التعاليم والسحريات فلخص جميع تلك الـكتب وهذبها وجمع طرقها في كتابه الذي سماه غاية الحـكيم ولم يكتب أحد في هذا العلم بعده[١] » .

ويرى «ابن خلدون» ، مع اعترافه بوجود السحر ، أنه كفر ، وذكر سبب تـكفير الساحر فقال : « ثم هذه الخاصية تـكون في الساحر بالقوة شأن القوى البشرية كلها وإنما تخرج إلى الفعل بالرياضة ورياضة السحر كلها إنما تـكون بالتوجه إلى الأفلاك والـكواكب والعوالم العلوية والشياطين بأنواع التعظيم والعبادة والخضوع والتذلل فهي لذلك وجهة إلى غير الله وسجود له والوجهة إلى غير الله كفر فلهذا كان السحر كفرا » .

كما يقول ابن خلدون عن التنبؤ بالغيب وحكم الشرع فيه :

والشرع يرد الحوادث كلها إلى قدرة الله تعالى ويبرأ مما سوى ذلك . والنبوات أيضاً منـكرة لشأن النجوم وتأثيراتها واستقراء الشرعيات شاهد بذلك في مثل قوله « إن الشمس والقمر لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته» وفي قوله تعالى « أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بي فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالـكواكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا فذلك كافر بي مؤمن بالـكواكب[٢] » .

وقد ذكر ابن خلدون في مقدمته وقائع من السحر شاهدها وأخرى سمعها ، فـكان يقول (ورأينا بالعيان من يصور صورة الشخص المسحور

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٤٩٧ .

بخواص أشياء مقابلة لما نواه وحاوله موجودة بالمسحور ، وأمثال تلك المعانى من أسماء وصفات التأليف والتفريق ثم يتكلم على تلك الصورة التى أقامها الشخص المسحور عينا أو معنى .. وشاهدنا أيضا من المنتحلين للسحر وعمله من يشير إلى كساء أو جلد ويتكلم عليه فى سره فاذا هو مقطوع متخرق ويشير إلى بطون الغنم كذلك فى مراعيها بالبعج فاذا أمعاؤها ساقطة من بطونها إلى الأرض وسمعنا أن بأرض الهند لهذا العهد من يشير إلى إنسان فيتحتت قلبه ويقع ميتا .. وكذلك سمعنا أن بأرض السودان وأرض الترك من يسحر السحاب فيمطر الأرض المخصوصة .. وكذلك رأينا من عمل الطلسمات عجائب فى الأعداد المتحابة وهى ر ك ر ف د أحد العددين مائتان وعشرون والآخر مائتان وأربعة وثمانون ومعنى المتحابة أن أجزاء كل واحد التى فيه من نصف وثلث وربع وسدس وخمس وأمثالها ، إذا جمع كان مساويا للعدد الآخر صاحبه فتسمى لأجل ذلك المتحابة ونقل أصحاب الطلسمات أن لتلك الأعداد أثرا فى الألفة بين المتحابين واجتماعهما(١) .

وفى إيضاح الدلالة فى عموم الرسالة لشيخ الإسلام «أبى العباس بن تيمية» المتوفى سنة ٧٢٨ ، أن الإنسان إذا فسدت نفسه ومزاجه يشتهى ما يضره ويلتذ به ، بل يعشق ذلك عشقا يفسد عقله ودينه وخلقه وبدنه وماله ، كالشياطين الذين يشتهون الشر ويتلذذون به ويطلبونه ويحرصون عليه ، وإن كان موجبا لعذابهم وعذاب من يغوونه من الإنس ، وهؤلاء السحرة إذا تقربوا إلى الشياطين بمزائمهم وأقسامهم وكتبهم المشتملة على

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٤٩٩ ، ٥٠٠ .

ما يحبون من الشر والكفر والشرك، صار ذلك كالرشوة لهم، فيقضون بعض أغراضهم كمن يعطى غيره مالا ليقتل له من يريد قتله أو يعينه على فاحشة، ومنهم من يكتب فى روحانياته كلام الله بالنجاسة، ومنهم من يقلب كلامه تعالى عز وجل. فإذا قالوا أو كتبوا ما تحبه الشياطين وترضاه منهم أعانوهم على بعض أغراضهم، كتغوير ماء أو حمل فى هواء أو إتيان بمال إلى غير ذلك مما تفعله الشياطين على أيدى هؤلاء السحرة، قال: وأعرف فى كل نوع من هذه الأنواع من الأمور المعينة ومن وقعت له ممن أعرفه مايطول حكايته.

وعلى كل حال فخوارق العادات إن خصت بما يظهر على يد النفوس البشرية بلا سبب أصلا فالسحر ليس منها، وإن لم تقيد بذلك دخل فيها السحر، سواء كان معه قسم أو قرين من الجن أو روح أخرى تتسلط على تلك الروح التى ظهر على يدها ذلك الخارق، كما فى التحضير والتنويم المغناطيسى (١).

ويرى فريق من السلف أن السحر لا أصل له، ويرى البعض أنه وسوسة وأمراض، ويرى بعض آخر أنه حق وله حقيقة، يخلق الله عنده ما يشاء، ومنه ما يكون خفة اليدين ومنه ما يكون كلاما محفوظا، ورقى من أسماء الله تعالى، وقد يكون من عهود الشياطين، ومنه ما يكون أدوية وأدخنة وغير ذلك.

ومذهب أهل السنة أن السحر ثابت وله حقيقة، ومذهب المعتزلة بخلاف ذلك، وهو أن السحر لا حقيقة له، بل هو إيهام لكون الشيء على غير ما هو به، واستدلوا بقول القرآن: «يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى»

(١) محمد حسنين مخلوف، المطالب القدسية فى أحكام الروح وآثارها الكونية، ص ٢٠٢، ٢٠٤.

حيث لم يقل تسعى حقيقة ، بل قال : « يخيل إليه » وبقوله : « سحروا أعين الناس واسترهبوهم » .

ويميل « تفسير المنار » ـ وهو تفسير عصرى عقلى يمثل مدرسة الأستاذ « الإمام محمد عبده » ـ إلى تكذيب السحر ، وأنه شيء منتحل ، يستخدمه أصحابه ليفتنوا العامة ، ويضلوهم عن طلب الأشياء بأسبابها الظاهرة ومناهجها المشروعة ، وهؤلاء الدجالون ما زالوا يتلون أقساما وعزائم ، ويخطون خطوطا وطلسمات ويسمون ذلك خاتم سليمان وعهود سليمان ويزعمون أنها تحفظ حاملها من اعتداء الجن ومس العفاريت .

وترى هذه المدرسة العقلية فى تفسير القرآن الكريم أن السحر أعمال غريبة من التلبيس والحيل تخفى حقيقتها على الجماهير لجهلهم بأسبابها فمتى عرف سبب شيء منها بطل إطلاق اسم السحر عليه .

ويستوى فى هذا أنواع السحر الثلاثة التالية :

(أ) ما يعمل بالأسباب الطبيعية من خواص المادة المعروفة للعالم بها ، المجهولة عند المسحورين ، كاستعمال الزئبق فى تحريك الحبال والعصى التى روى أن سحرة فرعون قد استخدموها فى سحرهم .

(ب) ما يقوم على الشعوذة القائمة على البراعة وخفة اليدين فى إخفاء بعض الأشياء وإظهار البعض الآخر .

(جـ) مايقوم على تأثير النفوس ذوات الإرادة القوية فى النفوس الضعيفة صاحبة الأمزجة العصبية القابلة للأوهام والانفعالات[١] .

---

(١) أنظر أحمد الشرباصى ، المصدر السابق ، ١٧ .

وكما تكلمنا عن حقيقة السحر ، لابد أن نتحدث أيضا عن حكم السحر في الدين الإسلامي

حكم السحر في الاسلام :

يقول « الإمام القرطبي » في تفسيره : « من السحر ما يكون كفرا من فاعله ، مثل مايدعون من تغيير صور الناس وإخراجهم في هيئة بهيمة، وقطع مسافة شهر في ليلة ، والطيران في الهواء فكل من فعل هذا ليوهم الناس أنه محق فذلك كفر منه » .

وجمهور العلماء يرى قتل الساحر لأنه كالمدعي للنبوة، وكافر بالأنبياء .

يرى «الإمام مالك» والأئمة « ابن حنبل» و «الشافعي» و «أبو حنيفة» وغيرهم ، أن المسلم إذا سحر بنفسه ، بكلام يكون كفرا يقتل ولا يستتاب ولا تقبل توبته ، لأن الله تعالى سمى السحر كفرا كما يقول عن الملكين المعلمين للسحر : « وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة » .

وروى قتل الساحر عن عمر وعثمان وابن عمر وحفصة ، وأبي موسى ، وقيس بن السعد وغيرهم . واستدلوا على ذلك بحديث ـ ضعفوه ـ يقول : (حد الساحر ضربه بالسيف[1]) .

ويقول ابن المنذر : « وإذا أقر الرجل أنه سحر بكلام يكون كفرا وجب قتله إن لم يتب ، وكذلك لو ثبتت به عليه بينة ، ووصف البينة كلاما يكون كفرا » .

« وإن كان الكلام الذي ذكر أنه سحر به ليس بكفر لم يجز قتله .

---

(١) أخرجه الترمذي بسند غير قوي ، وغيره أخرجه مرسلا .

فان كان أحدث فى المسحور جناية توجب القصاص اقتص منه إن كان عمد ذلك ، وإن كان مما لا قصاص فيه ففيه دية ذلك[1] » .

ويروى أنه كان عند «الوليد بن عقبة» ساحر يلعب بين يديه ، فكان يضرب رأس الرجل ثم يصيح به فيرد إليه رأسه ، فقال الناس : سبحان الله ، يحيى الموتى . ورآه رجل من صالحي المهاجرين فلما كان الغد جاء الساحر مشتملا على سيفه ، وأخذ يلعب لعبه ذلك ، فرفع المهاجر سيفه ، وضرب به عنق الساحر ، وقال عنه : (إن كان صادقا فليحيي نفسه) . وتلا قول الله تعالى : « أتأتون السحر وأنتم تبصرون ؟ » .

وحين نتحدث عن السحر فى الإسلام ، يرد سؤال ذو أهمية فى هذا المجال ، هل صحيح ما يزعم بعض المفسرين أن لبيد بن الأعصم اليهودى سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن الله جل جلاله شفاه من هذا السحر ؟

إنهم يوردون هذه القصة عند قول القرآن الكريم فى سورة الفلق : « ومن شر النفاثات فى العقد » وبعض المحققين يطعنون فى ذلك الخبر ، ويرون أن تمكن ذلك الشخص من سحر الرسول لا يليق بمكانة الرسول وهو المعصوم المؤيد من ربه سبحانه ، وعلى رأس هؤلاء المنكرين لقصة سحر الرسول الأستاذ « محمد عبده » ، وله فى ذلك الموضوع بحث يفيض بالحرارة والغيرة على مكانة الرسول عليه الصلاة والسلام ومما جاء فيه :

« قد رووا هاهنا أحاديث فى أن النبى صلى الله عليه وسلم سحره لبيد بن الأعصم ، وأثر سحره فيه ، حتى كان يخيل إليه أنه يفعل الشىء وهو لا يفعله أو يأتى شيئا وهو لا يأتيه ، وأن الله أنبأه بذلك ، وأخرجت مواد السحر

(١) أحمد الشرباصى ، المصدر السابق ، ص ١٨ .

من بئر ؛ وعوفى صلى الله عليه وسلم مما كان نزل به من ذلك ، ونزلت هذه السورة (سورة الفلق) .

ولا يخفى أن تأثير السحر فى نفسه عليه الصلاة والسلام ، حتى يصل به الأمر إلى أن يظن أنه يفعل شيئا وهو لايفعله ، ليس من قبيل تأثير الأمراض فى الأبدان ، ولا من قبيل عروض السهو والنسيان فى بعض الأمور العادية ، بل هو ماس بالعقل آخذ بالروح ، وهو مما يصدق المشركين فيه « إن تتبعون إلا رجلا مسحورا » .

وليس المسحور عندهم إلا من خولط فى عقله ، وخيل إليه أن شيئا يقع وهو لا يقع ، فيخيل إليه أنه يوحى إليه ولا يوحى إليه .

وقد قال كثير من المقلدين الذين لا يعقلون ماهى النبوة ، ولا ما يجب لها : إن الخبر بتأثير السحر فى النفس الشريفة قد صح ، فيلزم الاعتقاد به . وعدم التصديق به من بدع المبتدعين لأنه ضرب من إنكار السحر ، وقد جاء القرآن بصحة السحر .

فانظر كيف ينقلب الدين الصحيح والحق الصريح فى نظر المقلد بدعة يحتج بالقرآن على ثبوت السحر ، ويعرض عن القرآن فى نفيه السحر عنه صلى الله عليه وسلم ، وعده من افتراء المشركين عليه ، ويؤول فى هذه ولا يؤول فى تلك ، مع أن ذلك الذى قصده المشركون ظاهر ، لأنهم كانوا يقولون : إن الشيطان يلابسه عليه السلام وملابسة الشيطان تعرف بالسحر عندهم وضرب من ضروبه وهو بعينه أثر السحر الذى نسب إلى لبيد ، فإنه قد خالط عقله وإدراكه فى زعمهم .

والذى يجب اعتقاده أن القرآن مقطوع به ، وأنه كتاب الله بالتواتر عن المعصوم صلى الله عليه وسلم ، فهو الذى يجب الاعتقاد بما يثبته ، وعدم الاعتقاد بما ينفيه ، وقد جاء بنفى السحر عنه عليه السلام ، حيث القول بإثبات حصول السحر له إلى المشركين أعدائه ، ووبخهم على زعمهم هذا ، فاذن هو ليس بمسحور قطعا .

وأما الحديث ــ على فرض صحته فهو آحاد ، والآحاد لا يؤخذ بها فى باب العقائد ، وعصمة النبى من تأثير السحر فى عقله عقيدة من العقائد لا يؤخذ فى نفيها عنه إلا باليقين ، ولا يجوز أن يؤخذ فيها بالظن والمظنون .

على أن الحديث الذى يصل إلينا من طريق الآحاد إنما يحصل الظن عند من صح عنده ، أما من قامت له الدلالة على أنه غير صحيح ، فلا تقوم به عليه حجة ، وعلى أى حال فلنا أن نفوض الأمر فى الحديث ولا نحكمه فى عقيدتنا ونأخذ بنص الكتاب وبدليل العقل فانه إذا خولط النبى فى عقله — كما زعموا — جاز عليه أن يظن أنه بلغ شيئا وهو لم يبلغه ، أو أن شيئا نزل عليه وهو لم ينزل عليه . والأمر هنا ظاهرة لا تحتاج إلى بيان .

ثم إن نفى السحر عن الرسول عليه الصلاة والسلام، لا يستلزم نفى السحر مطلقا ، فربما جاز أن يصيب السحر غيره بالجنون نفسه . ولكن من المحال أن يصيبه ، لأن الله عصمه منه[1] .

---

(١) أنظر أحمد الشرباصى ، المصدر نفسه ، ص ١٩ ، ٢٠ .

حكم الإسلام فى علاج المسحور من السحر :

إذا كان السحر حقيقة عند من يقول من الأئمة بوجوده فما الحكم فى علاج المسحور من السحر ؟

أجاز بعض العلماء أن يقوم الإنسان بعلاج المسحور عن طريق مايسمونه « النشرة » ، وهى ضرب من الرقية يعالج به من كان يظن أن به مسا من الجن . ويقرر الإمام ابن كثير فى تفسيره للقرآن العظيم أن أنفع ما يستعمل لإذهاب السحر هو ما أنزل الله تبارك وتعالى على رسوله فى إذهاب ذلك ، وهما المعوذتان : أى سورة الفلق : « قل أعوذ برب الفلق ، من شر ما خلق، ومن شر غاسق إذا وقب ، ومن شر النفاثات فى العقد ، ومن شر حاسد إذا حسد » . وسورة الناس : « قل أعوذ برب الناس ، ملك الناس ، إله الناس ، من شر الوسواس الخناس، الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس) .

ويذكر الحديث النبوى الشريف : (لم يتعوذ المتعوذ بمثلهما) ، وكذلك قراءة آية الكرسى فإنها طاردة للشيطان

بين السحر والمعجزة فى الإسلام :

وفى نهاية هذا الفصل عن السحر فى القرآن ، نورد رأى مفسرى القرآن الكريم فى التفرقة بين السحر والمعجزة فيما يلى :

١ — السحر يمكن أن يقع من الساحر ومن غيره ، والمعجزة مقصورة على الرسل عليهم الصلاة والسلام .

٢ — المعجزة لا يمكن الله أحدا أن يأتى بمثلها أو يعارضها ، بخلاف السحر .

٣ — السحر لا يكون معه ادعاء للنبوة ، والمعجزة تكون مقترنة بادعاء الرسول أنه رسول من عند الله .

٤ — المعجزة حق يجريه الله على يدى رسول ، والسحر تمويه وخداع غالبا[1] .

(١) أحمد الشرباصى ، المصدر نفسه ، المكان نفسه .

الفصل الخامس

السحر كظاهرة اجتماعية

تمهيـــد

السحر ظاهرة تتسم بالعمومية والشمول ، ويمكن ملاحظتها فى كل المجتمعات قديمها وحديثها . والسحر أقدم أثر خلفه الإنسان ، فقد كان موجوداً فى كل زمان ومكان ، بل لا يزال له حتى اليوم أنصار وأشياع ، برغم سيادة العلوم المادية والإيمان بكل ماهو محسوس . فالسحر إذن ظاهرة اجتماعية فى المجتمعين البدائى والحديث على السواء ، وإن كان السحر يلعب فى المجتمعات الأولى أدوارا أخطر من مثيلاتها فى المجتمعات الحديثة .

وسنتناول فى هذا الفصل تفصيلا للسحر كظاهرة اجتماعية ونحلل ظاهرة السحر من وجهة نظر علوم الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع وعلم النفس ، ثم نبين الصلة بين السحر كظاهرة اجتماعية وبين العادات الاجتماعية ، وكذلك صلة ظاهرة السحر بالتنشئة الاجتماعية ، ثم نفصل الوظيفة الاجتماعية لظاهرة السحر ، ثم نختتم هذا الفصل بدراسة تحليلية تتبعية لهذه الظاهرة فى سوسيولوجيا المجتمع المصرى .

والسحر نموذج من نماذج التفكير والعمل والإحساس ساد المجتمعات القديمة ، ووجد الأفراد ضرورة اتباعه لارتباطه بأمورهم الحياتية ، وقضاء حاجاتهم ، بل ولارتباطه بهم بعد الموت .

أما الإنسان الحديث والمعاصر ، فإنه وإن كان قد بلغ شأنا كبيراً فى العلم والحضارة وإرجاع المعلولات إلى عللها المباشرة وتفسير الظواهر الاجتماعية تفسيراً علميا إلا أنه لا يزال يتطلع إلى معرفة المجهول ، ويسعى

إلى طلب العون منه كلما أشتد به الأمر ، وضاقت في وجهه سبل الحياة وأعيته الحيل المادية في حل مشاكله .

ويختلف الأفراد في المجتمع الحديث من حيث نظرتهم إلى القوى الخفية غير المنظورة، فمنهم من كانت القوة الدينية متأصلة في نفوسهم قوية على سواها من العواطف فيلجأون إلى القوة الإلهية يضرعون إليها ويسترضونها بالصلوات والطقوس الدينية ، وبالصوم ، والابتهالات وغير ذلك من الشعائر الدينية ابتغاء مرضاة الله ، وتحقيقا لما يتطلعون إليه من أمور .

وهناك فئة أخرى ، وإن اعتقدت في القوة الإلهية إلا أنها تتطلع أيضا إلى معونة تلك القوى الخفية يسترضونها بمختلف الطقوس والأعمال السحرية، علهم يجدون فيها تحقيقا لحاجاتهم ، وحلا لمشكلاتهم ، فقد وجدوا بين الناس من يدعى القدرة على الاتصال بهذه القوى الخفية والاستعانة بها لتحقيق رغباتهم وقضاء حاجاتهم .

والسحر وليد العجز والخوف اللذين كان يشعر بهما الإنسان ، والصعوبات التي كانت تواجهه ، وعدم وجود نظام اجتماعي منتج يستطيع تخفيف حدتها . وهو من اختراع أفراد كانوا ينزعون إلى التحرر من ربقة الجماعة لأنه يهيء حلا لمشكلات الحياة عن طريق تزويد الفرد بقوة شخصية تغنيه عن التعاون مع الجماعة في حل تلك المشكلات .

وقد كان الناس في العصور الأولى، قليلي العدد، وكان نظامهم الاجتماعي بدائيا ، ونتج عن ذلك أنهم كانوا فرديين ، وكانوا يبحثون عن حلول فردية لمشكلاتهم . ولم يدرك الإنسان أن تحسين حاله لا يأتي من الزيادة السحرية في قوة الفرد ، قدر ما يأتي بكثرة المخترعات ، إلا بعد أن وضع الدليل المستمد من تاريخ المجتمع خلال عصور طويلة .

وإنها لفكرة اجتماعية تلك التى تقول أن الإنسان بمساعدته للغير يساعد نفسه كثيرا . وهى تنشأ بعد أن ينتظم الناس فى مجتمع مدة طويلة ، وتقوم على مشاهدة أن المساهمة فى العمل والإنتاج والاختراع أمور مربحة للفرد، لأنه فى مقابل جهوده الفردية يفيد من عمل الألاف من الغير واختراعاتهم .

والإنسان البدائى الذى كان يعيش منعزلا عن الغير لم يدرك هذه الفكرة ، إذ كانت تنقصه الخبرة الاجتماعية ، والنظرة التاريخية التى يستطيع بها الوصول إليها .

ولم يكن الإنسان ـ آنذاك ـ فى مركز يسمح له بمعرفة بديل للسحر ، وبذلك أصبحت ظاهرة السحر ـ وهى وليدة التباين بين شدة خوف الإنسان البدائى وتفاهة أساليبه الفنية ـ موطدة الأركان فى أقدم التقاليد .

وظلت ظاهرة السحر مصرة ، ولا تزال تصر ، على إثبات وجودها ، حتى بعد أن ظهر لها بديل مبنى على العقل .

ويمكن القول بوجه عام . أن سلطان السحر يضعف كلما زادت ثمار الأساليب الفنية وضوحا ، إلا أن ممارسته تزداد فى أى عصر إذا ما كانت الصعوبات التى تواجه الإنسان فى سبيل الحياة وتنظيمها تسير بخطى أسرع من اكتشاف الحلول المناسبة لها ، كما هو الحال فى وقتنا الحاضر[1] .

والسبب فى استمرار ظاهرة السحر كظاهرة اجتماعية ، على الرغم من ازدهار حضارتنا المبنية على نزعة تجريبية تعقلية دقيقة ، إنما يرجع إلى عدة عوامل مهمة تستمد غذاءها من جذور متغلغلة فى صميم قلوبنا ، منعزلة تماما عن تلك التى يتحكم فيها العقل والمنطق ، وهذا العزل هو السبب فى وجود

---

(١) أنظر ج ج كراون ، صلة العلم بالمجتمع ، ترجمة حسن خطاب ، مراجعة محمد مرسى أحمد ، ص ٣٢ ، ٣٣ .

تناقض ظاهر بين نوعين مختلفين من التفكير يسيران جنبا إلى جنب فى العصر نفسه ، بل فى الذهن نفسه . ذلك أن الإنسان واجه على مر التاريخ نوعين مختلفين من الظروف ، أحدهما قابل للتكهن والاستقراء ، كالأجواء ومواسم الزراعة والفيضان ، وتأثير أنواع الطعام والشراب ، وكل العوامل الخارجية كجروح السيوف والرماح والفؤوس . وثانيهما لم ير له سببا بادىء ذى بدء ، كالرعد والقحط ، والأوبئة والسكتة القلبية ، ونوبات الصرع ، والزلازل ــ فلم يسعه اخضاعها لقانون ، وافترض لها أسبابا خفية . فواجه النوع الأول بالوسائل التى أملتها عليه خبرته واستنتجها عقله المنطقى ، ثم أخضع تلك الوسائل إلى التصحيح بالملاحظة والتجربة ، وأضاف إليها الملاحظات على مر الزمن ، وزادها دقة فى الوصف وتعمقا فى التحليل .

أما الثانية فظلت عالما مغلقا مبنيا على الخبرة التصوفية لا على البرهان التجريبى أو المنطقى ، وعالجها بما كانت توحيه إليه عقائده وأحاسيسه . فتقدمت أولى الوسيلتين ، وكونت العلم ، بينما تجمدت الثانية وأصبحت ما نسميه بالسحر(١) .

وقد ساعد على رسوخ ظاهرة السحر كظاهرة اجتماعية ، أسباب أخرى لا تقل أهمية عن الأولى ، وهى تتصل بشخصية الساحر ، وطبيعة الإنسان ، وبالفوائد والثمار التى كان يجنيها المجتمع منها .

أما الساحر فكان يمتاز دائما بقسط كبير من الحذق الاجتماعى ، والدهاء السياسى ، والمهارة فى انتهاز الفرص للقيام بأعماله ، كأن يسند فترة القحط إلى غضب الآلهة ، ويفرض ما يفرضه على الشعب لإرضائها ، ثم

---

(١) أنظر بول غليونجى ، طب وسحر ، المصدر السابق ، ص ١٨ ، ١٩ .

لايقوم بالطقوس التى يزعم إسقاط المطر بها إلا عندما يجد أن حالة الجو تنبىء به .

وفيما يخص طبيعة الإنسان فإنها تتوق دائما إلى الشىء الغريب ، وتحب التوغل فيما وراء الطبيعة ، وتؤثر عند النظر فى قضيه ما أن تأخذ بعوامل روحانية مغفلة الأسباب المادية ، وتتمسك بحالات فردية أتى السحر فيها بنتائج مردها إلى الصدفة ، وتنسى آلاف الحالات التى منى فيها بالإخفاق . هذا بالإضافة إلى حاجة الإنسان الدائمة إلى عون من فوق ، والإيمان بتوفر هذا العون هو أساس الأديان ، كما أن الشك فيه أدى إلى فلسفة اليأس والتشاؤم التى تجمعت أخيرا فى المدرسة الوجودية .

وهذا الإيمان بالسحر أكسب ظاهرة السحر قوة اجتماعية قصوى ، إذ أن المؤمن به يعتقد أنه يمكنه ، إما بنفسه أو بالإنتجاء إلى وسيط ، هو الساحر ، فرض إرادته على تلك القوى الخفية التى تحوم حوله ، الأمر الذى من شانه إزالة قلقة ، وتحقيق اتزان فى حياته العاطفية .. الخ .

وكما تقاس ظاهرة السحر بدوافعها ، فهى أيضاً تقاس بثمارها . وقد مثل السحر فى العالم القديم قوانيننا ولوائحنا الحالية ، مع فارق هام هو أن السحر قد اعتمد فى سن قوانينه للطعام ، والشراب والنشاط الزراعى ، ومواسم القنص ، وتربية الأولاد ، على الخوف من الأرواح ، بينما ترتكن فى قوانيننا اليوم إلى الوعى الاجتماعى .

ولا شك فى أن بعض الفروض والتحريمات كانت مبنية — فى الماضى — على الخبرة والتجربة فى كثير من الأحيان ، ولكنها فى حالات أخرى كان ضررها أكبر بكثير من نفعها . وربما رجع هذا الى فارق هام بين السحر

وهو جامد لا يقبل التغيير ، وبين العلم الذى تتغير أسسه كلما قام البرهان على خطئها(١) .

ظاهرة السحر والعلوم الاجتماعية :

ظاهرة السحر ميدان مشترك بين ثلاثة علوم وثيقة الصلة بعضها بالبعض الآخر ، هى الأنثروبولوجيا ، وعلم الاجتماع ، وعلم النفس . وفى هذا الجزء سنتعرض لأهم أفكار ومفاهيم العلماء فى هذه المحاولات الثلاث عن السحر ، ودوافع الاعتقاد فيه ، وممارسته . كما نتناول العلاقة بين تطور التفكير لدى الطفل ، وبين تطور التفكير الإنسانى ، وعلاقة هذين النوعين من التطور الفكرى بالسحر والاعتقاد فيه وممارسته .

ويذهب « فريزر » وهو من أوائل من درس السحر من علماء الأنثروبولوجيا ، وكتب فيه مؤلفه الشهير « الغصن الذهبى : دراسة فى السحر والدين » ، إلى أن الإنسانية قد مرت خلال ثلاث مراحل تطورية : المرحلة الأولى هى المرحلة السحرية ، والمرحلة الثانية هى المرحلة الدينية ، وأخيرا المرحلة الثالثة ، وهى المرحلة العلمية .

ففى المرحلة الأولى نجد أن الإنسان كان على جانب كبير من الحدس ، وكان يظن أن بالإمكان أن يتحكم فى قوى الطبيعة من حوله بتسخير قوى خفية لتحقيق مآربه . وبعد أن مرت الإنسانية فى خبرات معاكسة كثيرة ، وبعد أن استبان لها عجز الوسائل السحرية عن تحقيق رغباتها ، فإنها أخذت تعترف بالعجز ، وبأن هناك مشيئة أخرى خارجية لها الأولوية على المشيئة

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٢٠ و ٢١ .

البشرية ، وأن من الواجب أن يحنى الإنسان رأسه لصاحب تلك المشيئة ، أو لأصحاب تلك المشيئة، أى للإله أو الآلهة . فإذا مارغب الإله أو الآلهة فى تحقيق الرغبة أو الأمنية الإنسانية ، تحققت سعادة الإنسان. أما إذا لم تتوافر الرغبة الإلهية ، فما على الإنسان إلا أن يتقبل قدره ، وألا يسخط أو يتبرم . وفى هذه المرحلة نجد ازدواجا فى المشيئة ، فهناك أولا الرغبات أو المشيئات الإنسانية . ثم هناك الرغبات أو المشيئات الإلهية . وطالما أن الإنسان فى هذه المرحلة قد أقر بعجزه ، وأقر فى الوقت نفسه بعظمة المشيئة الإلهية ، فلابد له أن يعطى الأولوية لتلك المشيئة الأخيرة ، وأن يقدم فروض الطاعة للإله، أو الآلهة – وأن يتقرب إليه بالقرابين ، التى قد تصل فى بعض الأحيان إلى أن تكون من أبنائه .

ويذهب « فريزر » إلى أن المسيطرين على فنون السحر ، فى المرحلة السحرية ، أناس تمكنوا من فنونه وأصول ممارسته . أما فى المرحلة الدينية فكان الكهنة هم المسئولون عن الطقوس والشعائر الدينية . ولم يكن السحر أو الدين يمارسان تلقائيا ، أو حسب أهواء الناس أو اجتهاداتهم . وإنما كان لكل منهما – وما يزال – أصوله فى الممارسة، وما على الشخص العادى من غير السحرة ، ومن غير رجال الدين إلا أن يسلم القياد فى الشئون السحرية والشئون الدينية ، للسحرة ورجال الدين على التوالى .

أما المرحلة الأخيرة فى تصنيف فريزر الثلاثى ، فهى المرحلة العلمية وهى المرحلة التى تمثل تحقيق أحلام البشرية التى ساورت خيالها فى المرحلة الأولى ، أى المرحلة السحرية. ولكن «فريزر» يبدى تشاؤمه إزاء ما يمكن توقعه خلال هذه المرحلة ، ذلك أنه يرى أن القدرة البشرية محدودة مهما تعاظمت ، وأن الإنسان لا يستطيع فعل الكثير إزاء الكون وظواهره، وأن كل مايستطيع

عمله هو القضاء على نفسه وإفساد الكون من حوله. والواقع أن هذا الكلام ليس غريبا على الأسماع فى الوقت الحاضر ، فالكثير من علماء الفيزياء يبدون مخاوفهم من الطموح الإنسانى فى مجال العلم ، ويرون أن التقدم العلمى فى جملته مؤد إلى دمار الإنسانية وليس إلى ازدهارها(١) .

ويذكرنا تصنيف « فريزر » لمراحل تطور البشرية بالموقف الذى اتخذه « هربرت سبنسر » فى تفسيره لتطور الحضارة . فقد جعل مبدأ التكيف adaptation المحور الرئيسى الذى تدور حوله الأنشطة البشرية منذ ظهور الذكاء الإنسانى على وجه الأرض ، إلى آخر مرحلة تطورية وصلت إليها البشرية . ومما لا شك فيه أن « سبنسر » كان متأثرا بنظرية التطور ، شأنه فى ذلك شأن « فريزر » وغيره ممن تأثروا بنظرية التطور .

والمجتمع البدائى فى نظر « سبنسر » كتلة غير متمايزة ، وبتعبير «فرويدى»، فإن الفرد فى ذلك المجتمع البدائى لا يستطيع أن يميز نفسه (كأنا) مستقلة عن (النحن)، فثمة (نحن) بغير أن يكون هناك (أنوات) قائمة بذاتها، شاعرة بتمايزها .

ويعتقد «سبنسر» أن المرحلة الأولى من مراحل التطور البشرى نشأت عندما اختلط بعضهم ببعض ، وكونوا تكتلا لمجابهة البيئة الطبيعية ، فلم يكن من الممكن أن يعيش إنسان بمفرده ، ذلك أن الضغط البيئى ، أو بعبارة أدق ، التهديد البيئى من جانب الطبيعة ، كان الكفيل الوحيد والقوى لاستمرار هذا الخليط البشرى فى انسجام . فالمبدأ الناجح بالفعل هو ذلك المبدأ الذى أكده « سبنسر » وهو مبدأ التكيف .

---

١) انظر
Abram Kardiner & E. Preble : They Studied Man, p. 89.

ويعقد «سبنسر» مقارنة متوازية بين تطور البشرية ، وبين تطور الطفل الفرد . فالطفل بمثابة تلخيص للحضارة البشرية . فهو يندفع فى تصرفاته عن نوازع لا يستطيع التحكم فيها . وهو يعيش فى خيال جامح ، ويعتقد فى خياله بإمكان التغلب على الكون من حوله . وقد يذهب فى ذلك مذاهب أقرب ما تكون إلى السحر الذى يمارس لدى القبائل البدائية[1] .

والواقع أن « ليفى بريل » يعد من أكثر علماء الاجتماع اجتهادا فى الكشف عن التفكير السحرى ، وبخاصة عند البدائيين ، ويذهب إلى أن العقلية البدائية تمثل مرحلة ماقبل التفكير المنطقى ، وهو نوع من التفكير مقابل للفكر المنطقى عند الإنسان الحديث ، الذى يعتمد على ربط الأسباب بنتائجها بوضوح وثقة واطمئنان ، حتى أنه قد صار فى مقدوره أن يتنبأ بالنتائج حتى قبل أن يبدأ فى وضع الأسباب موضع العمل والتنفيذ[2] .

والواقع أن « بياجيه » قد أجرى تجارب مستفيضة لمعرفة المراحل التى يمر بها تفكير الطفل . وقد انتهى إلى أننا نستطيع أن نميز عدة مراحل متباينة فى تطور عقل الطفل ، فعقل الطفل يتسم بالتهرب من الواقع واللجوء إلى الخيال autism ، كما أنه يخضع للرغبات الحسية المباشرة . وبعد ذلك تأتى مرحلة يكون الطفل خلالها (ذاتى المركز) أى أنه يركز فكره حول نفسه ، ويكون فى تلك المرحلة معتقدا أنه قد وقف على الأفكار السليمة وأنه ليس بحاجة إلى برهان على صحة خبراته . وتكون أفكاره فى هذه المرحلة أفكارا أنيمية animistic أى أنه يعتقد بأن كل شىء حتى الجوامد لها روح وبخاصة لأنه يشاهدها تتحرك والشمس والقمر والسحب والهواء . . الخ .

---

(١) انظر المصدر نفسه ، ص ٤٥ ، ٤٦ .

وتعارض « سوزان أيزا كس » « بياچية » فى التقسيم سالف الذكر ، فهى تعتقد أن الإنسان فى جميع مراحل حياته يمكن أن يكون خياليا ، وأن التفكير السحرى ليس سمة لعقلية الطفل دون عقلية الناضج .

ومما لاشك فيه أن « فرويد » قد استطاع أن يطبق استنتاجاته السيكلوجية فى مجال الأنثروبولوجيا ، وبخاصة لدى تعرضه للطوطم والتابو ، وذلك فى كتابه الذى يتضمن هذين اللفظين معا ، الطوطم والتابو (Totem and Taboo) والذى نشر عام ١٩١٢ لأول مرة. وفى هذا الكتاب قارن «فرويد» بين الميكانيزمات العصابية كما تظهر بالتحليل النفسى ، وبين بعض النظم الاجتماعية القبلية ، وبخاصة ماتعلق منها بالمحرمات ، والطوطمية ، والسحر .

وبمقتضى هذه النظرة الفرويدية يكون السحر بمثابة مرض نفسى يصيب بعض الأشخاص : أو بعض المجتمعات . وأنه بمثابة ردة إلى الفكر البدائى ، أو هو ردة إلى مرحلة طفلية . فيكون بذلك عرضا نكوصيا(١) .

أما « هربرت ريد » فيعتقد أن الأنشطة الفنية البدائية تتمشى مع الأنشطة الفنية المبكرة جدا لدى الطفل(٢) .

والسؤال الذى يتبادر إلى الذهن الآن هو : هل الشخص الذى لم ينشأ فى مجتمع بدائى على الإطلاق ، يمكن أن يجمع فى داخله أيضا مقومات ذلك البدائى . الإجابة عند « فرويد » وكثير من علماء التحليل النفسى هى بالإيجاب . وهم يذهبون إلى أن القشرة الحضارية التى تغلف حياتنا إنما هى

(١) أنظر S., Freud, Totem and Taboo, chapter III.
وأنظر أيضا
J.C., Flugel, A Hundred Years of Psychology p. 348-349.

(٢) هربرت ريد ، تربية الذوق الفنى ، ترجمة يوسف ميخائيل أسعد ، ص ٥٠ .

فى الواقع قشرة رقيقة للغاية ، بحيث أن المواقف الخطيرة يمكن أن تقتلعها من حياتنا بحيث نرتد فى الحال إلى ما كنا عليه — أو بتعبير أصدق — إلى ما كان عليه أسلافنا البعيدون .

ففى المجاعات والحروب والكوارث الطبيعية تنتزع تلك القشرة الحضارية ، ويعود الإنسان إلى ما كان عليه من بدائية بحيث لا نجد فرقا جوهريا بين ما يظهره من سلوك ، وبين ألوان السلوك التى نعرفها عن القبائل البدائية .

وإننا نجد بين طيات سلوك المتحضرين ، حتى بالنسبة لأولئك الذين لم تنزع عنهم قشرة الحضارة بشكل ظاهر ، ماينم عن تلك البدائية وبخاصة ماتعلق منها بالسحر .

فكثير من المتحضرين يضعون حدوة الحصان القديمة على مداخل بيوتهم أو ترتدى زوجاتهم « كفا » مصنوعة من الذهب ، أو عينا زرقاء موشحة بالذهب أو الفضة ، بحيث تكون فى مواجهة من يقع بصره عليهن . والباعث على ارتداء تلك الكف ، أو العين ، أو وضع الحدوة على باب الشقة ، أو باب الجراج ، أو فى مقدمة السيارة أو مؤخرتها ، أو فى غير ذلك من أماكن ليس باعثا جماليا ، بل هو باعث سحرى . فالشخص الذى يعمد إلى ذلك إنما يخشى فى أعماق نفسه من أن يصاب هو أو ذويه ، أو مايعتز به بنظرة حسد ، أو بلون آخر من ألوان السحر .

والواقع أن كثيرا من المثقفين يعمدون إلى إنكار وجود أى اعتقاد لديهم فى السحر خوفا من أن يتهموا بالجهل أو التخلف ، ولكن إذا نحن تتبعنا سلوك الواحد منهم ، وقمنا بتحليل ألوان سلوكه ، لوجدنا أن قطاعا

كبيرا من سلوكه مشوب بالسحر أو بالخوف من السحر . مثال ذلك التذرع بالكتمان ، واعتبار كثير من أمور الحياة العادية سرا من الأسرار التى يجب الحفاظ على سريتها ، وعدم إذاعتها خوفا من الفحس ، أو من وقوع كوارث تذهب بروعة تلك الأشياء .

وبالنسبة للزواج فإن كثيرا من الناس يفسرون الشجار الذى ينشب بين الزوجين بوجود سحر (عمل) قد حيك ضدهما ، ويقول البعض — فى جلساتهم الخاصة — أن السبب فى عدم الإنسال لمدة طويلة كان مرجعه « عملا » قد عمل ، ولكن بعد (فك) ذلك العمل سرعان ما حملت الزوجة .

ويقول البعض أن من ألوان السحر الذائعة ، بقرى الصعيد والوجه البحرى ، يضع كلمات يكتبها العدو على كف يده ثم يصافح العريس ليلة الزفاف ، فيجد المسكين نفسه غير قادر على ممارسة الجنس مع عروسه ، ويظل الحال على ذلك النحو ، إلى أن يقيض الله له من يفك السحر المعمول ، أو تنتهى الحياة الزوجية بالانفصال(١) .

ظاهرة السحر والعادات الاجتماعية أو الطرق الشعبية :

العادة الاجتماعية ، كما يعرفها « جلن وجلن » (Gillin and Gillin) هى كل أسلوب متكرر يكتسب اجتماعيا ، ويتعلم اجتماعيا ، ويمارس اجتماعيا ويتوارث اجتماعيا(٢) » ويطلق البعض على العادات الاجتماعية مصطلح الطرق الشعبية .

ومن مميزات العادات الاجتماعية أو الطرق الشعبية فى جميع الثقافات

---

(١) أنظر يوسف ميخائيل أسعد ، المصدر السابق ، ٢٢٣ ، ٢٢٦ .

(٢) Gillin and Gillin, Cultural Sociology, p. 153.

بصفة عامة ، وفى الثقافات المتخلفة ، والقطاعات المنعزلة أو التى تنتشر فيها الأمية بصفة خاصة ، أنها تتصل بعناصر سحرية وخرافية ، كالاعتقاد بأن أرواح أجدادنا وأسلافنا تغضب أشد الغضب إذا نحن حاولنا أن نغير أو نقطع عاداتهم التى أورثونا إياها ، وفى ذلك تقول العامة فى مصر : « قطع العوايد فال » ، أى فال سيء ونذير شؤم محقق .

وكثير من الناس فى مصر ، وبخاصة العامة والسذج يخافون من المبيت فى منزل مهجور ، أو مكان منعزل خشية أن تصيبهم الأرواح المحبوسة . كذلك يحرصون أشد الحرص على ألا ينام الطفل فى حجرة وحده أو فى مكان مظلم ، وإلا أضر به « إخوانه » من الجان .

وتدلنا « موسوعة الخرافات[١] » التى جمعها « إدون » « ومونا رادفورد » أن مثل هذه العادات تشيع فى ثقافات مختلفة ومتعددة . فقد كانت موجودة عند كثير من الأقوام والشعوب ، ولوحظت عند الإغريق ، وفى الدانيمارك ، وفى اسكتلندا القديمة .

ولا يزال كثير من المصريين ، ولا سيما الريفيين يمارسون إجراءات سحرية خرافية معينة عندما تتأهب المرأة عندهم لعملية الولادة ، إذ يرفعون الأغطية عن الأوانى ، ويفكون العقد المربوطة ، ويفتحون النوافذ لتسهيل عملية الولادة ، كما أنهم يستعينون ، لتسهيل هذه العملية ، بمفتاح باب ضريح أحد الأولياء ويضعونه على ظهر المرأة لتيسير الوضع المتعسر ، كما نذكر من العادات المنتشرة فى مصر فى مناسبة « سبوع » المولود استخدام الأحجبة والتمائم (للأم والطفل) ، وإشعال الشمع ، وإطلاق البخور أو

(١) Edwin and Mona Radford, Encyclopaedia of Superstitions, Introduction, p. XIII.

العطور ، ورش الملح ، أو خليط من الملح وبعض الحبوب كالأرز والعدس والفول ، لطرد الأرواح الشريرة أو إبطال السحر .

والاعتقاد بقداسة بعض الأماكن ، أو الاعتقاد بقوتها السحرية الخفية الخارقة ، اعتقاد منتشر فى كثير من الثقافات ، وهو معروف لنا جميعا فى ثقافتنا المصرية . فهناك بعض السيدات اللاتى يأتين من القرى القريبة من القاهرة ، ومن بعض المناطق الشعبية فى القاهرة نفسها ، لزيارة جامع «الجيوشى» بالمقطم ، ثم يستلقين على ظهورهن فى بهو منحدر الأرضية قريب من الضريح ، ويتدحرجن إلى أسفل البهو ، وهن يعتقدن أن زيارة هذا المكان بالذات وممارسة هذا « الطقس » ألا وهو التدحرج ، يذهب عنهن العقم الذى يعكر صفو حياتهن (١) .

وحقيقة الأمر أنه لا يكاد يوجد مجتمع فى العصر الحالى يخلو من التفكير السحرى ، ومن أنماط السلوك المتصل بالتفكير الخرافى ، رغم ما يبدو فى هذا من تناقض مع ظروف العصر ، وما وصلت إليه العلوم والحضارة من تقدم .

ويمكن تفسير الخرافات والإجراءات السحرية السائدة فى المجتمع الحديث بأحد أمرين : أولهما أن تكون الخرافات مخلفات من الماضى البعيد ، ومن نتائج خبرات الإنسان ، فى عصور كانت خبراته فيها محدودة ، وإمكانياته فى البحث عن المعرفة قاصرة وعاجزة ، ثم انتقلت تلك المعتقدات الخرافية والسحرية من جيل إلى جيل عبر العصور عن طريق التنشئة الاجتماعية ، حتى أصبحت جزءا لا يتجزأ من التراث الثقافى للمجتمع .

---

(١) أنظر فوزية دياب ، المصدر السابق ، ص ١٤٢ ، ١٢٥ .

والأمر الثاني أن بعض هذه الخرافات من صنع العقلية الخرافية التي ورثها الإنسان عن الأجيال القديمة ، والتي قد يطبقها على ما يصادفه من مشكلات معاصرة ، إذا أعوزته الطرق التي تقضيها .

فالعادات الاجتماعية أو الطرق الشعبية المتصلة بظاهرة السحر هي إذن عادات تقليدية ، قديمة متأصلة ، راسخة في الثقافة ، يأخذها الخلف عن السلف ، والتي تبقى وتستمر برغم فناء الأفراد الذين يكونونها ، فالإنسان يولد فيجد عادات قد وجدت قبله ، وقد تتغير بعض الشيء في حياته ، ولكنه عندما يموت تستمر هذه العادات في بقائها عن طريق الأجيال اللاحقة له .

وكل الشعوب ، المتمدينة منها والمتأخرة ، تتصل بالماضي لتسترشد به وتهتدي بهديه عن طريق هذه العادات التقليدية التي من بينها العادات المتصلة بظاهرة السحر فهي تعد من بين « وسائل الحياة المختلفة التي توصل إليها الإنسان عبر التاريخ ، إنها وسائل إرشاد توجه سلوك الناس في المجتمع[١] . فهي تقدم حلولا لكثير من مشاكل الإنسان اليومية ، وتقدم لنا الجواب عن كثير من الأسئلة المتصلة بكثير من المناسبات والأحداث الجارية في حياتنا[٢] .

---

(١) أنظر

Kluckhohn and Kelly, "The Concept of Culture", In R. Linton (ed.)

(٢) أنظر فوزية دياب ، المصدر السابق ، ص ١٥٢ .

ظاهرة السحر والتنشئة الاجتماعية :

رأينا مما ذكرناه آنفا عن ظاهرة السحر والعادات الاجتماعية أو الطرق الشعبية ، أن التنشئة الاجتماعية هي دعامة أساسية من دعامات بقاء ظاهرة السحر فى عالمنا المعاصر عامه ، وفى مجتمعنا المصرى خاصة ، فمن طريق التنشئة الاجتماعيه انتقلت هذه الظاهرة من جيل إلى جيل حتى أصبحت جزءاً لا يتجزأ من تراثنا الثقافى .

وتوارث العادات التقليدية المتعلقة بالسحر من جيل إلى جيل يضفى عليها احتراماً وقدسية يزيدان من تثبيتها ورسوخها واستقرارها . وكلما تقادم عليها الزمن واستقرت بالتوارث ، أصبحت أقوى فى سيطرتها وإلزامها لأفراد الجماعة ، إذ يتمسكون عندهم الاعتقاد بأن هذه العادات هى السلوك الصائب السليم الذى تم اختياره بمحك التجريب والخبرة العملية ، وبعد أن ثبتت صلاحيته بالممارسة الفعلية للأسلاف والأجـــداد ، ولذا يجب أن يتمسكوا بها .

ويتبين لنا ذلك عندما نسأل أفراد جماعة ما (وخاصة فى الجماعات البدائية المعزلة عن تيار الحضارة أو الجماعات الريفية النائية والمنعزلة عن المدن) : لماذا يسلكون سلوكا تقليديا معينا ؟ فإنهم يجيبون بأن « ذلك ماوجدنا عليه أباءنا» أو «لأن أجدادنا كانوا به متمسكين» . بل إنهم كثيرا ما يذهبون إلى أبعد من هذا فيفصحون عن أن مخالفة العادات تجلب الشؤم والنحس والضرر على المخالف من الجماعة[1] . ويتبلور هذا الاعتقاد فى قول العامة عندنا خاصة فى الريف المنعزل وحيث تنتشر الأمية : « قطع

---

(١) أنظر فوزية دياب ، المصدر نفسه ، ص ١٥٣ .

العوايد فال » . وكذلك « قطع الوزايد ولا قطع العوايد[1] » .

والطفولة عند الإنسان هى زمن التثقيف (أى التنشئة الاجتماعية) ، فالجنين ينبثق من تيار بنى جنسه ، ويقذف به مولده فى خضم عالم من صنع يد الإنسان ، مزدحم بزاد ثقافة عصرية ، وما يتعلق بها من أمور الحياة ومطالبها القسرية . إن من المشكلات المستديمة فى الثقافة إحداث تكيف أمثل لهذا العالم المعقد[2] » .

والتنشئة الاجتماعية هى عملية تحويل الفرد من كائن عضوى حيوانى السلوك إلى شخص آدمى بشرى التصرف فى محيط أفراد آخرين من البشر ، يتفاعلون بعضهم مع بعض ، ويتعاملون على أسس مشتركة من القيم التى تبلور أسلوبهم وطرائقهم فى الحياة . ويقوم بهذه العملية فى بداية حياة الفرد منذ ولادته مجموعة الأسرة .

وليست أهمية الأسرة بالنسبة للفرد تتركز حول مده بما يحفظ له الحياة فحسب ، بل إنها تتعدى ذلك إلى عملية شخصنته وجعله آدميا متوافقا مع أفراد المجموعات والجماعات ، التى يندمج فيها ويكون عضوا من أعضائها ويحدث ذلك عن طريق نقل الثقافة السائدة فى هذه المجموعات إليه ، وكذلك بواسطة ضبط سلوكه بوسائل شتى .

بعبارة أخرى فإن الأسرة هى التى تزود الفرد بالرصيد الأول من أساليب السلوك الاجتماعية . وبذلك تزوده بالضوء الذى يرشده فى تصرفاته وسائر ظروف حياته . فكل فرد يسير فى حياته من مرحلة إلى مرحلة ؛ وينتقل من

---

(١) نقلا عن أحمد تيمور ، الأمثال العامية ، طبعة ثانية ، ص ٥٠٤ .

(٢) نقلا عن « آرنولد جزل » وآخرين ، الجنين والطفل فى ثقافة اليوم ، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد ، ص ٢٦١ .

دور إلى دور ، ومن مركز إلى آخر حاملا معه رصيده الأول من العادات والقيم وأساليب السلوك الاجتماعية ، ليهتدى به فى مقابلة المواقف الجديدة التى تواجهه فى سياق تفاعله مع مجتمعه الذى يعيش فيه . وليس من المبالغة فى شىء أن نقول إنه من النادر أن يواجه الفرد فى مستقبل حياته بموقف جديد كل الجدة يتطلب منه تكوين أنماط سلوكية جديدة كل الجدة . أو اتجاهات ليس لها أية علاقة بماضيه فى أسرته ؛ وبخاصة فى المرحلة الباكرة من حياته (١)

ومن الطبيعى أنه إذا كانت الأسرة تعتقد اعتقادا قويا فى بعض الإجراءات والممارسات السحرية ، وتحل مشكلات الحياة التى تعترضها بالالتجاء إلى السحر والأعمال ، والتحويطات التى يقوم بها المشتغلون بالسحر ، أو إذا كان أفرادها وبخاصة الأم يلجأون إلى تخويف أطفالهم وضبط سلوكهم عن طريق مؤثرات سحرية وخرافية مثل التهديد بالمارد ، والعفريت ، والأشباح ، والأرواح الشريرة كما يرددون أمام الأطفال تعبيرات تعلن عن رعبهم الشديد وذعرهم العنيف من شر الحسد ، وبأس العين التى تهدد حياتهم وحياة أطفالهم وتلاحقهم فى كل مكان وكل وقت ، ولذلك نسمعهم يقولون على مسمع من أطفالهم محذرين « العين تفلق الحجر نصين » ، و « العين لا تتلف يا تقصف » فإن الأطفال ينشأون متشربين بهذه الأفكار والمعتقدات فى السحر ، ومايتعلق به من أفكار « كالعين » و « الحسد » ، و « القر » ، و « النفس » ، و « العكس »

والأسر التى تفعل ذلك ، لا تقف عند حد التعبير اللفظى عن خوفها من

---

(١) أنظر فوزية دياب ، نمو الطفل وتنشئته بين الأسرة ودور الحضانة ، ص ١٢٣ .

العمل ، و « العين » ، والحسد ، والفقر ، بل إنها تتبع ذلك بإجراءات تؤيد مخاوفها ، لذلك فإن أفرادها الكبار يلجأون إلى الأحجبة ، والتمائم ، والتعاويذ ، والبخور لوقاية أنفسهم ، ووقاية أطفالهم على وجه الخصوص ، وتحصينهم ، وحفظهم من هذا الشر . وجدير بالذكر أن استعمال الأحجبة والتمائم والتعاويذ والبخور لا يقتصر في نظر تلك الأسر على مجرد وقاية الطفل وتحصينه من الحسد والأرواح الشريرة ، بل يتعداه أيضاً إلى علاجه وتخليصه مما يكون قد حاق به فعلا من شر أو فساد ، أو مرض .

«وجدير بالذكر، أنه كثيراً ما يكون لهذه الإجراءات الوقائية والعلاجية بالسحر ، والبخور والرقى وغيرها ، من خطورة على حياة الأفراد ، وبخاصة الأطفال. ففى الوقت الذى تتوهم الأمهات أنهن قد نجحن بهذه الإجراءات فى وقاية أولادهن ، أو فى علاجهم من المرض ، يكون المرض قد استفحل ، وتمكن منهم ، وتغلغل فى أجسامهم ، وتضاعفت خطورته تضاعفا قد يودى بالحياة . ولهذا يرى البعض أن وفيات الأطفال الصغار فى الريف المصرى «إنما ترجع فى بعض الأحيان إلى عدم إدراك وسائل العلاج السليم فى حالات المرض الطارئ»[(١)] » .

والواقع أننا نجد أن الفرد الذى نشأ فى مثل الأسر سابقة الذكر، وحصل على قدر عال من التعليم ، يلجأ عندما يقع تحت وطأة الظروف القاسية ، مثل المعاناة من مرض عضال تعجز أساليب العلم عن علاجه ، إلى الاستعانة بهذه الأساليب السحرية والخرافية ، لأنه رغم تعلمه الراقى ، فإنه قد تعرض فى تربيته الأولى للمؤثرات السحرية والخرافية . فالتنشئة الاجتماعية هنا دورها

---

(١) محمد طلعت عيسى ، دراسات فى الاجتماع الريفى ، ص ١٦ .

أخطر من دور التعليم . ومن هنا أوليناها اهتماما خاصا فى علاقتها بظاهرة السحر .

وتختلف تنشئة الأسر السالفة الذكر لأبنائها عن أسر توصل لأبنائها قيما ، وأفكارا ، وعادات مختلفة ، فهى تربيهم مقتنعين بالإيمان بقدرة الله ، التى تفوق قدرات البشر ، كما أنها تربيهم على التفكير العلمى والإيمان بالعلم ، وبحل مشكلاتهم بالطرق والأساليب المنطقية السليمة ، وربط الأسباب بالمسببات ، وتطبيب المرض بالطب لا بالبخور .

ولا بد أن نقول أن الأسرة لا تعيش فى فراغ بل تعيش فى محيط معين نطلق عليه المجتمع ، ولا بد أن يؤثر المجتمع بدوره فى الأفراد كما يؤثرون هم أيضا فيه .

والحقيقة أنه حين يتغير الواقع الاجتماعى للأفراد ، فإن أفكارهم تتغير إلى حد كبير حتى وإن تم ذلك ببطء . ولا شك أن انتشار التعليم ونشر الخدمات الطبية عالية الكفاءة ، وانتشار تعليم الدين بشكل واضح ومبسط وبخاصة فى الريف المصرى[1] ، من شأنه أن يعمل على زوال ظاهرة السحر تدريجيا .

---

(١) كثيرا ما يلجأ المشتغلون بالسحر فى مصر ريفها وحضرها إلى خلط السحر بالدين ليضمنوا سهولة التأثير على الناس ، ولكى ينجحوا فى ترويج بضاعتهم ، وبالتالى يصيبون من وراء ذلك الكسب الكثير . فالدين عند المصريين وبخاصة الريفيين من الأمور الجوهرية ، والدوافع الأساسية ذات القيمة العليا فى أعمالهم وحياتهم . ولقد استغل المشتغلون بالسحر هذه الحقيقة فدرجوا على تلوين أعمالهم السحرية باللون الدينى ، فلذلك لا نجد حجابا ، أو عملا ، أو سحرا ، يخلو من الآيات القرآنية . (المؤلفة)

الوظيفة الاجتماعية لظاهرة السحر :

لظاهرة السحر وظيفة اجتماعية هامة فى حياة الإنسان ، نستطيع تقسيمها بصفة عامة إلى وظائف فرعية كما يلى :

١ — تفسير الظواهر الغامضة ، والغريبة فى الكون ، لبعث الطمأنينة فى نفس الإنسان .

وقد يستهدف التفسير فضلا عن ذلك ، مساعدة الإنسان للتهيؤ لمواجهة أحداث أو ظواهر مقبلة .

ومن أمثلة العادات المتصلة بنواحى سحرية وخرافية ، والتى تؤدى وظيفة تفسير الظواهر الغريبة تلك العادات المنتشرة فى الريف المصرى ، وفى كثير من المناطق الحضرية المتخلفة ، وهى تفسير جفاف اللبن عند الأم الوالدة حديثا « بالـكبسة » . « والـكبسة » فى نظر السذج ، وكثير من العوام تحدث من دخول إحدى السيدات (على الأم المرضع) ومعها أشياء معينة معروفة لمن يعتقدون فى « الـكبسة » ، مثل الباذنجان أو اللحم أو السمك ، أو تكون متحلية بحلى من الذهب أو الماس . ولذلك تراعى أسرة الوالدة المرضع منتهى الدقة والحذر فى تحريم دخول أى شخص يكون معه مثل هذه الأشياء المسببة « للـكبسة » .

ونذكر من هذا النوع أيضا العادات المنتشرة فى كثير من بقاع مصر ، ريفها وحضرها ، والتى تفسر الأمراض أو بعض الحوادث المؤلمة أو الإخفاق فى الحياة ، أو فى بعض المشروعات والأمور ، بأن الشخص قد أصابته عين أو حسده حاسد ، ولذا يلجئون إلى عمل « عروسة » من الورق تصور لهم

الشخص الحاسد ، ويثقبون موضع عينها بالإبرة ، ثم يحرقونها فى النار مع مخلوط من الملح والشبة والفسوخ ، إبطالا لأثر العين ودرءا للحسد . وقد يتبع هذا الإجراء بإجراء آخر ، يلزم الشخص المحسود ، أن يلبس حجابا فيه رأس هدهد محنطة أو جزء من ذيل كلب ، أو بعض أسنان ذئب ، أو عقرب مجفف ، أو حرباء مجففة أو بعض قطع النقود الصغيرة مع قليل من الملح(١) .

٢ — تحقيق حاجة يرغبها الإنسان ويتمنى تحقيقها ، ولا يستطيع الوصول إليها مباشرة ، باتباع ما تجمع لديه من معرفة ، أو ما تعلمه فى سياق خبرات حياته من مهارات . وهناك يلجأ الإنسان إلى السحر لتحقيق مآربه . فقد يعمد الإنسان البدائى إلى السحر لجلب الخير كإسقاط المطر مثلا ، أو قد يعمد إلى مراسيم غامضة ، أو إلى الشعوذة ، واستخدام الأحجبة والتعاويذ كى يأتى المولود ذكرا ، أو كى تحمل المرأة العاقر مثلا ، أو لعلاج الأمراض المزمنة ، أو المستعصية على اعتبار أن مرجعها الجن أو الشياطين .

والواقع أن الإنسان المتعلم ذاته قد يلجأ إلى السحر تحت وطأة الظروف القاسية التى تعطل قدراته على التفكير السليم وقد يحدث مثلا عندما يعانى الفرد من مرض عضال أليم ، وتعجز أساليب العلم عن التغلب عليه . عندئذ قد يرتد الفرد بتفكيره إلى عقلية الطفل أو الرجل البدائى ، ويقبل التفكير الخرافى المتمثل فى السحر ، بل ويعلق عليه أمله . ويبرز هذا بوضوح فى الحالات التى يكون فيها الفرد قد تعرض فى مراحل تربيته الأولى للمؤثرات الخرافية كالتهديد بالعفاريت ، والأشباح ، والأرواح الشريرة .

بعبارة أخرى يمكن القول أن السبب الرئيسى فى استمرار ظاهرة السحر

---

(١) فوزية دياب ، القيم والعادات الاجتماعية ، ص ١٢٧ .

كظاهرة اجتماعية ، هو عجز الإنسان وضعفه إزاء حاجاته الأساسية ، أو مشكلاته المستعصية وعدم القدرة على التفكير المنطقي السليم . فالمرأة التي تشعر بالقلق لعدم الإنسال عموما ، أو لعدم إنسال الصبية بالذات ، وتخشى نتيجة لذلك على حياتها الزوجية من التصدع ، فإنها قد تلجأ إلى السحر لتحقيق بغيتها ، وبخاصة إذا كانت تجهل الحقائق العلمية الخاصة بالحمل والتناسل .

٣ — تجنب الضرر ودفع الخطر . وقد كانت حياة الإنسان الأول مليئة بالأخطار الواقعية ، ولكنه كان عاجزا عن أن يفكر فيها تفكيرا موضوعيا منظما ، فقد كانت خبراته محدودة ، وكانت مخاوفه كثيرة ومتنوعة ، ولم تكن ظروف حياته تتيح له القدر الكافي من الاستقرار أو الهدوء اللازمين لتتبع الظواهر التي يهمه فهمها ، وفهم العلاقات التي تحتويها .

وقد أدى به ذلك إلى أن يرى الأحداث المختلفة كأنها أحداث مستقلة منعزلة بعضها عن البعض الآخر ، وعن الوسط الذي توجد فيه .

ولهذه الأسباب كان الإنسان البدائي عاجزا عن إدراك العلاقات بين الظواهر ، فما بالنا بالوحدة الكلية للكون ؛ ومن ثم غلبت على تفكيره النظرة الأنيمية . وأصبح تفسيره للأشياء والظواهر المحيطة به تقوم على أساس (الحركة التلقائية) التي تضمن وجود قوى خاصة بكل شيء ، أو كل مظهر من مظاهر الكون ، تسيره ، وتفسره . فامتلأت حياته العقلية وتصوراته بالقوى غير المنظورة وأصبح السحر جزءا لا يتجزأ من حياته . وأصبحت المفاهيم والمراسيم السحرية بالتدريج جزءا لايتجزأ من التراث الإنساني .

وقد انتقلت تلك المفاهيم والمراسيم السحرية من جيل إلى جيل ، ومن

عصر إلى عصر عبر التـاريخ ، وهي ما زالت للآن تعيش بيننا فى أفكار ووجدان وسلوك كثيرين ممن يعيشون بيننا حتى فى أكثر المجتمعات رقياً .

لقد كان الإنسان البدائى يخشى الأعاصير ، والسيول ، والبرق، والرعد والصواعق ويخشى كثيراً من المظاهر المرضية التى يتعرض لها هو ،أويتعرض لها من يحيطون ، وفسر كل هذا تفسيراً غيبياً ، أو تفسيراً تختلط فيه الحقيقة القائمة على الخبرة الواقعية المباشرة بالمعانى الغيبية والسحر . فعانى من التشاؤم ومن مخاوف وهمية كثيرة لا يملك لهـا دفعا ، ولا يستطيـع أن يواجهها مواجهة واقعية ، فتوسم فى بعض الأشياء من بيئته وفى بعض الملبوسات إحافظاً له ومنقذا . ومن أمثلة ذلك « الخـرز الأزرق » ، و « خمسة وخميسة » ، « والأحجبة » ، و « التعاويذ » « والبخور » ، « والتمزيم » .

والواقع أن الخوف الشديد ، والتوجس المستمر من أهم أسبـاب بقـاء ظاهرة السحر كظاهرة اجتماعية ، وبخاصة إذا اجتمع مع الخوف الشديد ، الجهل ، والشعور بالضعف والعجز عن العمل الايجابى(١) .

وهكذا نرى أن ظاهرة السحر تؤدى أدواراً اجتماعية وظيفية فى كل نواحى الحياة ، فهى تستخدم فى علاج الأمراض ، والاحتفالات Coremonil magic (٢) ، كما تستخدم أيضاً كأداة لتحقيق ما يطمح إليه الفرد وهو ما يطلق عليه اصطلاح « The magic of private ambition » يستعين به الفلاح على زيادة إنتاجية أرضية ، والعامل والأجير للحصول على أجر أكبر ، والمتقاضى

---

(١) أنظر نجيب اسكندر ورشدى فام ، التفكير الخرافى ، المصدر السابق ، ص ٤٥ ، ٤٦

(٢) كالاحتفال بسبوع الطفل فى ريف مصـر ، وبعض المناطق الحضرية منهـا ، وفيه تستخدم الأحجبه والتمائم (للام والطفل) ويطلق البخور ، ويرش الملح ، وخليط من الملح وبعض الحبوب كالأرز والعدس والفول لطرد الأرواح الشريرة وإبطال السحر . (المؤلفة)

لكسب قضيه ، والفتاة لكسب قلب الرجل ، والمحب لنيل رضا محبوبته ، والسارق والمجرم لإخفاء جريمته وباختصار يستخدم السحر هنا لتحقيق الرغبات الخيرة ، والشريرة على السواء ، تلك الرغبات التي لا يتسنى للأفراد اشباعها ، أو تحقيقها بالاعتماد على جهودهم الخاصة .

ومن وظائف ظاهرة السحر ، وظيفة الدفاع ، وهي ما تعرف باصطلاح defensive sorcery ، ضد المعتدين ، ولحماية الممتلكات الخاصة ، وهو استخدام وظيفي قانوني ، ومن وسائل الضبط الاجتماعي .

وتؤدي ظاهره السحر وظيفة أخرى أخلاقية وهي الانتقام من الأعداء والتنكيل بهم .

وهكذا نرى أن السحر يمثل ظاهرة اجتماعية لها جميع خصائص الظاهرة الاجتماعية ، كما أن لها وظائف اجتماعية في شتى نواحي الحياة ، الحيوية منها ، والاجتماعية ، والسيكلوجية بل إنها تعد أداة وظيفية من أدوات الضبط الاجتماعي .

السحر في سوسيولوجيا المجتمع المصري الحديث : -

يذكر «دى شابرول» سنة ١٧٩٨ في «وصف مصر» أن المصريين المسلمين يقدسون عديداً من الأولياء الموتى ، وهم لا يعظمونهم إلا لكي ينالوا منهم الصحة لأنفسهم أو الخصوبة لزوجاتهم العقيمات ، ويرون في أوليائهم كذلك القدرة على إبطال مفعول الحسد والسحر المؤذى ، ذلك الجهل والتعصب يحملانهم على أن ينسبوا لمجرد نظرة سريعة من العين الكثير من التأثير الضار

على صحة المرء بل على حياتهم كلها . وجدير بالذكر أن اليهود وهم ليسوا أقل تعصباً ولا تطيراً من العرب يقدسون أحبارهم للغرض نفسه .

ويقوم المصريون بممارسة أخرى مضحكة ، تعود إلى ضعف نظامهم الروحى ، فيحرص المسلم منهم بعد أن يقص شعر رأسه أو لحيته على ألا يرمى بها فى الهواء ، بل يطويها بعناية داخل ورقة ثم يضعها بحرص فى أحد الشقوق ، ويتبع الشعب كله على وجه التقريب هذه العادة العجيبة »(١)

أما « إدوارد وليم لين » فيعرف السحر تعريفاً وظيفياً فى كتابه المجتمع العربى فى العصور الوسطى ، إذ يقول « يستخدم البعض السحر فى اكتشاف الكنوز المدفونة ، أو فى بعض الأغراض الكيميائية ، أو لمعرفة أحداث المستقبل ، أو لعلاج العقم ، أو لشفاء بعض الأمراض ، أو لمنع تأثير العين الشريرة ، أو للقضاء على عدو ، أو لتحقيق الرغبات .

ويذهب (لين) إلى أن هناك وصفين للسحر ، فيصفه بعض المفكرين المتحررين بأنه « شىء روحى » ، وأنه حقيقة واقعة ، بينما يصفه بعض المؤمنين بأنه غش وخداع .

أما السحر الروحى ، الذى يسميه البعض بالسحر الربانى أو الروحانى ، فيعتمد على بعض أسماء الله أو آيات من القرآن . وعلى قدرة الملائكة والجن ، وهذا النوع من السحر نوعان : علوى وسفلى ، أو بعبارة أخرى (رحمانى) و « شيطانى » .

---

(١) دى شابيرول ، وصف مصر ، دراسة فى عادات وتقاليد سكان مصر المحدثين ، ترجمة زهير الشايب ، مكتبة الخانجى ، ص ٤٤ وجدير بالذكر أن دى شابيرول لم يدرك أهمية ممارسة حفظ الشعر بعناية بعد قصه ، لذلك عدها ممارسة مضحكة ، والحقيقة أنها ممارسة عامة تتعلق باعتقاد المصريين فى السحر ، والخوف من العمل عن طريق الأثر (الأثر) .

١ — أما السحر العلوى الرحمانى ، فينظر إليه على أنه علم سام رفيع يقوم على دراسة خير الناس ويستخدم فى الأغراض الطيبة وتقوم دراسة هذا الفرع من السحر على معرفة « اسم الله العظيم » وهذه المعرفة لا تتحقق إلا لخير عباد الله . فقد استطاع سليمان بواسطة (اسم الله العظيم) أن يسيطر على الجن والطير والريح ، فقد استطاع وزيره آثاف أن ينقل عرش ملكة سبأ من فلسطين إلى يدى سليمان فى لحظة واحدة . ولكن هذا الحادث كان معجزه فقد يسبب نطق رجل لهذا الاسم موته . وهناك أسماء أخرى للرسول ، والملائكة ، والجن الخيرين « وتستخدم فى هذا النوع من السحر . وهكذا بواسطة هذه الأسماء ، وبعض الدعاء ، وبعض الكلمات ، وبعض آيات القرآن ، وبعض الأرقام والرسوم ، تتكون الكتابات السحرية التى تستخدم لأغراض الخير

٢ — أما السحر السفلى الشيطانى فهو علم يعتمد على قوة الشيطان ونفوذ أشرار الجن . ويستخدم فى هذا النوع من السحر بعض الكلمات التى تستخدم فى تسخير خيار الجن والتى نهى الرسول والمسلمون الصالحون الناس عن استخدامها فى الأغراض السيئة »[1] .

ويذهب (لين) إلى أن عامة الناس تعد السحر من العلوم الروحانية فعلا بينما يرجح البعض ذلك . ويرى البعض أن السحر يجب أن يقتصر استخدامه فى الأغراض الطيبة وألا يستعان إلا بأخيار الجن ويتم السحر بواسطة تحضير الجان ويستخدم فى ذلك عدة وسائل منها الماء والتراب . ويعتقد البعض أنه

---

(١) ادوارد وليم لين ، المجتمع العربى فى العصور الوسطى ، ترجمة على حسن الخربوطلى ، ص ٦٦ : ٦٨ .

يمكن للبشر بواسطة السحر أن يتخذوا صور الوحوش أو الطيور . كما يعتقد البعض أن العين الشريرة المحسودة لها فعل السحر. وذهب البعض إلى أن هذه العين قد تسبب أحياناً المرض أو الموت[٢] .

« وتعتبر (الكهانة) نوعا من فروع السحر الرحاني ، وإن كان من المسلمين من لا يؤمنون بعقل هذه الكهانة . وهناك حديث للرسول جاء فيه أن بعض تنبؤات المستقبل أحيانا تكون صادقة . ويقال إن الكهان يسخرون الشياطين ويسيطرون عليهم بواسطة السحر ، والأسماء العظمى ، وحرق البخور ومن أهم ما يقول به السحرة اكتشاف الكنوز المخبأة ؛ ويستخدمون في ذلك ما يسمى (ضرب المندل) ويقوم به الشياطين ، ويقبل عامة المسلمين على هذا النوع من السحر .

وهناك أنواع من الكهانة التي لا يمكننا أن نعتبرها من السحر الروحي بل تتخذ مكاناً وسطاً بين هذا النوع ، وبين السحر الطبيعي ومعظم أنواع الكهانة هذه يطلق عليها اسم (علم النجوم) ويتفرغ كثير من المسلمين في الوقت الحاضر لدراستها ويعتمد عليهم كثير من الناس حينما يشرعون في بناء بيت أو القيام برحلة . وقد اعتبر الرسول هذا العلم فرعاً من فروع السحر . وهناك فرع آخر من فروع الكهانة يسمى (ضرب الرمل) ، ويعتمد على بعض علامات ترسم على الرمل أو على الورق . أما علم (الزجر) فهو فرع ثالث من فروع الكهانة ، ويعتمد على مشاعر بعض الطيور أو الغزلان أو بعض الوحوش . فإذا وقف حيوان أو مر على يمين أحدهم اعتبر ذلك فألا حسنا ، ويطلق على ذلك اسم (السانح) ، أما إذا مر هذا الحيوان على

---

(٢) انظر المصدر نفسه ، ص ٧٠

الكهانة أما (الفال) فالقرآن يقره ويعترف به . أما علم (تفسير المنامات) أو تفسير الأحلام فهو أحد فروع علم الكهانة . قال الرسول : إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب ، ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة « كما قال صلى الله عليه وسلم : الرؤيا من الله والحلم من الشيطان ، فإذا حلم أحدكم حلما يكرهه فليبصق عن يساره ، ويستعذ بالله منه فلن يضره » . ويحترم معظم المسلمين هذا الحديث النبوى ، ويعتقد الكثير أن الأحلام توضح بعض أجزاء التاريخ أو العلوم ، ويعتقدون أن الحلم بشىء أبيض أو أخضر أو ماء يدعو إلى التفاؤل ، بينما يدعو اللون الأسود أو الأحمر أو رؤية النيران إلى التشاؤم .

وهناك أيام يتفاءل منها الناس ، وأيام أخرى يتشاءمون منها فهم يتفاءلون من يومى الخميس والجمعة ، وخاصة اليوم الأخير ، ويعتقدون أن هناك ستة أيام مشؤمة فى كل شهر ، ففى اليوم الثالث قتل قابيل أخاه هابيل ، وفى اليوم الخامس طرد الله آدم من الجنة ، وفيه غضب الله على قوم يونس ، وفيه أيضا ألقى بيوسف فى البئر ، وفى اليوم الثالث عشر انتزع الله ثروة يعقوب ومملكة سليمان ، وفيه قتل اليهود بعض الأنبياء ، وفى اليوم السادس عشر دفن الله قوم لوط ، وحول ثلثمائة مسيحى إلى خنازير وبعض اليهود إلى قرود ، وفى ذلك اليوم غدر اليهود بزكريا . وفى اليوم الواحد والثلاثين ولد فرعون ، كما غرق فى ذلك اليوم أيضا ، وفيه أصيب قومه بالطاعون . وفى اليوم الرابع والعشرين قتل نمرود سبعين امرأة ، وألقى إبراهيم الخليل فى النيران ، وفيه ذبح جمل صالح ، وفى اليوم الخامس والعشرين أرسل الله تعالى ريحا على قوم هود .

أما السحر الطبيعى أو (السيميا) فينظر إليه المسلمون المتعلمون على أنه لون من ألوان الفن والخداع والشعوذة . ولكن يمكن القول أنه نوع

من أنواع السحر، إذا يقال إن له تأثيراً ظاهريا إذ أنه يؤثر فى الشعور والخيال بطريقة تشبه تأثير الأفيون، ويعتقد البعض أن الأفيون وبعض العقاقير تؤدى إلى التأثير على النفوس وتستخدم هذه المواد كلها فى ذلك النوع الذى سميناه « ضرب المندل » والذى سبق لنا الحديث عنه وتعتبر هذه الأعمال جميعا من السحر الطبيعى. ويعتقد أن اطلاق البخور وسيلة من وسائل تسخير الشياطين وتعتبر الكيمياء فرع من فروع السحر الطبيعى ويتوفر كثير من المسلمين فى الوقت الحاضر على دراستها . وأبرز السحرة المصريين الذين نالوا شهرة كبيرة فى مصر فى خلال المائة سنة الأخيرة هو الشيخ أحمد الصادومى الذى ذاع صيته منذ ستين عاما مضت »[١] .

ويضيف «وليم لين» فى كتابه المصريون المحدثون «شمائلهم وعاداتهم» الذى صدر سنة ١٨٣٦ أن السحر العلوى أو الرحمانى ، علم يعتمد على عون الله وملائكته والجن الصالحين ، وعلى أسرار شرعية أخرى ، وأنه يستخدم دائما لأغراض طيبة ، وأنه لا يدركه ويمارسه غير الصادقين الذين يتعلمون من الحديث، أو القراءة، أسماء هؤلاء العاملين الذين يفوقون الطبيعة البشرية وأدعية تكفل إجابة رغباتهم . وتتصل كتابة الأحجبة لغرض صالح بهذا الفرع من السحر وبالتنجيم وبعلم أسرار الأعداد . وأقصى ما يدرك فى السحر العلوى هو معرفة « الاسم الأعظم » . وهذا هو أعظم أسماء الله الذى يعتقد المتعلمون أنه لا يعرفه إلا الأنبياء والرسل . ويقال إن من يعرف هذا الاسم يستطيع ، بمجرد النطق به ، أن يحيى الميت ، ويميت الحى ، وينتقل على الفور حيثما يشاء ، ويأتى بأى معجزة أخرى . ويظن البعض أن أفاضل الأولياء يعرفون هذا الاسم . ويعتقدون أن السحر السفلى يقوم على عمل

---

(١) المصدر نفسه، ص ٧٢ : ٧٢

الشيطان وأشرار الجن ، وأن أشرار الرجال يستعملونه لأغراض خبيثة . وإلى هذا الفرع ينتسب علم « السحر » الذى يطلقه العرب على الرقية الشريرة فقط .

ويدرس الكثيرون فى مصر علم النجوم أو التنجيم . ويستخدمونه على الأخص لحساب المواليد وتعيين أوقات السحر الخ . ولمعرفة أى البروج يخضع له الشخص . ويتم ذلك بحساب القيم العددية لحروف اسم الشخص واسم امه . وكثيرا ما يكون ذلك فى حالة إقدام اثنين على الزواج للتحقق من توافقهما وقد أخبرت أن « علم الرمل » يستند غالبا على التنجيم ويزعم القائمون به أنه يكشف الماضى والحاضر والمستقبل بواسطة علامات يرسمونها عرضا على الورق أو الرمل ، ومن هنا سمى هذا العلم »[1] .

ويذكر « محمد عمر » فى كتابه حاضر المصريين أو سر تأخرهم الصادر فى سنة ١٩٠٢ فى فصل بعنوان «أوهام الأغنياء» أن للاغنياء أوهام وسخافة فكر لا يقدر القلم على وصف بعضها . ومنشأ كل ذلك قلة إلمامهم بالعلم وجهلهم للحقائق ، فمن الأغنياء فى هذا القطر قسم كبير يقضون جل العمر وراء تحويل النحاس إلى إلى ذهب . ولهم ولع كبير فى البحث من كتب الكيميا وغيرها لأمل كاذب فى نفوسهم على نيل مآربهم حتى إن بعضهم ليضيع ماله وعمره ولكن لا يضيع أمله فى صحة معتقده فى تحويل النحاس إلى الذهب ، والسبب فى ذلك غشاوة الجهل والغرور المنتشرة على أبصارهم وبصيرتهم .

---

(١) ادوارد وليم لين ، المصريون المحدثون ، شمائلهم وعاداتهم ، ص ١٩١ و ١٩٢ .

أما النساء فأمورهن فى الوهم مضحكة مبكية دالة دلالة صريحة على قلة فهمهن وإدراكهن. فلا تزال الكثيرات منهن يعتقدن فى المرض المعروف عند الأطباء بمرض الأعصاب وعند العوام بالأرواح المتسببة من مس الشياطين وان لا دواء له غير « تبييت » الأثر ، وعمل الزار الذى عم ضرره وانتشرت مفاسده.

يضيعن حاجتهن فى مغازلهن لعدم الترتيب ثم يتهمن الخدم ويسألن فلا يهتدين لمعرفة ما فقدنه فيذهبن إلى دكاكين المدعين معرفة الغيب، وعواقب الأمور ، فيعرضن حالتهن ، وينقدنهم كمية من المال فيكشفه الخادع المنافق كذبا بخط على الرمل ويسمونه المنجم وطرق بالحصى ويسمونه الحاسب ، ونظر فى المياه ويسمونه المندل . ويا للأسف أن هذه المنكرات فاشية أكثر ما تكون فى الأمصار والقرى بمعرفة المسلمين فيا سبحان الله أين من يعلمهم ما تقرره الشريعة من ذم ذلك، وأن البشر محجبون عن الغيب إلا من أطلعه الله على شىء من عنده ... أليس بعد ذلك نقول :

الفال والزجر والكهان كلهم مضللون ودون الغيب أقفال

ولكن لا يدرى هؤلاء ذلك وقد تكذب الواحدة على الأخرى وقد تحلف أغلظ الأيمان ، وأوثق الأقسام أن كل ذلك مفيد، وقد وجدت بفضله ما افتقدته ، وعثرت على ما ضيعته أو شفى ما كان بها من المرض وكل ذلك تغرير وإفساد لغيرها حتى تقع فيما وقعت فيه. وهؤلاء مروجوا الأوهام والسخافة كثيرون منتشرون فى الطرق والدكاكين وأكثر ما يوجدون فى الدرب الأحمر وشارع الساحل بقرب الدائرة السنية وفى جهة باب الشعرية والجمالية

وبولاق .. أى أنهم منتشرون فى كل ناحية أكثر من انتشار المدارس التى تحيي الحق وتبطل الوهم وتربى عقل الإنسان(١) .

وكتبت الآنسة «بلاكمان» Blackman سنة ١٩٢٩ فى بحثها الاجتماعى لوصفى عن فلاحى مصر العليا ، فصلا مستقلا بعنوان « مشابهات مصرية قديمة » أوردت فيه زهاء تسعين مثلا من معتقدات وعادات شائعة حاليا فى صعيد مصر التى تشبه نظيراتها التى كانت معروفة لدى أسلافهم من المصريين القدماء وتقول فى معرض الإشارة إلى عادات الفلاحين ومعتقداتهم اليوم .

« لما كان أغلب هذه العادات والمعتقدات الشديدة الأهمية والطرافة فى حد ذاتها قديمة جداً ، فإن هذه الحقيقة تجعل من الضرورى المبادرة إلى دراستها وتسجيلها بكل دقة وعناية »(٢)

وقد خصصت « بلاكمان» الفصل الحادى عشر من كتابها لدراسة السحر والسحرة فى مجتمع الفلاحين فى صعيد مصر ، وتقول فيه فى معرض حديثها عن مكانة السحر والسحرة فى مجتمع القرية . « يلجأ الأهالى فى مصر إلى السحرة من الجنسين لمساعدتهم فى أوقات الشدة . وبعض هؤلاء السحرة ذاع صيتهم أحيانا ، أبعد من حدود القرى التى يعيشون فيها ، وتصلهم دعوات مستعجلة من أفراد يعيشون فى مناطق بعيدة من البلاد ، وذلك للسفر اليهم ، والقيام بنجدتهم » .

وتذكر بلاكمان أنه ليس من المألوف بالنسبة للسحرة من الإناث الذهاب

(١) أنظر محمد عمر ، حاضر المصريين أو سر تأخرهم ، ص ٤٧ : ٥١
أنظر مابعده البحث الميدانى ، خريطة المشتغلين بالسحر ص ٢٩٩ .
(٢) أنظر
S.W. Blackman, The Fellaheen of Upper Egypt.

بعيداً عن القرى التى يعشن فيها ، أو أبعد من القرى المجاورة لقراهن، ولكنها تعرف بعض السحرة من الذكور ، الذين يسافرون بعيداً لمزاولة عملهم فى كثير من المديريات .

ويحترم الفلاحون المصريون السحرة ، كما أنهم يخشونهم بدرجة كبيرة . وهذا يرجع بلا شك إلى معرفة السحرة بالتعاويذ وقدرتهم على استخدامها سواء فى الأغراض الشريرة أو فى الأغراض الخيرة .

ولكى يسترضى الفلاحون السحرة ، فإنهم يقدمون لهم الهدايا من الحبوب والأطعمة المجهزة ، وغير ذلك من السلع المرغوب فيها .

وتحدثنا « بلاكان » فى الفصل الخاص بالسحر من كتابها عن ساحرة من معارفها « عليها عفريت ، يسكن « تحت الأرض » ويسمى الشيخ محمد ، وهذا الشيخ يتواجد دواما مع هذه المرأة ، وعندما يلجأ أحد من الناس إلى هذه الساحرة لتزاول عملها ، فإنها تنادى « الشيخ » لتجذب انتباهه ، فمثلا إذا أحضر لها الأهالى شخصا مريضا سواء أكان طفلا أم يافعا ، فإنهم يظنون أنها بمساعدة هذا الشيخ تستطيع أن تذكر لهم ما إذا كان سيعيش أم سيموت . ويلجأ الأهالى كثيرا إلى هذه الساحرة طلبا لعونها ويقوم الشيخ بتقديم النصح لها بالنسبة لكل حالة على حدة .

وتضيف « بلاكان » فى حديثها عن السحر الخاص « بالكره » ، أنه عندما يريد الرجل أن يجعل زوجته تكرهه ليسهل عليه القيام بطلاقها ، فإنه يلجأ إلى أحد السحرة ليقوم باتخاذ الاجراءات اللازمة فى هذا الشأن ولتحقيق هذه الغاية يحضر الساحر بيضة، ثم يقوم بكتابة بعض الحروف السحرية التى يفترض

أنها تكون اسم ملك القبور The king of tombs على قشرتها ويشترط ا لنجاح هذه العملية أن تكون الدجاجة قد باضت هذه البيضة فى يوم الأربعاء وبعد ذلك يأخذ الساحر البيضة ، ويدفنها فى أحد القبور ، ويجب ألا يعرف هذا القبر ، أى إنسان ، لأى سبب كان .

وإذا كان الرجل الذى الذى يرغب فى طلاق زوجته من المسيحيين ، فإنه يلزم أن توضع البيضة فى قبر أحد المسيحيين ، أما إذا كان مسلما ، فإنه يتعين على الساحر أن يضعها فى قبر أحد المسلمين .

ولابد أن تبقى البيضة دائما فى المكان الذى وضعها فيه الساحر . وإذا اكتشف أحد الناس ذلك المخبأ السرى للبيضة ، ثم قام بنقلها من مكانها ، فإن السحر يفقد مفعوله ، وتحب المرأة زوجها ثانية .

أما عن السحر الخاص بالانتقام ، فتقول « بلاكمان » أنه عندما يرغب أحد الرجال فى أن يأخذ بثأره من شخص آخر يعتقد أنه ألحق به ضررا بالغا فإنه يلجأ إلى أحد السحرة ، ويطلب منه أن يصنع له شكلا من الشمع أو من الفخار يفترض أنه يمثل الرجل الذى يريد إلحاق الأذى به . وبعد أن يصنع الساحر الشكل المطلوب من الشمع ، فإنه يقوم بالقائه فى النار ، وهو ينطق ببعض من الرقى ، أما إذا كان الشكل المطلوب مصنوعا من الفخار ، فإن الساحر يقوم بالقائه فى الماء بدلا من النار . وحيث أن الأشكال تتلاشى فى النار أو فى الماء ، فإن الرجل المطلوب الثأر منه يموت تدريجيا .

وتذكر « بلاكمان » أن الأهالى نادرا ما يلجأون إلى اتخاذ مثل هذا الإجراء المتطرف ، كما أنه من العسير جدا على المرء أن يجد أحدا من السحرة

يقبل القيام بتنفيذ هذه المهمة مهما أجزل له العطاء ، لأن الشخص الذى يعمل له مثل هذا السحر لا علاج له ، وهو محكوم عليه بالموت نظرا لأن الأشكال (سواء المصنوعة من الشمع أو من الفخار) لا يمكن إنقاذها من النار أو من الماء(١) .

وفى سنة ١٩٤٦ كتب الطبيب «محمد فخر الدين السبكى» كتابا قيما بعنوان « مذكرات طبيب فى الأرياف » ذكر فيه كثيرا عن عادات الريفيين فى مصر ، وبعض الظواهر الاجتماعية المنتشرة بينهم ، وهو حين يتحدث عن الدجالين الموجودين فى القرية المصرية ، وهم الذين يشاركون الأطباء فى مهنتهم ، ويصفون الأدوية لكل داء ، يذكر ضمنهم طائفة تستعمل السحر فى العلاج وطائفة أخرى تعالج بالأحجبة والبخور(٢) .

ويذكر الكاتب أن أسماء الأمراض فى الأرياف تطلق عادة على أسبابها ، فمثلا إذا حسد شخص طفلا وأصيب هذا الطفل بنزلة معوية ، فلا يقال أن عنده (إسهالا) ، بل يقولون أنه (محسود) أو عنده (نفس) ، وإذا أصيبت امرأة بنزيف واعتقد أهلها أن ذلك نتيجة سحر ، فإنهم لا يقولون أن عندها نزيفا بل إنه (معمول لها عمل) وهكذا . ويطلق اسم الحسد ، أو النفس ، أو العين على عدد كبير من الأمراض تكون لها ظروف خاصة تستوجب الاعتقاد بأن سببها هو الحسد ، وتشمل أغلب امراض الأطفال كالهزال ، والضعف العام ، والتهابات الجلد ، والأمراض التى تظهر على الشخص فى ظروف خاصة .

---

(١) أنظر بلاكمان ، المصدر نفسه ، الفصل الحادى عشر .

(٢) أنظر محمد فخر الدين السبكى ، مذكرات طبيب فى الأرياف ، ص٤٣

وهناك مرض يطلقون عليه الأسياد أو العفاريت، وهذا يشمل الحالات التي تكون أعراضها غريبة وغير مفهومة ، وأمثلة ذلك الأمراض العصبية ، والحمى الروماتيزمية ، وحالات الاستسقاء .

ويدخل في باب الأسياد والعفاريت ، السحر أو العمل ، ومن الأمراض التي تنسب إلى السحر ،النزيف عند النساء ، والضعف التناسلي ، عند الرجال . ولا تكاد تخلو قرية من القرى من وجود شخص يدعى العلم بالسحر ويدعى لنفسه القدرة على حل كل إشكال بقوة سحره[1] .

وفي قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصريه ، الذي ألفه أحمد أمين في سنة ١٩٥٣ ، وردت كثيراً من العادات والتقاليد والتعابير المتصلة بالسحر والاعتقاد فيه : منها الأحجبة ، والاستخارة ، والزايرجة ، وضرب الرمل ، وضرب الودع ، والطالع ، وفتح الكتاب ، وقياس الأثر والربط[2] .

وقد تناولت « فوزية دياب » سنة ١٩٦٦ في كتابها القيم والعادات الاجتماعية » مع بحث ميداني لبعض العادات الاجتماعية ظاهرة السحر في مواضع عديدة من كتابها الشامل ، وكذلك العادات الاجتماعية المتعلقة بها وقد ذكرت على سبيل المثال أنه من الملاحظ ، في كثير من قرى الوجه القبلي والبحري ، أن الأهالي يعتقدون اعتقادا قويا في بعض إجراءات سحرية يلجأ إليها حساد العريس أو حساد العروس أيام زواجهما ، لكي يفسدوا حياتهما الزوجية . فعندما يفشل العريس في الاتصال الجنسي بعروسه لأي أمر

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٥٠

(٢) أحمد أمين ، المصدر السابق .

من الأمور يفسر ذلك بأن أحد السحرة، بناء على طلب أحد منافسى العريس الذين يكرهونه ، قد قام بربطه . وحينئذ يسعى العريس إلى الشخص المعروف بقدرته على فك الربط ، ويتوسل إليه ، أن يفك الربط ويحله . ويفك الربط عادة مقابل أجر يتراوح بين عشرين قرشا ومائتى قرش تبعا لمقدرة الشخص المربوط ودرجة تلهفه على التخلص من مشكلته .

وتضيف « الباحثة » أنه لو تعمقنا فى مواقف الالتجاء إلى السحر والعمل والتحويطات التى يقوم بها الدجالون لوجدنا أنهم يخلطون دائما السحر بالدين، لكى يضمنوا سهولة التأثير على الناس، ولكى ينجحوا فى ترويج بضاعتهم، وبالتالى يصيبون من وراء ذلك الكسب الكثير .

فالدين عند الريفيين من الأمور الجوهرية والدوافع الأساسية ذات القيمة العليا فى أعمالهم ، وفى حياتهم بصفة عامة وأى شىء يقترن به ، ويصطبغ بصبغته ، يكتسب قيمة كبيرة وقدسية قوية ، ويصبح ذا تأثير فعال نافذ فى النفوس، وقد استغل المشعوذون والدجالون، هذه الحقيقة فدرجوا على تلوين أعمالهم السحرية باللون الدينى ، ومزجها مزجا بالعقائد الدينية، ولذلك لا نجد حجابا أو عملا أو سحرا يكاد يخلو من الآيات القرآنية ، ولذلك أيضا نجد ، أن هذه الأعمال السحرية ، وتلك الأحجبة ، والتحويطات ، بما احتوت عليه « من كلام الله » تؤدى وظيفة هامة فى العمل على راحة الشخص النفسية ، والتغلب على عجزه وإخفاقه ، بما توفره له من آمال عاجلة أو آجلة يوم بتحقيقها ، ويوحى إليه بأنها لا محالة واقعة .

ويمكننا أن نستخلص من كل هذا أنه على الرغم من شدة الشعور الدينى

عند الريفيين ، وقوة إيمانهم بالعقائد الدينية ، فإن كثيراً[1] منهم على وعى ضعيف بحقيقة تعاليم الدين وكيفية تطبيقها عملها فى الحياة الواقعية .

ويؤيد «محمد الجوهرى» رأى فوزية دياب فى كتابه « علم الفولكلور » الجزء الثانى : دراسة المعتقدات الشعبية الصادر فى سنة ١٩٨٠ إذ يقول فيه « ومن الطبيعى أنه كلما ازداد حظ الإنسان من الثقافة الدينية الحقيقية، تردد فى التسليم بتلك المعتقدات (ومنها السحر)[2]

وفى هذا الكتاب القيم ، يعرض مؤلفه لدراسة المعتقدات والممارسة السحرية ، ويصنف السحر إلى سحر رسمى وسحر شعبى ، ويتناول أغراض الممارسة السحرية، ثم يحلل بعض تقارير الدراسات الميدانية على بعض المشتغلين بالسحر فى الريف المصرى ، وينهى الجزء المخصص لدراسة المعتقدات والممارسة السحرية بدليل مختصر للدراسة الميدانية للسحر[3] .

تحليل وخلاصة :

١ — يلاحظ أن أغلب المعتقدات السحرية التى تعرض لها الكتاب المختلفون،الذين تناولوا ظاهرة السحر وعلاقتها بسوسيولوجيا المجتمع المصرى، تعد إرثا مصريا مشتركا تستمد جذورها من مصادر قديمة ، أقدم من الدين نفسه (سواء اليهودى ، أو المسيحى أو الإسلامى) وأسبق عليه فى الوجود ، وأنه إذا بدا لنا أن بعض هذه المعتقدات يتفق فى بعض جزئياته العارضة — مع مبادىء الدين ، فإن هذا الاتفاق هو ثمرة عملية تكييف أو موائمة متعمدة

---

(١) فوزية دياب ، المصدر السابق ، ص ٢٠٣

(٢) محمد الجوهرى ، المصدر السابق ، ص ٢٨

(٣) المصدر نفسه ، الباب الثانى

لجأت إليها العقلية الشعبيه كى تضمن للمعتقد الشعبى (ذى الأصل السابق على الدين) البقاء وسط بيئة الدين الجديد ويضمن له إقرار رجال هذا الدين ولكنه فى حقيقته وجوهره ما زال تعبيرا عن عنصر أقدم فى شخصية هذا الشعب[١].

٢ — يتبين من دراسة ظاهرة السحر ، والمعتقدات السحرية ، فى المجتمع المصرى أن مصر تمتاز بظاهرتين هامتين هما القدم والاستمرار، فالمجتمع الريفى على سبيل المثال ، تابع حياته فى القرية ، وعمله فى الحقل والزراعة دون انقطاع خلال فترة تقارب السبعة آلاف سنة ، أى منذ بداية العصر الحجرى ، إلى العصر الحديث ، ولذلك فإن نظمه واستقرت وتبلورت على مر الزمن» [٢]

وبالمثل فإن دراسة تاريخنا الاجتماعى والثقافى يتيح لنا أن نميز بين العناصر الثقافية الأصيلة، والعناصر الثقافية الدخيلة. وإذا كان الأمر كذلك ، وكانت ظاهرة السحر ، والمعتقدات السحرية فى مجتمعنا المصرى من العناصر الثقافية الباقية من المجتمع المصرى القديم ، فلابد لنا أن نقارن بين ظروف النشأة الطبيعية الأصيلة التى أوجدت الظاهرة ، موضوع دراستنا ، وبين الظروف القائمة الآن لوجودها وهذا ما سنتناوله فى الجزء التالى من دراستنا النظرية ، ثم فى البحث الميدانى[٣].

---

(١) انظر المصدر نفسه ، ص ٢٨

وانظر ما قبل ص ٢٠٢ ، ص ٢٠٣

(٢) انظر سيد عويس الابداع الثقافى على الطريقة المصرية ، ص ١٤ .

(٣) انظر الجزء الخاص بأهداف الممارسة السحرية، والبحث الميدانى.

دور ظاهرة السحر فى المجتمع المصرى :

أهداف الممارسة السحرية هى محور اهتمام معظم الكتابات التى تناولت ظاهرة السحر[١] ، على أساس أن معرفة هذه الأهداف ، يلقى الضوء الأكبر على الدور الذى تلعبه ظاهرة السحر فى المجتمع ، والأهمية التى ينسبها الناس إلى المعتقد السحرى فى حياتهم اليومية .

وسنتناول فى هذا الجزء المتعلق بظاهرة السحر والمجتمع المصرى أهداف الممارسة السحرية من جانب المشتغلين بالسحر من جهة ، ومن جانب المترددين عليهم من أفراد المجتمع من جهة أخرى ، وذلك من وجهة نظر تحليلية نقدية ، ذلك أننا سنتناولها فى واقعها الاجتماعى ، من خلال البحث الميدانى الذى قمنا به فى مدينة القاهرة ، وذلك فى الجزء المخصص للبحث الميدانى من الكتاب[٢] .

أولا : أهداف الممارسة السحرية بالنسبة للمشتغلين بالسحر :

١ — السعى وراء المال :

يقوم بعض الأفراد بالاشتغال بالسحر طلبا للمال ، فهم يستغلون مواهبهم ومهاراتهم فى الحصول على المال عن طريق إغراء بعض الأفراد بوجود قوى غير منظورة فى حل مشكلاتهم وعن طريق اقناعهم بمدى قدرتهم هم على حل

---

(١) على سبيل المثال نجد العالم الفرنسى « أدمون دوتيه » وقد اهتم إهتماما شديداً بهذا الموضوع فى مؤلفه الضخم على السحر والدين فى شمال أفريقية . فقد أورد فيه طائفة عريضة فى الموضوعات السحرية التى جمعها فى ملاحظاته الميدانية ومن المؤلفات السحرية المنتشرة هناك وأ كثرها ... وف فى الشرق العربى انظر :

Edmond Doutté : Magie et religion dans l'Afrique du Nord. Alger, 1909. Ch. 5

مشكلاتهم وإجابة حاجاتهم ، ويشجعهم على ذلك أن هذه الأعمال تحقق دخلا لا بأس به سواء كان دخلا ماديا أو عينيا .

ويعد الحصول على المال هدفا لكثير من السحرة منذ القدم .

٢ — السعي وراء المكانة :

السعي وراء المكانة عامل من العوامل التي تدفع بعض الأفراد للاشتغال بالسحر . فبعض الناس يخشون تلك الفئة ليس عن حب واحترام بقدر ما هو خوف منهم وإتقاء لأذاهم . حيث يظنون أنهم سوف يتعرض لضرر القوى الغيبية التي يسخرها هؤلاء السحرة .

٣ — توريث امتهان السحر :

يقوم البعض بالاشتغال بالسحر بالوراثة ، ففي الأغلب يسلم الأب ابنه هذه المهنة لأن بعض الناس لديهم اعتقاد بأن هذه المقدرة يمكن توريثها من الأب إلى الابن ، كذلك فإن الابن تكون له دراية كبيرة بالأعمال السحرية عندما يكون والده ساحرا ، ويساعد على ذلك أن كثيرا من المشتغلين بالسحر ، يحرصون على توريث أبنائهم هذه المهنة ، لما تدره عليهم من أرباح وفيرة أغلب الأحيان ، وما تضفيه عليهم أيضا من مكانة مرموقة[1] .

ثانيا : أهداف الممارسة السحرية بالنسبة للمترددين على السحرة :

تتركز أهداف الممارسة السحرية بالنسبة المترددين على السحرة ، في إشباع حاجاتهم needs سواء كانت هذه الحاجات ، مادية ، أو دينية روحية

(١) انظر نبيل صبحي حنا ، المصدر السابق ، ص ١٤ ، ١٥ وانظر أيضا الجزء الخاص بالبحث الميداني ص٣٠١

بعبارة أخرى تستهدف الممارسة السحرية تحقيق رغبات الناس التقليدية المعروفة وأهمها ما يلي :

١ — شفاء الأمراض :

فى مقدمة أهداف الممارسة السحرية يأتى موضوع شفاء الأمراض بأنواعها المختلفة . وهناك بعض الوصفات والأعمال السحرية التى تنفع علاج أى مرض وكل مرض . أما إذا أردنا التخصيص عن أسماء كل مرض على حدة ، فتأتى فى المقدمة أمراض العيون ثم تأتى بعدها أمراض الحمى بأنواعها . ويأتى بعد ذلك الأمراض التالية : الصداع ، وأمراض الأسنان ، والصرع ، والكسور ، و « شفاء الملسوع » بسبب لدغ العقارب وعضة الثعبان وغيرها من الزواحف السامة ، وكذلك تسهيل عملية الوضع ، وشفاء « الكبسة »[1] وإدرار اللبن ، وإيقاف النزيف بالنسبة للمرأة .

ومن أهم أسباب تردد الناس على المشتغلين بالسحر ، علاج أمراض الأطفال ، وعلاج مشكلات تربية الأطفال كسوء الخلق أو الانحرافات ، أو البكاء الدائم ، وحماية الجنين فى بطن أمه ، وعلاج الرضيع الذى لا يتمكن من الرضاعة بشكل سليم ، وعلاج بكاء الطفل ، وحماية الطفل من أم الصبيان (أو القرينة) ، وعلاج تأخر الكلام عند الطفل ، وعلاج الاضطرابات والمضاعفات التى تحدث بعد ختان الطفل[2] .

---

(١) انظر ما قبل ص١٨٥

(٢) هناك طائفة لا حصر لها من الأمراض لا يتسع لها المقام هنا . وهناك وصفات تستهدف الإصابة بأمراض مختلفة . وتجد نماذج لذلك فى مواقع متفرقة من كتب السحر (الرسمى) فى مؤلفات البونى ، والسيوطى ، وابن الحاج وابن الملق ، « جواب من استفهم عن اسم الله الأعظم » ، مخطوطة (دار الكتب المصرية ، القاهرة ، تحت رقم ٢٣١٨٠ ب) ص ٥٦ ب ، ص ٥٧ .

ومن المترددين من يذهب لعلاج أمراض نفسية (بلغة العلم) ، لكن لها فى لغة العوام قاموسا خاصا وأسماء شعبية خاصة فهناك « الزهقان ، وضيق الصدر » ، وهناك من أصابته (نفس) ، أو (عين) جعلته حزينا مكتئبا على الدوام، وهناك من يحلم أحلاما مخيفة دوما، وهناك «الموسوس» و«الحامى» سريع الغضب ، وهناك أيضا المؤرق الذى لا يستطيع النوم .

ويطلب الأول من الوصفات ما تستهدف « إدخال السرور على الحزين» أما الثانى فيطلب وصفة للتخلص من الأحلام المزعجة المخيفة، ويطلب الثالث البرء من الوسواس، ويريد الرابع وصفة لإذهاب الغضب « كالمسح على رأس الغضبان لإزالة غضبه » (١)(٢) .

وجدير بالذكر أن من المترددين من يذهب للانتقام من غريمه باستخدام وصفة تجعله يصاب بمرض معين .

٢ — كشف الغيب أو الإخبار بالمستقبل :

من أهم مايرغب المترددين على المشتغلين بالسحر فى معرفته هو طلب الإخبار بمعلومة معينة حول المستقبل ، أو الحصول على توجيه إلهى أثناء النوم . وهـذا لا يوجد بالنسبة للمعتقدات السحرية عند الشعب المصرى فحسب بل لا يوجد فى المعتقدات السحرية عند كافة الشعوب (٢) .

ويعد هذا الهدف وهو معرفة الغيب ، مطلبا أساسيا ، لدى المترددين . والدوافع إلى معرفة الغيب كثيرة عندهم ، فهناك دافع الخوف . . الخوف من

(١) انظر على سبيل المثال ، البونى ، شمس المعارف الكبرى ، الجزء الثانى ، ص ١٥٧ ، ١٨٩ ، ٢٠٠ .

(٢) انظر محمد الجوهرى ، علم الفولكلور ، المصدر السابق ، ص ٢١٩ ، ٢٢٠ .

المجهول ، والخوف من ضياع النعم ، أو فقدان الحب ، أو المال ، أو الولد .
وهناك دائم العجز فحين يعجز شخص عن معرفة من سرق ماله مثلا، أو تعجز أم عن معرفة مكان ولدها التائه فإنهما قد يلجآن إلى المشتغلين بالسحر ، وبخاصة حين يفشلان فى ذلك باللجوء إلى الشرطة .

٣ — مسائل الحب والزواج .

من أبرز أهداف الممارسة السحرية ، التى يذهب المترددين من أجلها إلى المشتغلين بالسحر ، مسائل الحب والزواج وما يتصل بهما من هموم ومشكلات .

فتذهب البائرة التى تأخر زواجها ، وتذهب من تزوجت ووجدت مشاكل فى علاقتها بزوجها ، وتذهب المرأة العاقر لتتمكن من الحمل وإنسال الأطفال ، ويذهب الرجل لتكون زوجته أكثر طاعة له ، وتذهب الزوجة لكى يكون زوجها أكثر رحمة بها وشفقة عليها . ويذكر البونى عن أحد الوصفات « من كتبه وسقاه لزوجته ، لم تفعل ما يكرهه بعد ذلك[1] » .

أما ما يتعلق بمسائل الحب ، فهى كثيرة ومتنوعة ، فهناك من يذهب إلى المشتغل بالسحر لإيقاع فتاة معينه فى غرامه ، ونجد من الفتيات أو النساء من يذهبن لإيقاع رجل معين فى غرامهن ، وهناك من يذهب للخلاص من حب يشقيه ويتعسه .

ولا يكاد يخلو كتاب أو مخطوط من كتب السحر أو كتب المعتقدات الشعبية من الاهتمام بمسائل الحب والزواج كمحور أساسى تدور حوله الممارسة السحرية وتطلق مثل هذه الكتب على أنواع العواطف التى تتناولها ،

(١) البونى، منبع أصول الحكمة ، ص ٨٩ .

الحب ، والوجدان ، والعشق ، والوصال ، والتهييج[١] . . . الخ ونجد فيها وصفات مختلفة تبعا لنوع الطلب أو المشكلة .

ومن الوصفات التي يصفونها لارتباط الزوجين بالحب حتى الممات ، أن يجمع كل من الطرفين يوم الزفاف مباشرة أظافر يديه ورجليه ويخلط جميع الأظافر وعددها أربعين ببعضها ، وتوضع في لفافة يخيط عليها ومعها قطعة فضية صغيرة وتدفن في المنزل ، فيستحيل على الاثنين فراق بعضهما مهما كانت الأسباب[٢] (كما تدعى الوصفة) .

أما من يلتمس خلاصا من حب يؤرقه ويشقيه يورد البوني الوصفة الآتية « لمن أضره العشق والمحبة والهيام إلى شخص وخشى الفضيحة بين الناس أو بين أهله[٣] » .

ويفسر المعتقد السحرى الحب الشديد ، بأنه يرجع إلى تأثير عمل سحرى معين بالمحبة ، ولا يعالج هذا الحب والهيام إلا عن طريق فك العمل . ولعل ذلك هو السبب في تردد أهل الفتاة التي تهيم حبا بشخص ما على المشتغل بالسحر كي يفك لها العمل المعمول لها بمحبة هذا الشخص ، حرصا على شرف الأسرة وسمعة الفتاة[٤] .

ويرتبط بمسائل الحب والزواج ، وصفات تهدف إلى شل قدرة الرجل الجنسية (الربط) أو جعل المرأة غير قادرة على الحمل ، وكذلك وصفات

---

(١) انظر على سبيل المثال كتابي :
عبد الفتاح الطوخي ، السحر العجيب في جلب الحبيب ، مكتبة القاهرة ، جزء أول
عبد الفتاح الطوخي ، تسخير الشياطين في وصال العاشقين ، مكتبة الجمهورية العربية ، القاهرة .

(٢) محمد جعفر المصدر السابق ، ص ١٠٩ .

(٣) البوني ، شمس المعارف ، الجزء الثاني ، ص ٢١١ .

(٤) انظر محمد الجوهري ، علم الفولكلور ، المصدر السابق ، ص ٢٢٤

لتقوية الجنس عند الرجل ، وتمكينه من أداء واجباته فى هذا الصدد بكفاءة عالية . وهناك وصفات لضمان اخلاص المرأة لزوجها ، وكذلك إخلاص الرجل لزوجته ، وكذلك وصفات تستهدف معرفة الحقيقة إذا ماشك الرجل فى عفة زوجته أو ابنته أو أى امرأة فى أفراد أسرته[1] .

٤ — الحفظ من الآثار الضارة للسحر :

يذهب معظم المترددين على المشتغلين بالسحر لأسباب تتعلق بحفظهم من الآثار الضارة للسحر ، أو لإبطال مفعول أى عمل سحرى ضار يوجه إليهم . إذ أنهم يعتقدون أنه مادامت لديهم القدرة على استخدام السحر فى إيقاع الضرر بالآخرين ، فلابد أن الآخرين لديهم فى الوقت نفسه ، وبالدرجة نفسها القدرة على إيقاع الضرر بهم . لذلك فإنه يجب عليهم التحوط من الأعمال السحرية الضارة الموجهة إليهم .

ويذهب المترددون هنا للحصول على وصفات تستهدف شفاء الرجل المربوط ، أى الذى فقد قدرته الجنسية بسبب عمل سحرى أجراه له عدوه ، أو لإخراج تأثير عين الحاسد من الجسد . كما يذهبون لعمل تحويطة (حجاب الوقاية) تحرزا من أى عمل سحرى يقوم به أحد ضدهم[2] .

٥ — الانتقام من الظالم :

قد يلجأ الضعيف المظلوم إلى المشتغل بالسحر الذى يعتقد أن فى استطاعته تسخير الجان فى الانتقام ، فيصاب عدوه بداء عضال قد يصل إلى حد الخبل ، أو يفتك فى أطفاله أو يفقد حب زوجته ، أو يمرض بالعنة[3] .

---

(١) انظر محمد الجوهرى ، علم الفولكلور ، المصدر السابق ، ص ٢٢٤ ، ٢٢٥ ،

(٢ انظر المصدر نفسه ، ص ٢١٦ .

(٣) حسن الساعاتى علم الاجتماع القانونى ، ص ١٩٥ .

وهناك وصفات معينة تهدف إلى هلاك العدو بعامة ، سواء كان عدوا شخصيا أو سياسيا ، ولتدمير الظالم ، أو إشعال النار في بيته . وتوجد وصفات أخرى أكثر تحديدا تهدف إلى إصابة الظالم بالأمراض ، أو تعذيبه « بإبطال نومه » ، أو « بتسليط الهموم والأحزان عليه » .

ومن العقوبات الأخرى التي تتردد في أشهر كتب السحر — ومنها كتاب منبع أصول الحكمة للبوني — ويراد توقيعها على الظالم : رجم داره ، وإخراجه من داره أو من بلده ، وتسليط الصداع عليه . . إلخ[١] .

٦ — أهداف متنوعة :

ويذهب بعض المترددين على المشتغلين بالسحر لأهداف أخرى متنوعة ، فالتاجر يذهب سائلا عن وصفة لترويج التجارة ، وتيسير البيع والشراء[٢] . وهناك من يذهب لأهداف تتعلق بإشباع الحاجات اليومية ، ومختلف شئون الحياة . فيذهب الطالب طالبا وصفة لمنع النسيان أثناء المذاكرة أو تسهيل الحفظ عن ظهر قلب ، ويذهب المدين باحثا عن وصفة لقضاء الدين . وتذهب المرأة أو الرجل للسؤال عن وصفة لرؤية الحبيب أو الصديق في المنام حيا كان أو ميتا .

وجدير بالذكر أن هناك نفر غير قليل من المترددين على المشتغلين بالسحر يذهبون بهدف أن يساعدهم هؤلاء المشتغلون في اتخاذ القرارات الهامة في حياتهم كاختيار خاطب معين لابنتهم ، وعدم قبولهم لآخر ، أو آخرين ،

---

(١) انظر محمد الجوهري ، المصدر السابق ، ص ٢٢٨ .

(١) انظر البوني ، منبع أصول الحكمة ، ص ٦٨ ، ٨٠ .
وانظر البوني ، شمس المعارف ، ج ٢ ، ص ١٩٨ .

حين يكون هناك أكثر من متقدم ، أو كقرار الدخول فى عمل تجارى كبير ، ومعرفة ما إذا كان سيكتب له النجاح أم لا ، وكقرار السفر للعلاج أو أو العمل ، وهل سيتوفر له التوفيق أم لا ، إلى غير ذلك من القرارات الهامة والمصيرية فى حياة كل إنسان[1] .

---

(١) انظر ما بعد ، ص ٢٨٩ .

القسم الثانى

السحر والمجتمع

البحث الميدانى

الفصل السادس

ظاهرة السحر فى مدينه القاهرة

بحث اجتماعى ميدانى

خطة البحث :

تشتمل خطة بحث « ظاهرة السحر فى مدينة القاهرة » ، على بيان الهدف منه ومجاله ، ومنهجه ، وخطواته المختلفة .

أولا — هدف البحث :

الهدف من البحث هو التعرف على ظاهرة السحر كما توجد ، وتمارس ، فى مدينة القاهرة ، باعتبارها ظاهرة اجتماعية ذات تركيب وخصائص .

ويكشف هذا البحث عن المشتغلين بالسحر فى مدينة القاهرة ، وعن المترددين من الأفراد على هؤلاء المشتغلين . كما أنه يبين أحوال المشتغلين بالسحر ، وكذا المترددين عليهم من الناحية الدينية ، والتعليمية ، والمهنية ، ومدى ارتباطها بممارسة السحر من ناحية ، أو التردد على المشتغلين بها من ناحية أخرى .

كما يزودنا البحث ببيانات توضح لنا أعمار المشتغلين بالسحر ، وأعمار المترددين عليهم ، ونوعهم ، وديانتهم ، ومناطق نشأتهم ؛ وإقامتهم فى القاهرة . وفيما يخص المشتغلين شمل البحث بيانات عن توزيعهم فى القاهرة وفق القسم الإدارى ، وعن توزيعهم وفق تخصصاتهم ، ووفق دخلهم ، كما تحرى عن مدى شهرتهم والدافع الأساسى لاشتغالهم بهذه المهنة ، ومدى اقتناعهم بفائدتها .

أما بالنسبة للمترددين على المشتغلين بالسحر ؛ فقد تضمن البحث بيانات

عن توزيعهم وفق النوع ، وفئات السن ، والديانة ، ومستوى التعليم ، والحالة الاجتماعية . ويحتوى البحث أيضا على بيانات عن عدد مرات التردد والدوافع إليه ، ومدى شعور المتردد بالفائدة من تردده .

ثانيا — مجال البحث :

ينقسم مجال البحث الميدانى للسحر فى مدينة القاهرة إلى ثلاثة أقسام : المجال الجغرافى ، والمجال البشرى ، والمجال الزمنى .

(ا) المجال الجغرافى :

المجال الجغرافى لهذا البحث هو مدينة القاهرة ، وذلك لما يأتى :

١ — كون القاهرة العاصمة من جهة ، وكونها أكثر مدن الجمهورية سكانا . ونقصد بالقاهرة منطقة القاهرة الإدارية (أى الأقسام الإدارية التى تكون محافظة القاهرة).

٢ — تميز القاهرة بالنسبة للمدن الأخرى ، فيما عدا مدينة الاسكندرية ، بمستوى عال من الوعى ، والتعليم ، الأمر الذى تظهره إحصاءات التعداد العام الأخير للسكان لسنة ١٩٧٦ .

٤ — حصر البحث فى نطاق محدد يساعد على التعمق فى الدراسة ، والإحاطة بموضوعها ، فلو كان قد شمل مدنا أخرى أو تطرق إلى الريف لاستحال إنجازه على الباحث المفرد .

(ب) المجال البشرى :

لما كان السحر عملية اجتماعية تتضمن فئتين المشتغلين به ، والمترددين من أجله ، لذلك كان المجال البشرى للبحث يضم أبرز المشتغلين بالسحر فى مدينة القاهرة (كمنطقة إدارية) وعددهم ١٣٩ مشتغلا بالسحر ، موزعين على الأقسام الإدارية المختلفة ، وكل المترددين عليهم إبان ثلاثة أشهر فى ربيع وصيف ١٩٧٨ (مارس ، ابريل ، مايو) من ذكور وإناث من أعمار مختلفة ، وقد بلغ عددهم ٧٠٤ مترددا ومترددة .

(ح) المجال الزمنى :

استغرق البحث حوالى السنة ، مابين إعداده وكتابة التقرير النهائى عنه ، وذلك فى مجالات زمنية فرعية ، فقد استغرق إعداد صحائف الاستبيان المشتغلين والمترددين ، وصياغة الأسئلة وتجريبها وتعديلها أكثر من مرة حتى وصلت إلى صورتها النهائية الواردة فى الملحق ثلاثة أشهر بدأت فى ديسمبر ١٩٧٧ إلى آخر فبراير ١٩٧٨ وبعدها طبقت هذه الصحائف فى شهر مارس ، وتم تصنيف البيانات وإعدادها فى جداول، واستخرج النسب المئوية فى شهر يونيو ، ويوليو ، وأغسطس ، وفى سبتمبر ، وأكتوبر ، ونوفمبر ، وديسمبر ثم تحليل البيانات وتفسيرها وكتابة التقرير النهائى للبحث .

ثالثا — منهج البحث :

منهج البحث هنا هو المنهج الوصفى ، ونستخدمه بقصد الكشف عن ظاهرة السحر فى مدينة عاصمة (metropolitan)هى مدينة القاهرة ، والتعرف

على أهم خصائص من تضمهم هذه الظاهرة سواء من المشتغلين بالسحر ، أو من المترددين عليهم .

أما طريقة البحث فكانت المسح الاجتماعى فى مدينة القاهرة ، على كل من المشتغلين والمترددين ، وكانت وسيلة جمع البيانات هى الاستبار (Interview) المقيد باستبيان (Schedule) .

وكانت أداتا جمع البيانات والمعلومات صحيفتا استبيان وجهت أحدهما إلى المشتغلين بالسحر والأخرى إلى المترددين عليهم .

وقد صمم هذان الاستبيانان فى هذا البحث على أساس أن تكون الأسئلة فى كل منهما من النوع المقفل ، ويتكون الاستبيان الخاص بالمشتغلين من ٢١ سؤالا تكشف عما يأتى بالنسبة لكل مشتغل .

(أ) بيانات عامة أو شخصية ، وتشمل :

١ ــ محل الميلاد .

٢ ــ محل الإقامة .

٣ ــ المستوى التعليمى .

٤ ــ الحالة المدنية .

٥ ــ الديانة .

(ب) بيانات عن المهنة وممارستها وتشمل :

١ ــ التخصص .

٢ ــ الدخل .

٣ ــ درجة الشهرة .

٤ ـ الكتب والأشياء المستخدمة فيها .

٥ ـ الهواية والاحتراف .

٦ ـ مدى اعتقاد المشتغل فى نفع مهنته .

أما الاستبيان الخاص بالمترددين فيشمل ٢٣ سؤالا تكشف عما يلى بالنسبة لكل متردد :

١ ـ بيانات عامة أو شخصية .

٢ ـ مستوى التعليم .

٣ ـ المهنة .

٤ ـ الدخل .

٥ ـ المصادر التى عرف عن طريقها المشتغل .

٦ ـ عدد مرات التردد .

٧ ـ مدى شعور المتردد بالفائدة من تردده .

٨ ـ التجاور المكانى بالنسبة للمتردد .

٩ ـ دوافع التردد .

الفصل السابع

المشتغلون بالسحر

مقدمة :

يحتوى هـذا الفصل على البيانات المتعلقة بالمشتغلين بالسحر فى مدينة القاهرة ، والذين أجرى عليهم المسح الاجتماعى. وتشمل هذه البيانات توزيع المشتغلين حسب النوع، والسن ، ومحل الميلاد ، والأقسام الإدارية، والديانة ، وحسب المستوى التعليمى ، والحالة الاجتماعية .

كما تحتوى بيانات هذا الفصل على توزيع المشتغلين بحسب التخصص ، والدخل ودرجة الشهرة ، والكتب والوسائل المستخدمة فى المهنة ، ومدى تفرغ المشتغلين لمزاولة المهنة ، وأثر الوراثة والهواية فى الاشتغال بالمهنة .

وتكشف بيانات هذا الفصل أيضا على مدى اقتناع المشتغل بفائدة مهنته ، ومدى إيمانه بقدرة الله ، وتدخلها فى مهنته .

أولا — بيانات أساسية :

(ا) نوع المشتغلين :

يكشف تحليل البيانات الخاصة بنوع المشتغلين بالسحر الذين شملهم المسح وعددهم ١٣٩ ، عن أن حوالى نصفهم ٤٩٫٦٤ ٪ من الذكور ، وأكثر من النصف بنسبة قليلة جدا من الإناث ٥٠٫٣٦ ٪. أى أن هناك تعادل تقريبا، بالنسبة للمشتغلين بالسحر من الذكور والإناث وذلك كما يتضح من الجدول رقم (١) .

ويدل هذا التعادل على أن الاشتغال بالسحر ، عمل يمكن أن يقوم به

الذكر ، أو الأنثى على السواء وأن التخصص حسب النوع ليس له أهمية هنا.

جدول (١)

توزيع المشتغلين حسب النوع

النوع	عدد المشتغلين	النسبة المئوية
ذكر	٦٩	٤٩ر٦٤ ٪
أنثى	٧٠	٥٠ر٣٦ ٪
المجموع	١٣٩	١٠٠ ٪

(ب) أعمار المشتغلين :

يبين تحليل البيانات الخاصة بأعمار المشتغلين بالسحر الذين شملهم المسح عن أن الغالبية العظمى منهم تقع أعمارهم بين ٤٠ وأكثر من ٥٠ سنة بنسبة ٧٨ر٤٥ ٪ ، ويلى ذلك مجموعة من المشتغلين الذين تتراوح أعمارهم بين ٣٠ ، ٤٠ سنة ، وتمثل ١٧ر٩٦ ٪ من المجموع الكلى للمشتغلين ، أما بالنسبة لفئات السن الصغيرة من ٢٠ إلى ٣٠ سنة فإن عدد المشتغلين يتناقص بشكل واضح فيصل إلى ٣ر٥٩ ٪ وذلك كما يتبين من الجدول رقم (٢) .

ويمكن أن نعزو وقوع أغلبية المشتغلين فى الفئات العمرية الكبيرة إلى أن هذه المهنة تتطلب التمرس والخبرة ، كما أن كبر السن يضفى على المشتغل بها الهيبة ، ويغرى على الاعتقاد فيما يقول وتصديقه ، وبخاصة أن من قيم مجتمعنا المصرى احترام كبار السن واعتبارهم « بركة » ، وتقدير مايقولون وما يفعلون .

وتتفق هذه النتيجة مع ماتوصل إليه محمد الجوهرى فى تقارير دراساته الميدانية فى محافظات الشرقية ، والدقهلية ، والقاهرة ، وأسيوط ، لبعض المشتغلين بالسحر فى الريف المصرى إذ يذكر مايلى « جدير بالملاحظة أن كافة السحرة الذين قابلناهم لم يبدأوا هذه المهنة فى سن مبكرة فالقاعدة الغالبة أن يبدأ الساحر الكتابة فى مطلع الأربعين من العمر لأنه قبل هذه السن لا يكون قد نضج بعد فى نظر أهل وبنى قريته . والاستثناء الوحيد من قاعدة العمر أن « تلبس » الأرواح شخصا معينا وتدفعه دفعا إلى هذه المهنة . وفى هذه الحالة لايلعب عامل السن أى دور فى الموضوع[1] » .

جدول (٢)

توزيع المشتغلين حسب فئات السن

فئات السن	عدد المشتغلين	النسبة المئوية
أقل من ٢٠	—	—
من ٢٠ _ ٣٠	٥	٣٫٥٩
من ٣٠ _ ٤٠	٢٥	١٧٫٩٦
من ٤٠ _ ٥٠	٥٤	٣٨٫٠٧
أكثر من ٥٠	٥٥	٣٩٫٥٨
المجموع	١٣٩	١٠٠٫٠٠

(١) محمد الجوهرى ، علم الفولكلور ، الجزء الثانى ، المصدر السابق ، ص ٢٥٦ .

(ح) محل ميلاد المشتغلين :

من تحليل البيانات الخاصة بمحل ميلاد المشتغلين بالسحر فى القاهرة تبين أن ثلث هؤلاء المشتغلين تقريبا من القاهرة أصلا بنسبة ٢٨ر٠٠ ٪ منهم ، والباقى موزعين على المحافظات القريبة من القاهرة بنسب أقل . كثيراً فمن القليوبية نسبة ١٢ر٢٣ ٪ من مجموعهم ، ومن الشرقية ٧ر٩١ ٪ ، ومن الدقهلية ٥ر٠٤ ٪ ومن المنوفية ٧ر١٩ ٪ ، ومن الغربية ٥ر٠٤ ٪ .

أما نسبة القادمين من الاسكندرية فقليلة جدا وتمثل فقط ٢ر١٥٪ من مجموعهم وذلك لأن الاسكندرية مدينة عاصمية أيضا ويمكن أن يجد المشتغلون فيها العمل والمجال لممارسة مهنتهم . (ويمكن أن يطبق على الاسكندرية بحث خاص بها) .

ويلاحظ أن هناك نسبة وإن كانت ضئيلة من المشتغلين فى مدينة القاهرة قد قدموا من أربعة دول ذات حضارات قديمة عريقة عرفت السحر والاشتغال به منذ القدم ، وهى السودان ، واليونان ، وفلسطين ، وتونس ، وهذه النسبة من المشتغلين على قلتها ، فإنها تلقى إقبالا شديداً ، ذلك أن العنصر السحرى سواء كان الكلمة المنطوقة أو المكتوبة أو الساحر نفسه — يكون أكثر فعالية كلما كان غريبا ومنتميا إلى خارج المجتمع . فيعتقد فى المشرق العربى أن الساحر البارع القادر يأتى عادة من المغرب ، أو من السودان . ويعتقد فى المغرب العربى أن الساحر المقتدر يأتى عادة من بلاد المشرق العربى وهكذا .

جدول (٣)

توزيع المشتغلين حسب محل الميلاد

محل الميلاد	عدد المشتغلين	النسبة المئوية
القاهرة	٣٩	٢٨ر٠٠
الاسكندرية	٣	٢ر١٥
القليوبية	١٧	١٢ر٢٣
الشرقية	١١	٧ر٩١
الدقهلية	٧	٥ر٠٤
دمياط	—	—
بور سعيد	١	ر٧٢
الاسماعيلية	—	—
السويس	٢	١ر٤٤
المنوفية	١٠	٧ر١٩
الغربية	٧	٥ر٠٤
كفر الشيخ	١	ر٧٢
البحيرة	—	—
أسوان	٣	٢ر١٥
قنا	—	—
سوهاج	٢	١ر٤٤
أسيوط	٥	٣ر٥٩
المنيا	٤	٢ر٨٨

تابع جدول (٣)

محل الميلاد	عدد المشتغلين	النسبة المئوية
بنى سويف	٢	١ر٤٤
الفيوم	٥	٣ر٥٩
الجيزة	٣	٢ر١٥
البحر الأحمر	—	—
مرسى مطروح	١	ر٧٢
سيناء	١	ر٧٢
السودان	١	ر٧٢
اليونان	٤	٢ر٨٨
فلسطين	١	ر٧٢
تونس	١	ر٧٢
لم يذكر	٨	٥ر٧٦
المجموع	١٣٩	١٠٠

(د) المشتغلون بالسحر حسب الأقسام الادارية فى محافظة القاهرة :

يتبين من تحليل البيانات الخاصة بتوزيع المشتغلين بالسحر حسب أقسام القاهرة الإدارية أن أكبر عدد من المشتغلين بالسحر فى مدينة القاهرة يتركزون فى قسم الشرابية (١٢٫٩٥) وليس هذا بمستغرب ، لأن الشرابية ثانية أقسام القاهرة الإدارية تعدادا للسكان بعد المطرية[1] ، فضلا عن أنها تضم أفرادا من مستويات اجتماعية اقتصادية مختلفة ، فمنهم الموظف ورجل الأعمال ، والعامل ، والطالب ، والتاجر ، والحرفى ، كل هؤلاء بهمومهم ، وآمالهم ، وطموحاتهم المتنوعة .

أما السيدة زينب ، فهى ثانية أقسام القاهرة الإدارية من حيث تركز المشتغلين بالسحر فيها (١٠٫٧٩) ، وهى منطقة بؤرية شعبية تتميز بوجود ضريح « السيدة زينب » بها ، والذى يقصده الألوف للتبرك ، والشكاوى ، والاعتقاد بسرعة قضاء الحاجات .

وتعد المطرية ، ثالثة أقسام القاهره الإدارية من حيث تركز المشتغلين بالسحر فيها (٩٫٣٥) وهى منطقة تقع على أطراف القاهرة ، وتعد منطقة ريفى — حضرية . والمشتغلون هناك آمنون بعيدا عن الأنظار ، والذهاب إليهم رحلة ، لكن المترددون يتجشمون كل مشقة فى سبيل زيارتهم . ولعل المثل القائل « الشيخ البعيد سره باتع » ينطبق على ازدهار المشتغلين ورواجهم فى هذه المنطقة .

ويحتل كل من قسم شبرا ، وقسم حدائق القبة ، المرتبة الرابعة بالتساوى من حيث تركز المشتغلين بالسحر فى كل منهما (٧٫١٩) ، وشبرا تكاد

(١) الجهاز المركزى للتعبئة والاحصاء ، النتائج الأولية للتعداد العام للسكان الإسكان ، ص ٣٩ .

تسكون مدينة مستقلة مكتفية بذاتها ، وبها مستويات اجتماعية مختلفة من الموظفين والطلبة ، والتجار ورجال الأعمال ، كما أن بها عديد من الكنائس الشهيرة أهمها كنيسة « سانت تريزا » التي يقصدها المسيحيون والمسلمون على السواء للتبرك ، وطلب قضاء الحاجات[1] .

أما قسم حدائق القبة فيكاد يكون منطقة مستقلة شمال شرق القاهرة يتميز أيضا بتركيز كثير من الطلبة فيه ، وبخاصة المنتمين منهم لجامعة عين شمس ، فضلا عن أن أغلب سكان هذا القسم ينتمون إلى الطبقة الوسطى التي تتميز بكثرة الضغوط عليها ، فأفراد هذه الطبقة يتطلعون دائما إلى أعلى ، ويخافون الهبوط إلى مادونهم مستوى . وتميل الباحثة إلى الاعتقاد بأن لوجود جامعة عين شمس وكلياتها المختلفة علاقة بارتفاع نسبة المشتغلين في هذا القسم فضلا عن الأسباب المذكورة آنفا ، ذلك لأن الطلبة كثيرا ما يقلقون على نجاحهم ونتائجهم التي ترتبط أيضا باشتغالهم في الوظائف المختلفة ، ثم بزواجهم ، وكل ذلك يجعل بعضهم يتردد على المشتغلين بالسحر .

ويتقاسم قسم مصر القديمة ، وقسم مصر الجديدة المرتبة الخامسة بالتساوي من حيث تركز المشتغلين بالسحر فيهما ، وتبلغ نسبتهم في كل منهما (٦٫٤٧) . ويعد قسم مصر القديمة منطقة شعبية بؤرية على أطراف القاهرة ، ذات شهرة في السحر خاصة . أما قسم مصر الجديدة فيعد مدينة مستقلة بذاتها ، تمتاز بوجاهة سكانها ، وهو أقدم محلة سكنية في هذه المنطقة .

---

(١) ليس بالمستغرب في هذا الصدد أن يتبرك المسلمون بالقديسين المسيحيين فالاسلام يعترف بالديانتين السابقتين عليه أي باليهودية والنصرانية ، وذلك وفقا للاية : « آمن الرسول بما أنزل إليه ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله ، وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير » .

سورة البقرة آية رقم ٢٨٥ .

ويحتل قسم الجمالية المركز السادس من حيث تركز المشتغلين بالسحر فيه إذ تبلغ نسبتهم (٥ر٧٦) ، ويمثل هذا القسم منطقة بؤرية شعبية ، كما أن وجود ضريح « سيدنا الحسين » به يجعله غاصا بالوافدين على هذا الضريح للتبرك ، وطلب قضاء الحاجات

ويلاحظ أنه يمكن تقسيم أقسام القاهرة الإدارية جغرافيا من حيث تركز المشتغلين بالسحر فيها إلى أربع مناطق ، أما المنطقة الأولى (جغرافيا) فهى منطقة شمال القاهرة وتضم أقسام الساحل . وروض الفرج ، وشبرا والشرابية ، ويتركز المشتغلون بالسحر فى منطقة شمال القاهرة بنسبة كبيرة تبلغ (٢٤ر٤٦) من مجموعهم ، وهى بذلك تحتل المرتبة الثانية من حيث تركز المشتغلين بالسحر ، بعد منطقة شمال شرق القاهرة ، كما سيتضح لنا ، ومرد ذلك إلى أن هذه المنطقة تضم تنوعات من الطبقات المختلفة بآمالها وطموحاتها ، ومتاعبها ، ومخاوفها ، كما أنها تضم نسبة كبيرة من المسلمين والنصارى وعديد من الجوامع والكنائس التى أهمها كنيسة سانت تريزا والتى يقصدها المسلمون أيضا للتبرك ، وطلب قضاء الحاجات ، ولهذه المنطقة شهرة قديمة ، وتقليدية بوجود بعض المشتغلين بالسحر فيها ، كما أن هذه المنطقة تعد مركز اتصال ريفى حضرى ويكثر من سكانها من نطلق عليهم « الريفى حضريين » .

أما المنطقة الثانية جغرافيا فى تقسيم القاهرة الإدارى (بحسب تركز المشتغلين بالسحر فيها) فهى منطقة شمال القاهرة وتضم أقسام النزهة ، والمطرية ، والزيتون ، ومصر الجديدة ، وحدائق القبة ، ومدينة نصر ، والوايلى ، وتبلغ نسبة المشتغلين فى هذه المنطقة أعلى نسبة لها إذ تبلغ ٣١ر٦٥ من مجموع المشتغلين بالسحر فى القاهرة ، ويمكن أن نعزو ذلك إلى أسباب

عدة أهمها أن المشتغل بالسحر فى هذه الأماكن يكتسب قوة وعلو مكانة بتواجده المكانى فى هذه المنطقة ، كما أن هذه المنطقة تعد منطقة طرفية ، وهناك من يحب أن يذهب إلى مشتغل فى منطقة بعيدة حتى لا يعرف أحد أنه يتردد على المشتغلين بالسحر ، والمواصلات إلى هذه المنطقة سهلة عن غيرها من المناطق هذا فضلا عن أنها تضم عديدا من الطبقات المتنوعة بشكل آمالها ومخاوفها ، وطموحاتها .

وتعد منطقة وسط القاهرة ، التى تضم الجمالية ، والدرب الأحمر ، وباب الشعرية ، والظاهر ، والأزبكية ، والموسكى ، وقصر النيل ، وعابدين ، وبولاق رابعة للمناطق الإدارية من حيث تركز المشتغلين بالسحر فيها إذ تبلغ نسبتهم فى هذه المنطقة ١٥ر٢٠ من مجموعهم فى القاهرة ، وتعد هذه نسبة كبيرة تجاوز الخمس ، ويتركز المشتغلون بالسحر فى هذه المنطقة لعدة أسباب منها الطبقى ، والاقتصادى والدينى والعمرانى ، فالطبقات فى هذه المنطقة أغلبها طبقات شعبية تمتهن التجارة كما أنها تتميز بمكانتها الدينية الكبرى إذ يجتمع فيها معلمين دينيين كبيرين هما الأزهر الشريف ، وضريح « سيدنا الحسين » ، كما أن هذه المنطقة تعد من المناطق القديمة عمرانيا ، وذات الشهرة من حيث وجود بعض المشتغلين بها من زمن قديم يجدون فى زوار الحسين وغيره من الأضرحة ، صيدا سهلا مهيئا من الناحيتين النفسية والفكرية .

أما رابع المناطق الإدارية فهى منطقة جنوب القاهرة ، وتضم أقسام الخليفة والسيدة زينب ، ومصر القديمة ، والمعادى ، وحلوان ، والتبين ، وتمثل هذه المنطقة ثالثة مناطق القاهرة الإدارية من حيث تركز المشتغلين بالسحر فيها إذ تبلغ نسبتهم ٧٤ر٢٣ من جملة المشتغلين فى القاهرة ، وهى نسبة كبيرة تقارب الربع . وترجع أسباب تركز المشتغلين فى هذه المنطقة إلى

أن هذه المنطقة تتميز بأن سكانها خليط من الطبقات الشعبية ، والطبقات المتوسطة ، كما أن هناك أسبابا دينية تتعلق بوجود أضرحة للمسلمين أهمها ضريح السيدة زينب ، وكنائس وأضرحة للنصارى أهمها كنيسة مارى جرجس ، ولمصر القديمة بالذات شهرة قديمة فى السحر .

جدول (٤)

توزيع المشتغلين بحسب الأقسام الإدارية فى محافظة القاهرة

القسم الإدارى	عدد أفراد العينة	النسبة المئوية
الأزبكية	١	٧٢ر
التبين	١	٧٢ر
الجمالية	٨	٥ر٧٦
الخليفة	٤	٢ر٨٨
الدرب الأحمر	٦	٤ر٣٢
الزيتون	٣	٢ر١٦
الساحل	٤	٢ر٨٨
السيدة زينب	١٥	١٠ر٧٩
الظاهر	٢	١ر٤٤
المطرية	١٣	٩ر٣٥
المعادى	١	٧٢ر
الموسكى	١	٧٢ر
النزهة	١	٧٢ر
الوايلى	٦	٤ر٣٢
باب الشعرية	٥	٣ر٥٩
بولاق	٢	١ر٤٤
حدائق القبة (١)	١٠	٧ر١٩
حلوان	٣	٢ر١٦
روض الفرج	٢	١ر٤٤
شبرا	١٠	٧ر١٩

تابع جدول (٤)

القسم الإدارى	عدد أفراد العينة	النسبة المئوية
عابدين	١	٧٢ر
قصر النيل	٢	٤٤ر١
مدينة نصر (٢)	٢	٤٤ر١
مصر الجديدة	٩	٤٧ر٦
مصر القديمة	٩	٤٧ر٦
الشرابية (٣)	١٨	٩٥ر١٢
المجموع	١٣٩	٠٠ر١٠٠

(١) قسم حدائق القبة أخذ أجزاء من قسم الوايلى (قرار وزارى لسنة ١٩٧١) .

(٢) قسم مدينة نصر أخذ من قسم الوايلى (قرار وزارى لسنة ١٩٧٢) .

(٣) قسم الشرابية أخذ من قسم شبرا (قرار وزارى لسنة ١٩٧٥) .

انظر الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء ، النتائج الأولية للتعداد العام للسكان والإسكان ليلة ٢٢ / ٢٣ نوفبر ١٩٧٦ . ص ٤٠ .

(هـ) المشتغلون حسب الديانة :

يلاحظ من تحليل البيانات فى الجدول رقم (٥) أن الغالبية العظمى من المشتغلين بالسحر من المسلمين وذلك بنسبة ٩٤ر٢٤ ٪ وأن المشتغلين من المسيحيين لا تتجاوز نسبتهم ٥ر٧٦ ٪ وهذه النسب تتفق مع نتائج التعداد العام للسكان ١٩٧٦ إذ وصلت جملة عدد المسلمين فى الجمهورية ٣٤٣٣٤٣٢٨، بينما جملة المسيحيين ٢٢٨٥٦٢٠ ، أى أن نسبة المسلمين فى الجمهورية وصلت إلى ٩٣ر٧٤ ، بينما بلغت نسبة المسيحيين فى الجمهورية ٦ر٢٤ من جملة عدد السكان البالغ عددهم ٣٦٦٢٦٣٠٤ نسمة فى سائر أنحاء الجمهورية[1]

جدول (٥)

توزيع المشتغلين حسب الديانة

الديانة	عدد المشتغلين	النسبة المئوية
مسلم	١٣١	٩٤ر٢٤ ٪
مسيحى	٨	٥ر٧٦ ٪
المجموع	١٣٩	١٠٠

(و) المشتغلون حسب مستوى التعليم :

تكشف بيانات المسح عن أن حوالى ثلث المشتغلين بالسحر من الأميين وذلك بنسبة ٢٧ر٣٤ ٪ ، وأن حوالى نسبة شبه مماثلة تصل إلى ٢٨ر٠٦ ٪

(١) الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء ، التعداد العام للسكان والإسكان ١٩٧٦. النتائج التفصيلية . مرجع رقم ٩٣ — ١٥١١١ — ١٩٧٨ . ص ٨٤ .

منهم يقرأون ويكتبون كما بين التحليل الإحصائى للبيانات أن نسبة منهم تصل إلى ١٣٫٦٧ ٪ يقرأون فقط . وأن هناك نسبة مماثلة تماما نالت تعليما إبتدائيا بنسبة ١٣٫٦٧ ٪ أيضا . وأن نسبة ضئيلة قد نالت تعليما إعداديا، وتبلغ ٦٫٤٧ ٪ ونسبة أقل تصل إلى ٤٫٣٢٪ نالت تعليما ثانويا.

ومما يلفت النظر أن هناك نسبة من المشتغلين وإن كانت ضئيلة من الجامعيين وتبلغ ٦٫٤٧ ٪ ، وذلك كما يتضح من الجدول رقم (٦) .

وجدير بالذكر أنه لابد لنا من الربط بين تخصص المشتغل ومستوى تعليمه . فمن يقرأ السكو تشيفه أو الفنجان لا يستلزم أن يكون ملما بالقراءة

جدول (٦)

توزيع المشتغلين حسب مستوى التعليم

مستوى التعليم	عدد المشتغلين	النسبة المئوية
أمى	٣٨	٢٧٫٣٤
يقرأ فقط	١٩	١٣٫٦٧
يقرأ ويكتب	٣٩	٢٨٫٠٦
ابتدائى	١٩	١٣٫٦٧
إعدادى	٩	٦٫٤٧
ثانوى	٦	٤٫٣٢
جامعى	٩	٦٫٤٧
فوق الجامعى	—	—
المجموع	١٣٩	١٠٠

والكتابة ، وأغلبية الأميين من المشتغلين بالسحر يعملون بهذه التخصصات أما كتابة الأحجبة والأعمال فلابد أن يكون المشتغل بها ملما بالقراءة والكتابة ، ومطلعا على بعض كتب السحر الرسمي (١) .

(ز) المشتغلون حسب الحالة الاجتماعية :

ظهر من البحث الميداني أن الغالبية العظمى من المشتغلين بالسحر من المتزوجين بنسبة كبيرة تصل إلى ٦٧ر٦٣٪ ، وأن هناك عددا أقل بكثير من المطلقين تصل نسبتهم إلى ١٩ر٤٣ ٪ . كما كانت نسبة العزاب والأرامل من المشتغلين متماثلة تماما إذا بلغت في الإثنين ٦ر٤٧٪ كما تبين الجدول رقم (٧) .

ويمكن أن نفسر هذه المعطيات بأن المترددين يقبلون أكثر على المتزوجين من المشتغلين وهذا يرتبط أيضا بالسن ، والاحترام الأكثر ، والثقة ، كما أن الإناث من المترددات يفضلن أن تذهبن إلى مشتغل متزوج عن أن يذهبن إلى الأعزب ، بل إنهن يفضلن أن يذهبن إلى مشتغلة متزوجة أكثر من تفضيلهن الذهاب إلى امرأة لم تتزوج أو إلى مطلقة أو أرملة .

جدول (٧)

توزيع المشتغلين حسب الحالة الاجتماعية

الحالة الاجتماعية	عدد المشتغلين	النسبة المئوية
أعزب	٩	٦ر٤٧ ٪
متزوج	٩٤	٦٧ر٦٣ ٪
مطلق	٧	١٩ر٤٣ ٪
أرمل	٢٩	٦ر٤٧ ٪
المجموع	١٣٩	١٠٠

(١) انظر ما قبل ، الفصل الثالث .

(ﺣ) المشتغلون حسب التخصص :

يكشف تحليل البيانات الخاصة بتخصيص المشتغلين بالسحر الذين شملهم المسح عن أن قرابة نصفهم بنسبة ٤٣ر١٦٪ يشتغلون بأكثر من تخصص وأن حوالى ربع المشتغلين بنسبة ٢٥ر١٨ ٪ ، متخصصون فى قراءة الفنجان كما أن هناك نسبة أقل تصل إلى ٢٠ر٨٦ ٪ متخصصون فى « العمل » ، وفى داخلها نسبة أقل تبلغ ٩ر٣٥ ٪ متخصصة « فى العمل عن طريق الأثر » ثم توزع باقى المشتغلين على التخصصات المختلفة مثل الكف ، وقراءة الكوتشينه ، والمندل .

ويمكن أن نفسر المعطيات السابقة المبينه فى الجدول رقم (٨) ، بأن السبب فى أن معظم المشتغلين يعملون بقراءة الفنجان إلى أن عنصر الفكاهة وإضاعة الوقت والتسلية يدخل فيه ، لذلك فإن الكثير من المثقفين يلجأون إليه دون الإحساس بأنهم يلجأون إلى السحر ، أو العرافة وكشف الغيب ، كما أن قراءة الفنجان تتناسب مع طبيعة النفس البشرية وأن الإنسان يريد دائما أن يعرف الكثير عن نفسه ، كما أن قراءة الفنجان ظاهرة منتشرة فى الحضر أكثر منها فى الريف .

أما وجود نسبة كبيرة من المشتغلين الذين يعملون فى أكثر من تخصص فيدل على أن هذه التخصصات لا تحتاج إلى خبرة دقيقة ودراية وإنما هى تتنوع حسب ظروف الحالة .

ويمكن أيضا أن نربط هذه التخصصات بالعرض والطلب، فالتخصصات التى عليها طلب كبير كالفنجان، « والعمل » نجد أن المشتغلين بها أكثر من غيرهم فى التخصصات التى ليس عليها طلب كبير .

جدول (٨)

توزيع المشتغلين حسب التخصص

التخصص	عدد المشتغلين	النسبة المئوية
قراءة فنجان	٣٥	٢٥ر١٨ ٪
قراءة كف	٤	٢ر٨٨ ٪
عمل	١٦	١١ر٥١ ٪
عمل (بالأثر)	١٣	٩ر٣٥ ٪
كوتشينة	٤	٢ر٨٨ ٪
مندل	٧	٥ر٠٤ ٪
أكثر من تخصص	٦٠	٤٣ر١٦ ٪
المجموع	١٣٩	١٠٠

(ط) المشتغلون حسب مصادر الدخل الشهرى :

تدل بيانات الدخل الشهرى للمشتغلين بالسحر أن قرابة النصف تقريبا بنسبة ٤٣ر١٧ ٪ منهم يعتمدون على دخل خارجى بجانب دخلهم من المهنة وهذا قد يكون معاشا أو دخلا من أملاك أو مساعدة من أقارب .

كما تفصح البيانات عن أن نسبة تصل إلى حوالى الربع يعتمدون تماما على أجرهم من الاشتغال بالسحر، وهؤلاء تصل نسبتهم إلى ٢١ر٥٨ ٪ ، بينما يعتمد ١٢ر٢٣ ٪ من مجموعهم على مرتبهم إلى جانب دخلهم من المهنة، وذلك كما يتبين من الجدول رقم (٩) .

وقد تبين من سؤال المشتغلين ، أن ما يأخذونه من أجر من المترددين يتراوح بين ٢٥ قرشا إلى خمسة جنيهات ، وأن أقل قدر أخذوه هو خمسة قروش وترتبط النتائج هنا مع نتائج الجدول رقم (١٣) الذى يبين التفاوت بين ما يأخذه بعض المشتغلين من الأغنياء وما يأخذونه من الفقراء .

جدول (٩)

توزيع المشتغلين حسب مصادر الدخل

الدخل	عدد المشتغلين	النسبة المئوية
مرتب	١٧	١٢٫٢٣ ٪
أجر	٣٠	٢١٫٥٨ ٪
دخل خارجى	٦٠	٤٣٫١٧ ٪
غير مبين	٣٢	٢٣٫٠٢ ٪
المجموع	٣٩	١٠٠

(ى) المشتغلون حسب درجة الشهرة :

عند تصنيف درجة شهرة المشتغلين بالسحر ؛ إلى مستويات بحسب رأى الناس بعامة ، والمترددين بخاصة عنهم ، تبين أن قرابة نصفهم من المشهورين بنسبة ٤٣٫٨٨ ٪ ، وأن نسبة أقل منهم تصل إلى ٣٠٫٩٤ ٪ من نصف المشهورين ، أما المشهورين جدا منهم فكانت نسبتهم لاتتجاوز ١٧٫٢٧ ٪ ، والباقى نسبة ضئيلة من المغمورين الذين لم يصبهم حظ من الشهرة وتبلغ هذه النسبة ٧٫٩١ ٪ كما تبين من الجدول رقم (١٠) .

ويلاحظ أن المشهورين جدا من المشتغلين بالسحر يسكون أجرهم مرتفعا

ولذلك فإن عدد المترددين الذين يذهبون إليهم يكون أقل بكثير ، من العدد الذى يذهب إلى المشهورين أو نصف المشهورين أو للغمورين . وجدير بالذكر أن درجة الشهرة هنا نسبية وأننا توصلنا إليها من وجهة نظر المترددين من ناحية ، ومن وجهة نظر الناس بعامة من جهة أخرى.

جدول (١٠)

توزيع المشتغلين حسب درجة الشهرة

درجة الشهرة	عدد المشتغلين	النسبة المئوية
مشهور جدا	٢٤	١٧ر٢٧ ٪
مشهور	٦١	٤٣ر٨٨ ٪
نصف مشهور	٤٣	٣٠ر٩٤ ٪
مغمور	١١	٧ر٩١ ٪
المجموع	١٣٩	١٠٠

(ك) المشتغلون بحسب الكتب المستخدمة فى المهنة :

تدل البيانات على أن غالبية المشتغلين بالسحر يستخدمون القرآن فى مهنتهم ، وذلك بنسبة ٥٠ر٣٦ ٪ ، بينما يستخدم الإنجيل نسبة ضئيلة لا تتجاوز ٤ر٣٢ ٪ ، أما التوراة فلا يستخدمها أحد .

ويستخدم كتب السحر عدد لا بأس به من المشتغلين تصل نسبتهم إلى ٢٤ر٤٦ ٪ ، بينما توجد نسبة أخرى لا تستخدم كتبا على الإطلاق فى المهنة ونسبتهم ٢٠ر٨٦ ٪ وذلك كما يتضح من الجدول رقم (١) .

ويلاحظ أن هذه النتائج تتفق مع نتائج الجدول رقم ٥ الخاص بتوزيع

المشتغلين حسب الديانة ، فأغلبيـــة المشتغلين من المسلمين ولذلك فإنهم يستخدمون القرآن .

ونلاحظ أن كثيرا من المشتغلين بالسحر فى مدينة القاهرة يلجأون إلى خلط السحر بالدين ليضمنوا سهولة التأثير على الناس ، ولكى ينجحوا فى ترويج بضاعتهم ، وكسب المال الوفير . فالدين عند المصريين وبخاصة الريفيين ومن هم من أصل ريفى من الأمور الجوهرية ، والدوافع الأساسية ذات القيمة العالية فى اعمالهم وحياتهم .

وقد استغل المشتغلون بالسحر هذه الحقيقة فدرجوا على تكوين اعمالهم السحرية باللون الدينى ، لذلك لا نجد حجابا ، أو عملا ، أو سحرا ، يخلو من الآيات القرآنية .

كما أن استخدام الكتب فى المهنة سواء أكانت كتبا مقدسة أم كتب متخصصة فى السحر ، يستلزم إلمام المتخصص بالقراءة والكتابة .

وتتفرع الكتب المستخدمة فى المهنة (غير الكتب المقدسة) بين كتب طالع ، وكتب حساب النجوم ، وكتب مشهورة مثل كتاب شمس المعارف الكبرى ، وكتاب تذكرة داوود ، وكتاب الديربى ، وكلها تندرج فى عداد كتب السحر الرسمى (١) .

---

(١) أنظر محمد الجوهرى ، السحر الرسمى والسحر الشعبى ، المصدر السابق ، ص٧ — ٩ .

جدول (١١)

توزيع المشتغلين بحسب الكتب التي يستخدمونها في المهنة

الكتب المستخدمة في المهنة	عدد المشتغلين	النسبة المئوية
قرآن	٧٠	٣٦ر٥٠ ٪
انجيل	٦	٣٢ر٤ ٪
توراه	—	—
كتب سحر	٣٤	٤٦ر٢٤ ٪
لا يستخدم الكتب	٢٩	٨٦ر٢٠ ٪
المجموع	١٣٩	١٠٠

(ل) المشتغلون حسب الوسائل المستخدمة في المهنة :

تكشف البيانات الخاصة بالوسائل التي يستخدمها المشتغلون بالسحر عن أن أكثر من نصفهم بنسبة ٨٣ر٥٦ ٪ يستخدمون أشياء متنوعة كالشعر والعظم، والودع ، والفخار (للسكره) والبخور ، والدم ، وأثر الإنسان (جزء من ثيابه ، أو خصلات من شعره ، أو اظافره ، أو دمه) ، والأحجبة .

وهناك نسبة من المشتغلين تصل إلى ٧١ر١٨٪ تستخدم الطيور كالحمام وأبي قردان والغراب (للسكره)، ومنهم نسبة اخرى أقل ، وتبلغ ١ر١٠ ٪ تستخدم الحيوانات . كما أن هناك نسبة من المشتغلين لا تستخدم أيا من هذه الوسائل وتبلغ ٣٩ر١٤ ٪ وذلك كما يتبين في الجدول رقم (١٢) .

ويلاحظ أن بعض المشتغلين يستعيضون عن طلب النقود ، بطلب أشياء أخرى تؤكل كالحيوانات والطيور ، وذلك بحجة استخدامها في عملهم .

جدول (١٢)

توزيع المشتغلين حسب الوسائل المستخدمة فى المهنة

الوسائل المستخدمة فى المهنة	عدد المشتغلين	النسبة المئوية
حيوانات	١٤	١٠٫٠٧ ٪
طيور	٢٦	١٨٫٧١ ٪
أشياء أخرى متنوعة	٧٩	٥٦٫٨٣ ٪
لا يستخدم	٢٠	١٤٫٣٩ ٪
المجموع	١٣٩	١٠٠

(م) المشتغلون بحسب تنوع مطالبهم من الفقراء والأغنياء :

تفصح البيانات الخاصة بالمشتغلين بالسحر عن أن نسبة كبيرة منهم تجاوزت النصف بقليل وتبلغ ٥٣٫٩٦٪ تأخذ أجرا ثابتا محددا من الفقراء، والأغنياء على حد سواء (بل إن بعضهم يشبه نفسه بالطبيب فى هذا الصدد).

كما نلاحظ أن هناك نسبة تكاد تبلغ النصف، لا تأخذ الأجر نفسه من الفقير والغنى، وتصل هذه النسبة إلى ٤٦٫٠٤ ٪ كما يتضح من الجدول رقم (١٣)، فهذه النسبة من المشتغلين تفرق بين ما تتطلبه من الفقراء وما تتطلبه من الأغنياء والفرق هنا قد يصل إلى العشرات بل المئات وأحيانا الألوف من الجنيهات .

وجدير بالذكر أن هؤلاء يعتقدون أنهم أكثر إنسانية حيث أنهم يطلبون من كل على قدر إمكانياته، وهم لا يرهقون الفقراء بمطالبهم .

جدول (١٣)

توزيع المشتغلين بحسب تنوع مطالبهم من الفقراء والأغنياء

تنوع المطالب من الفقراء والأغنياء	عدد المشتغلين	النسبة المئوية
كلهم زى بعض	٧٥	٥٣ر٩٦ ٪
الغنى حاجة والفقير حاجة	٦٤	٤٦ر٠٤ ٪
المجموع	١٣٩	١٠٠

(ن) مدى تفرغ المشتغلين لمزاولة المهنة :

تكشف البيانات عن أن نسبة كبيرة من المشتغلين بالسحر تتجاوز نصف عددهم وتبلغ ٥٦ر٨٣ ٪ من مجموعهم ، يتفرغون للعمل بالسحر وأن نسبة أخرى تقارب النصف ، وتصل إلى ٤٣ر١٧ ٪ يجمعون بين اشتغالهم بالسحر واشتغالهم بمهن أخرى وذلك كما يتضح من الجدول رقم (١٤) .

وبسؤال المشتغلين فى مهن أخرى إلى جانب السحر ، تبين أن من بينهم ستة منهم من رجال الدين ، واثنين من أئمة المساجد ، وأربعة من المقرئين وثلاثة من الوعاظ ، كما أن من بينهم مدرس بمدرسة ابتدائية أزهرية ، وعالم فلك ، وخريج جامعة اتجه إلى التصوف ، وهذه النتيجة تتفق مع ما ذهب إليه باحثون آخرون من أن رجال الدين ، والأولياء ، والصوفية

م فى بعض الأحيان من أهم طوائف المشتغلين بالسحر[١] .

جدول (١٤)

توزيع المشتغلين حسب تفرغهم للمهنة

مدى تفرغ المشتغل لمزاولة مهنة	عدد المشتغلين	النسبة المئوية
شغلته الوحيدة	٧٩	٥٦ر٨٣ ٪
له شغلة أخرى	٦٠	٤٣ر١٧ ٪
المجموع	١٣٩	١٠٠

(س) المشتغلون حسب الوراثة والهواية :

أوضحت البيانات الخاصة بالمشتغلين بالسحر عن أن عـددا كبيرا من المشتغلين يجاوز النصف وتصل نسبتهم إلى ٥٣ر٢٤ ٪ يمارسون مهنتهم لأنهم هووها ، وأن حوالى نصفهم بنسبة ٤٦ر٧٦ ٪ قد اتجهوا إليها عن طريق الوراثة وذلك كما يتبين من الجدول رقم (١٥) .

ويمكن أن نفسر اتجاه غالبية المشتغلين بالسحر من غير الوارثين أصلا لهذه المهنة ، والقادمين إليها من مهن أخرى ، إلى رغبتهم فى الحصول على المال ، فهم يستغلون مواهبهم ومهارتهم فى الحصول على المال عن طريق إغراء الأفراد بقوة أعمالهم وفاعليتها . ويشجعهم على ذلك أن هذه الأعمال تحقق دخلا لا بأس به سواء كان دخلا ماديا أو عينيا .

(١) أنظر محمد الجوهرى ، علم الفولكلور ، الجزء الثانى ، ص ٢١٥ .

كما يعد السعى وراء المكانة عاملا من العوامل التى تدفع بعض الأفراد للاشتغال بالسحر . فبعض الناس يخشون تلك الفئة ليس عن حب أو احترام بقدر ماهو اتقاء لأذاهم .

جدول (١٥)

توزيع المشتغلين بحسب الوراثة والهواية فى الاشتغال بالمهنة

الوراثة والهواية	عدد المشتغلين	النسبة المئوية
عن وراثة	٦٥	٤٦ر٧٦
عن هواية	٧٤	٥٣ر٢٤
المجموع	١٣٩	١٠٠

أما السبب فى اتجاه الكثيرين إلى الاشتغال بالسحر ، بتأثير الوراثة ، فيكون فى الغالب لأن الناس لديهم اعتقاد بأن هذه المقدرة يمكن توريثها من الأب إلى الابن ، كذلك لأن الابن تكون له دراية بالأعمال السحرية بحكم أن والده كان ساحرا ، ولأن كثيرا من الأبناء يريدون أن يكونوا مثل والديهم ويقلدونهم هذا إلى جانب إغراء العاملين اللذين سبق ذكرهما وهما الرغبة فى الحصول على المال ، والسعى وراء المكانة .

ويمكن القول أن مسألة الهواية والوراثة فى الاشتغال بالسحر تختلف باختلاف التخصص فالهواية تكون فى قراءة الفنجان على سبيل المثال ، أما الوراثة فتكون فى التخصصات المحتاجة إلى توعية العمل وإلى كتب السحر الرسمى مثل كتابة الأحجبة مثلا .

(ع) مدى اقتناع المشتغلين بالسحر بفائدة مهنتهم:

تدل البيانات الخاصة بالمشتغلين على أن هناك إجماعا تاما بنسبة ١٠٠ ٪ منهم على اقتناعهم بأن مهنتهم مفيدة، وبأنهم يقدمون خدمات للناس. وذلك كما يبين الجدول رقم (١٦).

ويمكن أن تعد هذه النتيجة نوعا من الدعاية ينشرها المشتغلون عن أنفسهم كما أنها تدل على وجود نسبة كبيرة من المشتغلين مقتنعين تماماً بفائدة مهنتهم للناس، وانه إذا وجدت نسبة منهم غير مقتنعة فإنها لا تجاهر بهذا وتعتبره نوع من الدعاية ضد نفسها، ويعد جهرها بفائدة مهنتها، نوع من الخوف الادعائى ضد الفشل.

جدول (١٦)

مدى اقتناع المشتغلين بالسحر بفائدة مهنتهم

مدى اقتناع المشتغل بفائدة مهنته	عدد المشتغلين	النسبة المئوية
نعم	١٣٩	١٠٠ ٪
لا	—	—
المجموع	١٣٩	١٠٠

(ف) مدى إيمان المشتغلين بالسحر بقدرة الله وتدخلها فى مهنتهم:

تكشف البيانات الخاصة بالمشتغلين عن أن الغالبية العظمى منهم تؤمن بأنها تعمل بإذن الله وذلك بنسبة ٩٢٫٨١ ٪، بينما هناك نسبة ضئيلة جداً

من المشتغلين تؤمن بأنها تستطيع أن تفعل شيئا وحدها ، وتبلغ تلك النسبة ١٩ر٧٪ وذلك كما يتبين من الجدول رقم (١٧) .

جدول (١٧)

مدى إيمان المشتغلين بقدرة الله وتدخلها في مهنتهم

مدى إيمان المشتغل	عدد المشتغلين	النسبة المئوية
يقدر يعمل حاجة لوحده	١٠	١٩ر٧ ٪
كله بإذن الله	١٢٩	٩٢ر٨١ —
المجموع	١٣٩	١٠٠

وتدلنا هذه النتيجة على أن معظم المشتغلين بالسحر يؤمنون بالفعل — كما دلت إجاباتهم — أنهم يعملون بوحى من الله ، وأن الله قد أعطاهم هذه الموهبة وميزهم بها عن غيرهم .

الفصل الثامن

المترددون على المشتغلين بالسحر

تمهيد :

يحتوى هذا الفصل على تحليل للشق الثانى من البحث وهم المترددون على المشتغلين بالسحر ، ويشمل هذا الفصل بيانات تتعلق بنوع المترددين ، وأعمارهم ، ومحل ميلادهم ، وتوزيعهم بحسب الأقسام الإدارية التى ينتمون إليها .

ويتناول هذا الفصل أيضا بيانات عن ديانة المترددين ، وتوزيعهم حسب المستوى التعليمى ، وحسب الحالة الاجتماعية ، والمهنة .

كما يشتمل هذا الفصل على بيانات عن المصادر التى عرف عن طريقها المترددين المشتغلين ، وعن عدد مرات التردد على المشتغلين بالسحر ، وعن مدى شعور المتردد بالفائدة من تردده ، وعما يدفعه المترددون للمشتغلين من مقابل مادى أو عينى أو خلافه ، وعن توزيع أفراد العينة من المترددين بحسب الدافع إلى التردد ، وأخيرا عن رأى المترددين فى مدى اعتراف الدولة والدين بالسحر .

أولا ــ بيانات أولية :

[١] تقسيم المترددين حسب النوع .

يكشف تحليل البيانات الخاصة بنوع المترددين عن أن حوالى ثلثيهم من الإناث وذلك بنسبة ٦١٫٦٥ ٪ ، بينما يبلغ الذكور منهم نسبة تصل إلى ٣٨٫٣٥٪ وذلك كما يتضح من الجدول رقم (١) .

وجدير بالذكر أن السبب فى أن الإناث أكثر ترددا على المشتغلين بالسحر هو أن النساء أكثر استعدادا للاستهواء ، كما أنهن أكثر اعتقادا

فى هؤلاء المشتغلين ، كما أن عليهن ضغوطا وأعباء كثيرة لذلك فهن أكثر مطالبا من الذكور، فالمرأة تتردد على المشتغلين بالسحر لأكثر من سبب فهى إما باحثة عن الخلف بعامة، وعن علاج للعقم ، أو عن خلف الصبيان بخاصة، وإما أجهدها المرض بسبب كثرة الحمل والولادة ولذلك فهى تبحث عن علاج لأمراضها وبخاصة النزيف ، وإما خائفة على زوجها من امرأة أخرى ، وإما ناشدة حب الزوج وحنوه ، وإما ساعية لنجاح أبنائها ، أو لتزويجهم ، وإما طالبة الخلاص من «الضرة»،أو ذاهبة للكشف عن ابن مفقود ، أو فك عمل.

ويلاحظ أن المرأة المصرية بعامة ، وغير المتعلمة على وجه الخصوص لا تحس أمانا فى زواجها ولا فى حياتها بعامة[1] . وأن هـذا ما يلجئها إلى المشتغلين بالسحر .

أما الذكور فأغلبهم يترددون لفك الربط ، أو كشف الغيب ، أو كشف المسروق ومعرفة السارق ، أو لرواج التجارة ، أو للشفاء من المرض .

جدول (١)

توزيع المترددين حسب النوع

النوع	عدد المترددين	النسبة المئوية
ذكور	٢٧٠	٣٨ر٣٥ ٪
إناث	٤٣٤	٦١ر٦٥ ٪
المجموع		١٠٠ر٠٠

(١) انظر سامية حسن الساعاتى ، دور المثقفات المصريات فى التغيير الاجتماعى ، المجلة الاجتماعية القومية ، المركز القومى للبحوث الجنائية والاجتماعية ، ص ١٢١ ، ١٢٢ .

(ب) توزيع المترددين حسب فئات السن :

تنتمي الغالبية الساحقة من المترددين على المشتغلين بالسحر إلى فئات ما بين ٢٠ إلى أقل من ٥٠ (وذلك بضم الفئات من ٢٠ — ٣٠ ، ٣٠ — ٤٠ ، ٤٠ — ٥٠) وتبلغ نسبتهم ٨١ر٨٢٪ ، بينما يقل عدد المترددين فى فئات السن الصغيرة (أقل من ٢٠) فتصل نسبتهم إلى ٥٣ر٧ ٪ ، ويقل عدد المترددين أيضا فى فئات السن الكبيرة (أكثر من ٥٠) ، لتصل إلى ٦٦ر٩ ٪ وذلك كما يتبين من الجدول رقم ٢ .

ويمكن أن نفسر هذه النتائج بأن فئة السن التى تبدأ من ٢٠ وتنتهى بأقل من ٥٠ سنة ، تعد فترة قلق على النجاح ، وعلى المستقبل ، وعلى بداية تكوين حياة عائلية ، ثم الاستمرار فيها ، أى تنطوى على التفكير فى الزواج ، وتكوين الأسرة ، ثم الرغبة فى الاستقرار النفسى والعائلى .

ففى فئات السن أقل من ٢٠ سنة ، يكثر التردد على المشتغلين بالسحر بسبب العواطف الأفلاطونية ، وبدافع الخوف على النجاح ، وفى الفترة من ٢٠ إلى ٣٠ يكون التردد بسبب العاطفة التى تأخذ شكلا عمليا أى خطبة ، وزواج ، وإنجاب ، وكذلك بسبب الرغبة فى التقدم والترقية فى حياتهم العملية ، ويستمر ذلك فى فترة السن من ٣٠ إلى ٤٠ ، وفى الفترة من ٤٠ إلى ٥٠ يكون هناك تخوف من ضعف العاطفة أو زوالها ، وقلق من التغيرات فى الأسرة ، أما فى الفترة ما بعد الخمسين ، فهى سن بداية الشيخوخة ، ويكون التردد فيها بسبب الطموحات النهائية لأصحابها ، وبسبب مشكلات الأولاد الكبار .

ويلاحظ أنه في المراحل المتوسطة من العمر ، تزداد مطالب الإنسان ، ويزداد حرصه على تأكيد ذاته ومستقبله ، لذلك فإن لجوء الناس إلى المشتغلين يزداد في هذه المرحلة .

أما في المراحل المبكرة من العمر فلا يلجأ الناس إلى المشتغلين بالسحر ، لعدم إحساسهم بوطأة الحياة ، ومشكلاتها ، وضعف اعتقادهم في المشتغلين بالسحر . وفي المراحل المتقدمة من العمر نجد أن الناس قد زهدوا الحياة ، وقلت مطالبهم ، لذا فإن ترددهم يكون في الأعم الأغلب بسبب قلقهم على أولادهم الكبار ومشكلاتهم الكثيرة .

جدول (٢)

توزيع المترددين حسب فئات السن

فئات السن	عدد المترددين	النسبة المئوية
أقل من ٢٠	٥٣	٧٫٥٣
٢٠ ـ ٣٠	٢٥٨	٣٦٫٦٥
٣٠ ـ ٤٠	١٩٤	٢٧٫٥٥
٤٠ ـ ٥٠	١٣١	١٨٫٦١
أكثر من ٥٠	٦٨	٩٫٦٦
المجموع	٧٠٤	١٠٠٫٠٠

(ح) توزيع المترددين حسب محل الميلاد :

اتضح من تحليل البيانات الخاصة بالمترددين أن قرابة نصفهم ، موطنهم

لأصلى القاهرة وذلك بنسبة ١١ر٤١ ٪ . أما بقية المترددين فتوزع موطنهم الأصلى على محافظات الجمهورية المختلفة بنسب مختلفة وذلك كما يتضح من الجدول رقم (٣) .

ويبين هذا الجدول أثر الهجرة إلى القاهرة فى مواجهة التوطن ، كما يبين أثر جذب القاهرة للريفيين . فالقاهرة مركز جذب شديد يجذب أفراد المحافظات ذات الطرد المرتفع (كالمنوفية فى وجه بحرى ، وسوهاج فى وجه قبلى) والمحافظات القريبة من القاهرة .

ويظهر من الجـدول أن ملاحظتنا تنطبق على سوهاج (٥٤ر٥) ، والمنوفية (٩٧ر٤) والشرقية (٣٩ر٦) وبنى سويف (٣٩ر٦) . كما أن هناك (٦٨ر٥) من المترددين يأتون من محافظة البحيرة .

هذا من ناحية المعالجة الإيكولوجية للجدول ، أما من حيث المعالجة الثقافية «Cultural» فيتضح من الجدول أن المترددين القاهريين أصلا، والآتين من محافظات حضرية تبلغ نسبتهم ٤٧ ٪ فى مواجهة ٥٣ ٪ من المترددين يأتون من محافظات ريفية . ومعنى ذلك أن نسبة المترددين من الريفيين على المشتغلين بالسحر فى القاهرة نسبة عالية ، تتمشى معها الأفـكار الغيبية والأسطورية ، وفى هذه الحالة لا يـكون التعليم والتحضر إلا قشرة تغلف الثقافة الريفية التى تظهر وطأتها فى مناسبات كثيرة يظهر فيها التفاعل الاجتماعى على أشده خاصة فى المواقف الحساسة مثل الاعتقاد فى السحر والخرافات واستطلاع الغيب ، ومثل الالتجاء إلى التطبيب الشعبى أكثر من الالتجاء إلى الأطباء ومراكز العلاج .

جدول (٣)

توزيع المترددين حسب محل الميلاد

محل الميلاد		عدد المترددين	النسبة المئوية
القاهرة	محافظات حضرية	٢٩٠	٤١ر١٩
الاسكندرية	محافظات حضرية	١٠	١ر٤٢
بورسعيد	محافظات حضرية	٢٠	٢ر٨٤
السويس	محافظات حضرية	٢	ر٢٨
دمياط	محافظات الوجه البحري	٦	ر٨٥
الدقهلية	محافظات الوجه البحري	٢٠	٢ر٨٤
الشرقية	محافظات الوجه البحري	٤٥	٦ر٣٩
القليوبية	محافظات الوجه البحري	٣٠	٤ر٢٦
كفر الشيخ	محافظات الوجه البحري	١٢	١ر٧١
الغربية	محافظات الوجه البحري	٢٥	٣ر٥٥
المنوفية	محافظات الوجه البحري	٣٥	٤ر٩٧
البحيرة	محافظات الوجه البحري	٤٠	٥ر٦٨
الاسماعلية	محافظات الوجه البحري	٨	١ر١٤
الجيزة	محافظات الوجه القبلي	١٢	١ر٧١
بنى سويف	محافظات الوجه القبلي	٤٥	٦ر٣٩
الفيوم	محافظات الوجه القبلي	٥	ر٧١
المنيا	محافظات الوجه القبلي	٢٤	٣ر٤١
أسيوط	محافظات الوجه القبلي	٢٢	٣ر١٣
سوهاج	محافظات الوجه القبلي	٣٩	٥ر٥٤
قنا	محافظات الوجه القبلي	٣	ر٤٣
أسوان	محافظات الوجه القبلي	١١	١ر٥٦
المجموع		٧٠٤	١٠٠

(د) توزيع للترددين حسب الأقسام الإدارية :

تدل البيانات الخاصة بتوزيع المترددين حسب الأقسام الإدارية على أن هناك نسبة عالية من المترددين وتبلغ ١٤٫٩١ ٪ تأتى من خارج القاهرة إلى المشتغلين بالسحر داخل القاهرة ، وهذا يدل على مدى اعتقاد المترددين خارج القاهرة والمشتغلين بالسحر داخلها ، وهذا يعضد القيم الشائعة بين سكان مصر فيما يتعلق بمركزية النشاط فى القاهرة ، فهى بالنسبة لهم مركز النشاط الإدارى ، والثقافى ، والاقتصادى فمن باب أولى أن تكون أيضا مركزا للنشاط السحرى .

فالقاهرة هى العاصمة ، ومركز الجذب الرئيسى ، وكما أنها تضم صفوة المتخصصين والأطباء والمثقفين ، كذلك يعتقد الناس أنها تضم صفوة المشتغلين بالسحر ، لذا فهم يتجهون إليها من كل المحافظات

وهناك ارتباط بين توزيع المترددين بحسب الأرقام الإدارية ، وتوزيع المشتغلين بالسحر حسب الأقسام الإدارية أيضا ، (كما لاحظنا فى الفصل الخاص بالمشتغلين[1]) وذلك أننا كشفنا عن ارتباط موجب بين كثرة عدد المترددين فى أقسام إدارية معينة من القاهرة وبين ارتفاع نسبة المشتغلين فى هذه الأقسام، ويؤدى هذا الارتباط إلى أن نستنتج أن هناك علاقة طردية بين حجم المشتغلين وحجم المترددين فى هذه الأقسام ، فبينما يحتل قسم الشرابية المركز الأول من حيث المشتغلين بالسحر فيه نجد أنه يحتل المركز الأول أيضا من حيث نسبة المترددين على المشتغلين بالسحر فيه وتبلغ ٥٢٫٨ ٪ من مجموعهم كذلك الحال بالنسبة لقسم السيدة زينب فهو يحتل المرتبة الثانية من حيث

---

(١) انظر الجدول الخاص بالمشتغلين حسب الأقسام الإدارية ، ص ٢٣٨ ، ٢٣٩ .

تركز المشتغلين بالسحر فيه ، وكذلك يحتل المرتبة نفسها من حيث نسبه المترددين على المشتغلين بالسحر فيه وتبلغ ٧٫٨١ ٪ من مجموعهم ، ويشترك قسم شبرا مع قسم السيدة زينب فى احتلال المركز الثانى من حيث نسبة المترددين على المشتغلين بالسحر فيه ، وهو أيضا من الأقسام ذات النسب العالية من حيث تركز المشتغلين بالسحر فيه . ويمثل قسم الجمالية ثالث أقسام القاهرة الإدارية من حيث نسبة المترددين على المشتغلين السحر فيه ، وتبلغ ٦٫٤٠ ٪ من مجموعهم (١)

وتدل هذه البيانات على وجود ارتباط موجب بين كثرة عدد المترددين فى أقسام إدارية معينة من القاهرة ، وبين وجود أضرحة لأولياء الله الصالحين من المسلمين ، أو لقديسين من النصارى ، فقسم السيدة زينب يتميز بوجود ضريح السيدة زينب رضى الله عنها فيه ، وقسم شبرا يتميز بوجود كنيسة القديسة سانت تريز فيه ، أما قسم الجمالية فيشتهر بوجود ضريح سيدنا الحسين رضى الله عنه فيه .

كما تفصح البيانات أيضا عن أن نسبة كبيرة من المترددين تفضل أن تذهب إلى المشتغلين القريبين منهم أكثر من تفضيلهم الذهاب إلى من يبعدون عنهم إلا فى حالات خاصة يكون فيها أحد المشتغلين ذا سمعة كبيرة لاعتقاد الناس بما يتمتع به من قوه روحية عظيمة ، وقدرة بالغة الأثر على تسخير القوى الغيبية .

وبتقسيم أقسام القاهرة الإدارية جغرافيا من حيث نسبة وجود المترددين على المشتغلين بالسحر بها ، إلى مناطق ، نجد أنه يمكن تقسيمها إلى أربعة

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٢٣٨ .

مناطق (تماثل تقسيمها القاهرة الإدارية جغرافيا بحسب تركز المشتغلين فيها[١]) وهى منطقة شمال القاهرة ، ومنطقة الشمال الشرقى ، والوسط ، والجنوب .

وتحتل منطقة وسط القاهرة[٢] المركز الأول من حيث تواجد المترددين على المشتغلين بالسحر فيها وتبلغ نسبتهم ٢٣٫٥٩ ٪ من المجموع الكلى ، تليها فى المركز الثانى منطقة شمال القاهرة[٣] ، وتصل نسبة المترددين على المشتغلين بالسحر فيها إلى ٢١٫٧٨ ٪ من جملتهم ، أما منطقة الشمال الشرقى للقاهرة[٤] ، فتحتل المركز الثالث من حث تواجد المترددين بها وتبلغ نسبتهم ٢١٫٤٥ ٪ من المجموع الكلى للمترددين ، أما المنطقة الرابعة فهى منطقة جنوب القاهرة[٥] ، وتصل نسبة المترددين على المشتغلين بالسحر فيها إلى ١٨٫١٨ ٪ من جملة المترددين .

---

(١) أنظر خريطة توزيع المشتغلين بالسحر حسب الأقسام القاهرة الادارية، ص ٢٩٧ .

(٢) تشمل منطقة وسط القاهرة إداريا أقسام بولاق ، والجمالية ، والدرب الأحمر ، وباب الشعرية ، والظواهر ، والأزبكية ، والموسكى ، وقصر النيل ، وعابدين .

(٣) تشمل منطقة شمال القاهرة إداريا أقسام الساحل ، وروض الفرج ، وشبرا ، والشرابية .

(٤) تشمل منطقة شمال شرق القاهرة إداريا أقسام النزهة ، والمطرية ، والزيتون ، ومصر الجديدة ، وحدائق القبة ، ومدينة نصر ، والوايلى .

(٥) تشمل منطقة جنوب القاهرة إداريا أقسام الخليفة ، والسيدة زينب ، ومصر القديمة والمعادى ، وحلوان ، والتبين .

جدول (٤)

توزيع المترددين حسب الأقسام الإدارية

القسم الإدارى	عدد المترددين	النسبة المئوية
الأزبكية	٦	٨٥ر
التبين	١٠	١٫٤٢
الجمالية	٤٥	٦٫٤٠
الخليفة	٥	٧١ر
الدرب الأحمر	٣٥	٤٫٩٧
الزيتون	١٠	١٫٤٢
الساحل	٣٥	٤٫٩٧
السيدة زينب	٥٥	٧٫٨١
الظاهر	١٥	٢٫١٣
المطرية	١٥	٢٫١٣
المعادى	٦	٨٥ر
الموسكى	٥	٧١ر
الزهرة	٣	٤٣ر
الوايلى	٤٠	٥٫٦٨
باب الشعرية	١٦	٢٫٢٨
بولاق	٣٠	٤٫٢٦
حدائق القبة	٤٠	٥٫٦٨
حلوان	٨	١٫١٤
روض الفرج	٤	٥٧ر
شبرا	٥٥	٧٫٨١
عابدين	١٠	١٫٤٢

تابع جدول (٤)

القسم الإدارى	عدد المترددين	النسبة المئوية
قصر النيل	٤	٥٧ر
مدينة نصر	٣	٤٣ر
مصر الجديدة	٤٠	٥ر٦٨
مصر القديمة	٤٤	٨ر٢٥
الشرابية	٦٠	٨ر٥٢
خارج القاهرة	١٠٥	١٤ر٩١
المجموع	٧٠٤	١٠٠ر٠٠

(هـ) توزيع المترددين حسب الديانة :

من تحليل البيانات الخاصة بديانة المترددين على المشتغلين بالسحر يتبين أن أكثر من ثلثى المترددين من المسلمين بنسبة ٦٩٫٣٢ ٪ ، وأن حوالى ثلث المترددين من المسيحيين بنسبة ٣٠٫٦٨ ٪ . وذلك كما يتضح فى الجدول رقم (٥) . ويمكن إرجاع ذلك إلى تلك الحقيقة الإحصائية التى تسجل أن المسلمين أكثر عددا من المسيحيين فى القاهرة بشكل لافت ، فقد بلغت نسبتهم فى تعداد ١٩٧٦ ، (٨٩٫٨٣ ٪) بالمقارنة بنسبة (١٠٫١٣ ٪) من المسيحيين[1] .

أما تفسير ارتفاع تلك النسبة من المترددين المسيحيين على المشتغلين بالسحر، فهو أن معظم هذه النسبة تتشكل من الطبقة المتوسطة ذات التطلعات، والحرص على النجاح ، والقلق الكثير ، كما أن جزءا كبيرا من هذه النسبة تتألف من الأغنياء الحريصين دائما على الثراء والنجاح ، والمحافظة عليهما .

جدول (٥)

توزيع المترددين حسب الديانة

الديانة	عدد المترددين	النسبة المئوية
مسلم	٤٨٨	٦٩٫٣٢
مسيحى	٢١٦	٣٠٫٦٨
المجموع	٧٠٤	١٠٠

(١) انظر المؤشرات الاحصائية (إقليم القاهرة) الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء ، يوليو ١٩٧٨ ، ص ٢٧ .

و) توزيع المترددين حسب مستوى التعليم :

تدل البيانات الخاصة بالمستوى التعليمي للمترددين على المشتغلين بالسحر على أن حوالى ثلث المترددين من الأميين بنسبة ٤٠ و ٣٠ ٪ . كما أن هناك نسبة كبيرة تصل إلى ٢٤٫٧١ ٪ من المترددين يقرأون ويكتبون. ويسترعى النظر أن بقية المترددين ونسبتهم ٥٥٫١١ ٪ موزعون على مراحل التعليم المختلفة بنسب متفاوتة ، أعلاها من تخرجوا من المدارس ١٥٫٠٦ ٪ . ومن نالوا تعليما عاليا بنسبة ١٧٫٤٧ ٪ [١] .

٣ — ويمكن أن نربط بين معطيات هذا الجدول ، ومعطيات الجدول رقم (١٣) الخاص بدوافع التردد . فالأميون يذهبون لأسباب تتعلق معظمها بفك العمل ، وفك الربط ، والزواج ، والمرض . أما المثقفون فيذهبون لأسباب تتعلق بالنجاح فى الدراسة ، والنجاح فى العمل ، ومسائل الحب والزواج ، والأمراض الميئوس منها ، والتى أخفق الطب فى علاجها . ويمكن تفسير ذلك بأن المتعلمين بوجه عام أكثر قلقا وأكثر مجابهة للمشاكل ، وأعقد حياة ومطلبا من الأميين .

---

(١) تتفق هذه النتائج مع ماوجده د / سيد عويس فى الدراسة التى أشرف عليها عن إتجاهات قراء « بختك اليوم » فى الصحف اليوم انظر سيد عويس ، حديث عن الثقافة ، ص ٢٢ ، ٢٢٣ .

جدول (٦)

توزيع المترددين حسب مستوى التعليم

مستوى التعليم	عدد المترددين	النسبة المئوية
أمى	٢١٤	٣٠ر٤٠ ٪
يقرأ فقط	١٣	١ر٧٥ ٪
يقرأ ويكتب	١٧٤	٢٤ر٧١ ٪
ابتدائى	٥٥	٧ر٨١ ٪
اعدادى	١٩	٢ر٧٠ ٪
ثانوى	١٠٦	١٥ر٠٦ ٪
عالى	١٢٣	١٧ر٤٨ ٪
المجموع	٧٠٤	١٠٠ر٠٠

(ز) توزيع المترددين حسب الحالة الاجتماعية :

تبين من تحليل بيانات المترددين الخاصة بالحالة الاجتماعية المترددين أن أن أغلبهم من المتزوجين بنسبة ٥١ر٢٨ ، يلى ذلك العزاب بنسبة ٢٧ر٢٨ ، ثم الأرامل بنسبة ١٢ر٢١ ، والمطلقين بنسبة ٨ر٢٤٪ .

وتدل هذه النتيجة على أن المتزوجين من المترددين أكثر استشمارا من غيرهم بالمشكلات التى تواجههم . تلك المشكلات المترتبة على الزواج ، مثل الخلف ، والتوافق ، والمشكلات المتعلقة بالجنس فى الزواج والمسائل المادية . والرغبة فى الاحتفاظ بالزوج (فى الأعم الأغلب) أو الزوجة .

أما العزاب من المترددين فهم أقل عددا ، وأقل إحساسا بالمشكلات فمشكلاتهم تنحصر فى الرغبة فى نيل رضا المحبوب . ومشكلات الحب عموما والخوف من الفشل فيه ، والرغبة فى التأكد من أن المحبوب يبادل الطرف الآخر الحب ومشكلة اختيار الشريك . هذا إلى جانب مشكلات النجاح فى الدراسة والحياة العملية وابتداء حياة سعيدة من كل النواحى .

أما الأرامل من المترددين ، وكذلك المطلقين فمشكلاتهم معروفة ومحدودة بمجالاتهم الخاصة .

جدول (٧)

توزيع المترددين حسب الحالة الاجتماعية

الحالة الاجتماعية	عدد المترددين	النسبة المئوية
أعزب	١٩٩	٢٨ر٢٧
متزوج	٣٦١	٥١ر٢٨
أرمل	٨٦	١٢ر٢١
مطلق	٥٨	٨ر٢٤
المجموع	٧٠٤	١٠٠ر٠٠

(ح) التوزيع حسب المهنة :

يتبين لنا من توزيع المترددين بحسب مهنهم أن أغلبية المترددين من الموظفين وذلك بنسبة ٧٢ر٤ ٪ . يليهم العمال بنسبة ٢٢ر٢ ٪ . ثم التجار بنسبة ٥ر٤ ٪ . كما تبين أن حوالى ثلثهم ينتمون إلى مهن فنية متوسطة

وعليا وذلك بنسبة ٢ر٣٠٪. يلي ذلك من ينتمون إلى مهن كتابية متوسطة وعليا وذلك بنسبة ١ر٢٤٪ ويلي ذلك من ينتمون إلى مهن إدارية ومتوسطة وعليا وذلك بنسبة ٢ر١٨ ٪ أما الباقون فيتوزعون مابين عمال نصف فنيين بنسبة ٨ ٪ . وعمال غير فنيين (حرف صغيرة) ٢ر١٤ ٪ وتجار بنسبة ٣ر٥ ٪ .

ويتضح من الجدول أيضا أننا إذا ربطنا بين المهنة ودرجة التعليم لوجدنا أن نسبة كبيرة تصل إلى حوالى ٧ر٨٥ ٪ من المترددين من المتعلمين ، تعليما متوسطا وعاليا . وذلك على أساس أن هناك ٤٠ر٧٢ ٪ . منهم من المتعلمين وهم الموظفون ، إلى جانب افتراض أن نصف العمال والتجار من المتعلمين [1] .

وترجع أسباب تردد ذلك العدد الضخم من الموظفين على المشتغلين

---

(١) تتفق نتائج بحثنا هنا مع النتائج التي وجدها أ.د. سيد عويس في ضوء دراسة علية أشرف عليها لدراسة اتجاهات قراء موضوع « بختك اليوم » في الصحف اليومية ، فقد وجد أن نحو ٧٥ ٪ من موظفي مصلحة من مصالح الحكومة يواظبون على قراءة هذا الموضوع يوميا . منهم من يقرأه لجرد التسلية ، ومنهم من يقرأه لأنه يتناول نتائج القراءة ، ومنهم يقرأه لانه يقارن بين ما يقع وبين ما تنبأ به ، ومنهم من يقرأه لأن ما يقرأه يتحقق عادة . ومنهم من يقرأه لأنه يؤمن بنتائجه ، والملاحظ أن هؤلاء الموظفين تتراوح أعمارهم ما بين ١٧ ـ ٥٥ ، منهم نحو ٦٣ ٪ لا تزيد أعمارهم على ثلاثين عاما . وأن نحو ٥٢ ٪ منهم من مواليد محافظة القاهرة ، وأن نسبة المسلمين منهم نحو ٨٢ ٪ ، ونسبة المتزوجين منهم نحو ٥٠ ٪ ، وأن نحو ٩٠ ٪ منهم قد حصلوا على شهادات متوسطة ، وأن نحو ١٠ ٪ منهم قد حصلوا على شهادات عالية .

ويلاحظ أن من يقرأون « بختك اليوم » يزورون المقابر كثيرا ، كما يزورون أضرحة الأولياء والقديسين ، ويؤدون لهم النذور ، ويؤمنون بها ، وهم يؤدون فريضة الصلاة ، وفريضة الصوم ، ونسبة كبيرة منهم يؤمنون بالأشباح ، ويمارسون عمليات البخور في المناسبات وقراءة الفنجان، والكف ، وحل التمائم ، وفتح المندل .

انظر سيد عويس ، المصدر السابق ، ص ٢٢٢ ـ ٢٢٣ .

بالسحر إلى أن للموظف مطالب كثيرة ، فهناك تطلعات الوظيفة ، وهمومها واحتكاكات الرؤساء ، والزملاء ، والمرءوسين . كما أن الأعباء الملقاة على عاتقه كثيرة من زوجته وأولاده . فهو غالبا إما مكدود أو مطحون ، أما العامل فله أيضا أسبابه فى التردد على المشتغلين بالسحر وأهمها التطلعات الجديدة مثل الرغبة فى الاشتغال فى دولة عربية ، أو الزواج من فتاة أعلى منه تعليما . أو الرغبة فى معرفة مدى نجاحه فى مشروع ينوى تنفيذه .

أما التجار فيترددون للتأكد من نجاح صفقاتهم ومشروعاتهم ، أو لمعرفة من سرق أحد مخازنهم أو أذاع أسرارهم لمنافسيهم .

جدول (٨)

توزيع المترددين وفق مهنهم

المهن	عدد المترددين		٪	
١ ـ موظفون				
(أ) مهن كتابية				
متوسطة	٩٥		١٣ر٥	
عليا	٧٥		١٠ر٦	
(ب) مهن إدارية				
متوسطة	٩٢	٥١٠	١٣ر١	
عليا	٣٥		٥ر٠	٧٢ر٤
(حـ) مهن فنية				
متوسطة	١٦٥		٢٣ر٤	
عليا	٤٨		٦ر٨	
٢ ـ عمال				
فنيون و نصف فنيون	٥٦	١٥٦	٨ر٠	٢٢ر٢
غير فنيين (حرف صغيرة	١٠٠		١٤ر٢	
٣ ـ تجار	٣٨	٣٨	٥ر٤	٥ر٤
المجموع	٧٠٤		١٠٠	

(ط) المصادر التى عرف المترددون عن طريقها المشتغلين :

تدل البيانات الخاصة بالمصادر التى عرف المترددون عن طريقها المشتغلين بالسحر على أن عددا كبيرا من المترددين قد عرفوا المشتغلين عن طريق جيرانهم وذلك بنسبة ٣٤٫٧ ٪ ، يلى ذلك عدد كبير منهم عرف المشتغلين عن طريق الأقارب وذلك بنسبة ٢٧٫٧ ٪ كما أن هناك نسبة لا بأس بها من المترددين قد عرفت المشتغلين عن طريق الأصدقاء بلغت ٢٣٫٧ ٪ . أما بقية المصادر فقد توزعت ما بين زملاء فى العمل بنسبة ٨٫٧ ٪ وزملاء الدراسة وذلك بنسبة ٥٫٢ ٪ وذلك كما يتضح من الجدول رقم (٩) .

ويتبين لنا إذن أن الجيران والأقارب والأصدقاء، وزملاء العمل وزملاء الدراسة على الترتيب هم المصادر الهامة التى عرف المترددون عن طريقهم المشتغلين بالسحر وأن دور وسائل الاعلام المتمثل فى الإعلانات التى ينشرها المشتغلون فى الصحف اليومية أو المجلات لم يظهر فى هذا البحث . فالعلاقات الأولية والحميمة إذن (face to face relationships) هى التى تلعب دورا هاما فى هذا المجال . ويبدو أن الذى يرغب فى الذهاب إلى أحد المشتغلين بالسحر يود أن يتأكد بنفسه من أن آخرين يعرفهم جيداً قد ذهبوا إليه وأكدوا فعاليته ، مما لا توفره له الإعلانات . هذا بالإضافة إلى ما ذكره معظمهم من أن سبب عدم ذكرهم لوسائل الإعلام ، ودورها فى تعريفهم بالمشتغلين بالسحر، اعتقادهم بأن من يعلنون عن أنفسهم فى الصحف يأخذون « فيزيتا » عالية على حد قولهم .

جدول (٩)

المصادر التي عرف المترددون عن طريقها المشتغلين

المصادر	عدد المترددين	النسبة المئوية
أقارب	١٩٥	٢٧ر٧ ٪
أصدقاء	١٦٧	٢٣ر٧ ٪
جيران	٢٤٤	٣٤ر٧ ٪
زملاء فى العمل	٦١	٨ر٧ ٪
زملاء فى الدراسة	٣٧	٥ر٢ ٪
المجموع	٧٠٤	١٠٠ ٪

(ى) عدد مرات التردد :

تبين من الجدول رقم ١٠ الخاص بصدد مرات التردد ، أن معظم المترددين بنسبة تصل إلى ٦٣ر١٠ ٪ قد ترددوا على المشتغلين مرتين ، بينما هناك نسبه أقل ترددت ثلاث مرات بلغت ١٥ر٧٦ ٪ أما من ترددوا أكثر من ثلاث مرات فبلغت نسبتهم ١١ر٣٤ ٪ . وكانت أقل نسبة هى الخاصة بمن ترددوا مرة واحدة فقط إذ بلغت ٩ر٨ ٪ .

ويلاحظ أن التردد أكثر من مرة قد يكون له أسبابا مختلفة ، فقد يتردد الإنسان على المشتغل أكثر من مرة لاعتقاده بجدوى ما يفعله المشتغل ؛ وقد يتردد أكثر من مرة لعدم شعوره بأى تقدم او بأى جدوى لكنه لا ينقطع عن الأمل والتمنى فى حدوث ما يرغب ويتمنى . ويرتبط التردد مرة أو أكثر

من مرة بنوعية المطلب ؛ فالتوافق الزواجى والشفاء من مرض يتطلب التردد أكثر من مرة ؛ أما الكشف عن الغيب أو المستقبل فلا يتطلب إلا التردد مرة واحدة فقط

جدول (١٠)

عدد مرات التردد

عدد مرات التردد	المترددون	النسبة المئوية
مرة	٦٨	٩ر٨٠ ٪
مرتان	٤١١	٦٣ر١٠ ٪
ثلاث مرات	١٣١	١٥ر٧٦ ٪
أكثر من ثلاث مرات	٩٤	١١ر٣٤ ٪
المجموع	٧٠٤	١٠٠ ٪

(ط) مدى شعور المتردد بالفائدة من تردده :

يتبين لنا من الجدول رقم (١١) أن أكثر من نصف المترددين لا يشعرون بفائدة من ترددهم على المشتغلين بالسحر وذلك بنسبة ٥٧ر٥٠ ٪ . بينما تستشعر نسبة كبيرة من المترددين تبلغ ٤٢ر٥٠ ٪ فائدة تذكر من ترددها.

ويتضح من ذلك أن ظاهرة السحر باقية ولن تختفى لأن هناك من يحسون عن صدق أو عن وهم بأن التردد على المشتغلين بالسحر يفيدهم [١].

(١) تذكر أحد السيدات على سبيل المثال من اللاتى أجبن باستشعارهن فائدة من ترددهن على أحد المشتغلات بالسحر ما يلى ، « ده أنا جيت لها أكثر من ١٠ مرات ، وحلت لى كذا عقدة إحتار فيها الدكاترة . وآخرها عملت لى عمل خلت جوزى يحبنى زى بتوع السيما ب٣ ما كان طول اليوم خناق وضرب وشتيمة . دى سرها باتع ، والجن ما يرفضولهاش طلب » .

ولو كان الأمر على خلاف ذلك وأنهم يتركون هؤلاء المشتغلين بعانا ويطرقوا باب الطب فى القضاء على المرض والشرطة فى العثور على المسروق لاختفت هذه الظاهرة .

جدول (١١)

مدى شعور التردد بالفائدة من تردده

مدى شعور المتردد بالفائدة من تردده	المترددون	النسبة المئوية
نعم	٢٩٩	٤٢ر٥٠ ٪
لا	٤٠٥	٥٧ر٥٠ ٪
المجموع	٧٠٤	١٠٠ ٪

ى — المترددين حسب مايدفعونه للمشتغلين :

يبين الجدول رقم ١٤ الخاص بما يدفعه المترددون للمشتغلين بالسحر أن حوالى ثلث المترددين بنسبة تصل إلى ٦٦ر٢٪ يدفعون مقابلا ماديا ، بينما تدفع نسبة لا بأس بها من المترددين تصل إلى ٢٤ ٪ مقابلا عينيا ، كما أن هناك نسبة صغيرة تصل إلى ٩ر٨ ٪ لا تدفع للمشتغلين أى مقابل ماديا كان أم عينيا .

جدول (١٢)

توزيع المترددين حسب ما يدفعونه للمشتغلين بالسحر

ما يدفع	المترددون	النسبة المئوية
مقابل مادى	٤٦٦	٦٦ر٢ ٪
مقابل عينى	١٦٩	٢٤ر٠ ٪
بدون مقابل	٢٩	٩ر٨ ٪
المجموع	٧٠٤	١٠٠ ٪

ك — توزيع المترددين حسب الدوافع إلى التردد :

يتبين من الجدول رقم (١٣) الخاص بتوزيع المترددين حسب الدافع إلى التردد على المشتغلين بالسحر، أن أكثر من نصف المترددين بنسبة ٥٨ر٣٨ ٪ من مجموعهم الكلى يترددون على المشتغلين بالسحر بدافع حب الاستطلاع، ولعل فى ذلك تفسير وجود نسبة كبيرة من المشتغلين تتخصص فى قراءة الفنجان والكف والكوتشينة تبلغ نسبتهم ٣٠ر٩٤ ٪ من جملة المشتغلين بالسحر[1]، وذلك لمقابلة احتياجات هؤلاء المترددين لمعرفة المستقبل، أو كشف الغيب.

تلى ذلك نسبة تبلغ حوالى خمس المترددين، تذهب إلى المشتغلين بالسحر بدافع التسلية، وقضاء الوقت، وتبلغ هذه النسبة ١٨ر٦١ ٪ من مجموعهم الكلى، ويشكل المثقفون نسبة كبيرة من هذه الفئة من المترددين الذين يذهبون لمجرد التسلية.

(١) انظر ما قبل، الجدول الخاص بتوزيع المشتغلين حسب التخصص.

ومن المترددين من يذهب إلى المشتغلين بالسحر بدافع ديني أي لأنه يعتقد بالفعل أن الدين يعترف بالسحر ، ويشكل هؤلاء نسبة تصل إلى ١٣ر٣٥ ٪ من مجموع المترددين ، وأغلبهم من الأميين . أما النسبة الباقية من المترددين على المشتغلين بالسحر وتصل إلى ٩ر٦٦ ٪ من مجموعهم فيذهبون بدافع اليأس من الطرق العلمية والطبية في علاج أمراضهم ، وهؤلاء خليط من المتعلمين والأميين على السواء ، ويمثل المترددون المتعلمون والمثقفون الذين يذهبون للمشتغلين بالسحر بهذا الدافع غلبه التفكير الغيبي لديهم أحيانا على التفكير العلمي والتفكير المنطقي .

جدول (١٣)

توزيع المترددين على المشتغلين بالسحر بحسب الدافع إلى التردد

الدافع إلى التردد	عدد أفراد العينة	النسبة المئوية
اليأس من الطرق العلمية والطبية	٦٨	٩ر٦٦
اعتقاد ديني	٩٤	١٣ر٣٥
مجرد تسلية	١٣١	١٨ر٦١
حب استطلاع	٤١١	٥٨ر٣٨
المجموع	٧٠٤	١٠٠

(ل) رأى المترددين في مدى اعتراف الدولة والدين بالسحر :

يكشف تحليل البيانات الخاصة برأى المترددين على المشتغلين بالسحر في مدى اعتراف الدولة والدين بالسحر ، عن أن نسبة ضئيلة جدا منهم ترى أن الدولة

تعترف بالسحر ، وتصل هـذه النسبة إلى ٩٩ر١ ٪ من مجموعهم وتذهب هذه الفئة من المترددين إلى أن اعتراف الدولة بالسحر يتجلى فى السماح بتداول كتب الكوتشينة والفنجان ، وكتب السحر ، والطالع وغيرها ، والسماح أيضا للمشتغلين بالسحر بالإعلان عن أنفسهم فى الصحف اليومية ، وبعض المجلات ، مشفوعا بألقاب « البروفيسير » و « الدكتور » حتى يزيد تأثيرهم على الأفراد .

أما الغالبية الساحقة من المترددين من كل المستويات الاجتماعية ، والاقتصادية والتعليمية ، وتبلغ نسبتهم ٩٨٫٠١ ٪ من مجموعهم الكلى فيذهبون إلى أن السحر معترف به من الدين ، ويستندون فى تأكيد ذلك إلى أن السحر مذكور فى التوراة والإنجيل والقرآن أى فى كل الكتب السماوية ، رغم أنهم لا يتعمقون فى كيفية ورود ذكر السحر فى الكتب السماوية ، وموقف هذه الكتب من السحر بعامة . ولعلهم يجدون فى معتقدهم هذا وهو أن الدين يعترف بالسحر تبريرا كافيا للجوئهم إلى المشتغلين بالسحر ، كما أن هؤلاء المشتغلين بدورهم يقوون هـذا المعتقد لديهم حتى تروج بضاعتهم .

وتؤكد المعطيات السابقة ما سبق أن ذهبنا إليه فى الجزء النظرى من اختلاط ظاهرة السحر فى مصر بالدين ، واستغلال المشتغلين بالسحر فى مصر لهذه الحقيقة لكى يضمنوا سهولة التأثير على الناس ، وبذلك يصيبون الكسب الكثير ، لذلك حرصوا على تلوين أعمالهم السحرية باللون الدينى حتى تجد قبولا عند من يتردد عليهم من الناس (١) .

---

(١) انظر ما قبل ، الفصل الخامس ، السحر كظاهرة اجتماعية .

جدول (١٤)

رأى المترددين فى مدى اعتراف الدولة والدين بالسحر

مدى اعتراف الدولة والدين بالسحر	عدد أفراد العينة	النسبة المئوية
السحر معترف به من الدولة	١٤	١ر٩٩
السحر معترف به من الدين	٦٩٠	٩٨ر٠١
المجموع	٧٠٤	١٠٠

الفصل التاسع

ظاهرة السحر فى مدينة القاهرة

أهم النتائج النهائية للبحث

الفصل التاسع

ظاهرة السحر فى مدينة القاهرة

أهم النتائج النهائية للبحث

يمكن أن نجمل النتائج النهائية لبحث السحر فى مدينة القاهرة ، الذى كان الهدف منه هو التعرف على ظاهرة السحر كما توجد وتمارس فى مدينة القاهرة ، باعتبارها ظاهرة اجتماعية ذات تركيب وخصائص ، فيما يأتى :ـ

أولا : نتائج خاصة بالمشتغلين بالسحر :ـ

١ ـــ الاشتغال بالسحر عمل يمكن أن يقوم به الذكر والأنثى على السواء ، فالتخصص حسب النوع ليس له أهمية فى هذا المجال .

٢ ـــ أغلبية المشتغلين بالسحر ينتمون إلى الفئات العمرية الكبيرة (٤٠ ـــ ٥٠) وذلك بنسبة ٧٨٫٤٥٪ من مجموعهم الكلى ، ويعزى ذلك إلى أن هذه المهنة تتطلب الخبرة والتمرس ، كما أن كبر السن يضفى على المشتغل بها الهيبة والاحترام ، ويغرى على الاعتقاد فيما يقول ، وتصديقه ، وبخاصة أن من القيم السائدة فى المجتمع المصرى احترام كبار السن ، واعتبارهم « بركة » وتقدير ما يقولون ويفعلون .

٣ ـــ تبين من البحث أن أكبر عدد من المشتغلين بالسحر فى مدينة القاهرة يتركزون فى قسم « الشرابية » وليس هذا بمستغرب لأن الشرابية ثانية أقسام القاهرة الإدارية تعدادا للسكان بعد المطرية ، فضلا عن أنها تضم

أفرادا من مستويات اجتماعية اقتصادية مختلفة ، فمنهم الموظف،ورجل الأعمال ، والعامل ، والطالب ، والتاجر ، والحرفى ، كل هؤلاء بهمومهم ، وآمالهم ، وطموحاتهم المتنوعة. أما « السيدة زينب » فهى ثانيةأقسام القاهرة الإدارية من حيث تركز المشتغلين بالسحر فيها (١٠ر٧٩) ، وهى منطقة بؤرية شعبية تتميز بوجود ضريح «السيده زينب» الذى يقصده الألوف للتبرك ، والشكوى وطلب قضاء الحاجات ، والمشتغلون يجدون فى هؤلاء صيدا سهلا مهيئا من الناحيتين النفسة ، والفكرية ،

٤ — ظهر من البحث أن حوالى ثلث المشتغلين بالسحر فقط من الأميين وذلك بنسبة ٢٧ر٢٩٪ من مجموعهم الكلى ، وأن نسبة أخرى شبه مماثلة تصل إلى ٢٨ر٤٧ ٪ يقرأون ويكتبون ، وتتوزع النسب الباقية بين من يقرأون فقط ، ومن نالوا تعليما ابتدائيا ، واعداديا ، وثانويا . كما كانت هناك نسبة صغيرة من المشتغلين تبلغ ٦ر٣٨٪ من الجامعيين .

وجدير بالذكر أن هناك ارتباطا بين تخصص المشتغل ومستوى تعليمه فمن يقرأ الكوتشينة أو الفنجان لا يستلزم أن يكون ملما بالقراءة والكتابة وأغلبية الأميين من المشتغلين بالسحر يعملون فى هذه التخصصات . أما كتابة الأحجبة والأعمال ، فلابد أن يكون المشتغل بها ملما بالقراءة والكتابة ، ومطلعا على بعض كتب السحر الرسمى .

٥ — أفصح البحث عن أن قرابة نصف المشتغلين بالسحر وذلك بنسبة ٤٣ر١٧ ٪ يشتغلون بأكثر من تخصص وأن حوالى ربع المشتغلين بنسبة ٢٥ر١٨ ٪ من مجموعهم الكلى ، متخصصون فى قراءة الفنجان ، كما أن هناك نسبة أقل تصل إلى الخمس ٢٠٨٧ ٪ متخصصون فى العمل ، ثم توزع باقى

المشتغلين على التخصصات المختلفة مثل الكف ، وقراءة السكوتشينة ، والمندل .

ووجود نسبة كبيرة من المشتغلين بالسحر يعملون فى أكثر من تخصص ، يدل على أن تلك التخصصات لا تحتاج إلى خبرة دقيقة ودراية وإنما يمكن أن تتنوع حسب ظروف الحالة . ويمكن أيضا أن تربط هذه التخصصات بالعرض والطلب ، فالتخصصات التى عليها طلب كبير كالفنجان، و «العمل» نجد أن المشتغلين بها أكثر من غيرهم فى التخصصات التى ليس عليها طلب كبير .

٦ — يدل البحث على أن غالبية المشتغلين بالسحر يستخدمون القرآن فى مهنتهم وذلك بنسبة ٥٠ر٣٦٪ من مجموعهم الكلى ، بينما يستخدم الانجيل نسبة ضئيلة لا تتجاوز ٣٢ر٤٪ ، أما التوراة فلا يستخدمها أحد . ويستخدم كتب السحر الرسمى ،مثل كتاب شمس المعارف الكبرى ، وتذكرة داوود ، وكتاب محتويات الديربى الكبير ، عدد لا بأس به من المشتغلين تبلغ نسبتهم ٤٦ر٢٤ ٪ من مجموع المشتغلين ، بينما توجد نسبة أخرى لا تستخدم كتبا على الإطلاق .

ويلاحظ أن كثير من المشتغلين بالسحر فى مدينة القاهرة يلجأون إلى خلط السحر بالدين ليضمنوا سهولة التأثير على الناس ، ولكى ينجحوا فى ترويج بضاعتهم ، وكسب المال الوفير . فالدين عند المصريين ، وبخاصة الريفيين ، ومن هم من أصل ريفى من الأمور الجوهرية ذات القيمة العليا فى أعمالهم وحياتهم. وقد استغل المشتغلون بالسحر هذه الحقيقة فدرجوا على

تلوين أعمالهم السحرية باللون الديني ، لذلك لا نجد حجابا ، أو عملا ، أو سحرا يكاد يخلو من الآيات القرآنية .

٧ — تبين من البحث أن من المشتغلين بالسحر بعض رجال الدين ، وأئمة المساجد والمقرئين ، والوعاظا ، ومدرس فى مدرسة ابتدائية أزهرية . وتتفق هذه النتيجة مع ما ذهب إليه باحثون آخرون من أن رجال الدين ، والأولياء ، والصوفية هم فى بعض الأحيان أهم طوائف المشتغلين بالسحر ، وتتفق هـذه النتيجة مع النتيجة المذكورة آنفا من تلون السحر كثيرا بالصيغة الدينية فى مصر .

٨ — أوضح البحث أن عددا يجاوز نصف المشتغلين بالسحر وتصل نسبتهم إلى ٥٣٫٢٤ ٪ يمارسون مهنتهم لأنهم هووها ، بينما اتجه الباقون إلى هذه المهنة عن طريق الوراثة وذلك بنسبة ٤٦٫٧٦٪ من مجموعهم .

ويعد السعى وراء المال ، والمركز ، والمكانة ، والهيبة هى أهم الدوافع التى جعلت كثيرا من المشتغلين يهوون هذه المهنة ، أما من اتجهوا إليها عن طريق الوراثة ، فالدوافع السابقة الذكر إلى جانب أن الأبناء يرثون هذه المهنة بدافع من حب التقليد للآباء ، إلى جانب أن بعضهم يكون قد اكتسب خبرة ودراية بها من مساعدة ذويه فى ممارستها أو مجرد معاشرته لهم .

ويمكن القول أن مسألة الهواية والوراثة فى الاشتغال بالسحر يختلف باختلاف التخصص ، فالهواية تكون فى قراءة الفنجان على سبيل المثال أما الوراثة فتكون فى التخصصات المحتاجة إلى نوعية العمل ، وإلى كتب السحر الرسمى ، وذلك مثل كتابة الأحجبة و « عمل الأعمال » .

٩ — يدل البحث على أن هناك إجماعاً تاما بنسبة ١٠٠٪ من المشتغلين بالسحر ويظهر اقتناعهم بأن مهنتهم مفيدة، وأنهم يقدمون خدماتها للناس، كما يبين البحث أن الغالبية العظمى منهم بنسبة ٨١ر٩٢٪ تؤمن بأنها تعمل بإذن الله، بينما هناك نسبة ضئيلة جداً من المشتغلين تؤمن بأنها تستطيع أن تفعل شيئا وحدها، وتبلغ تلك النسبة ١٩ر٧٪ أى أن غالبية المشتغلين بالسحر يؤمنون - كما دلت إجاباتهم - بأنهم يعملون بوحى من الله، وأن الله قد ميزهم بموهبة معينة أو « بسر معين » عن غيرهم من البشر.

ثانياً : نتائج خاصة بالمترددين على المشتغلين بالسحر : —

١ — كشف البحث أن الإناث أكثر ترددا من الذكور على المشتغلين بالسحر والسبب فى أن الإناث أكثر ترددا على المشتغلين بالسحر وذلك بنسبة ٦٥ر٦١ للإناث، ٣٥ر٣٨ للذكور هو أن النساء أكثر استعدادا للاستهواء، كما أنهن أكثر اعتقاداً فى هؤلاء المشتغلين، كما أن عليهن ضغوطا وأعباء كثيرة لذلك فهن أكثر من الذكور مطالباً.

والمرأة تتردد على المشتغلين بالسحر لأكثر من سبب فهى إما باحثة عن الخلف، وعن علاج للعقم، أو عن خلف الصبية بالذات، وإما هدها المرض بسبب كثرة الحمل والولادة، ولذلك فهى تبحث عن علاج لأمراضها وبخاصة النزيف، وإما خائفة على زوجها من امرأة أخرى، وإما ناشدة حب الزوج وحنوه، وإما ساعية لنجاح أبنائها، أو لتزويجهم، وإما طالبة الخلاص من « الضرة » أو ذاهبة للكشف عن ابن مفقود، أو فك عمل.

ويلاحظ أن المرأة المصريه بعامة، وغير المتعلمة على وجه الخصوص لا تحس أمانا فى زواجها ولا فى حياتها بعامة، وهذا ما يلجئها فى الأغلب إلى المشتغلين بالسحر.

٢ — تبين من البحث أن الغالبية الساحقة من المترددين على المشتغلين بالسحر تنتمى إلى فئات السن ما بين ٢٠ إلى أقل من ٥٠ (وذلك يضم الفئات من ٢٠ — حتى ٤٠ —) وتبلغ نسبتهم ٨١ر٨١ ٪ من المجموع الكلى، بينما يقل عدد المترددين فى فئات السن الصغيرة (أقل من ٢٠) لتصل نسبتهم إلى ٥٣ر٧٪ ، كما تقل أيضا فى فئات السن الكبيرة ليصل إلى ٦٦ر٩ ٪ .

وترجع هذه النتيجة إلى أن فترة السن التى تبدأ من ٢٠ سنة وتنتهى بأقل من ٥٠ سنة ، تعد فترة قلق على النجاح ، وعلى المستقبل، وعلى بداية تكوين حياة عائلية ثم الاستمرار فيها ، أى تنطوى على التفكير فى الزواج ، وتكوين الأسرة ، ثم الرغبة فى الاستقرار النفسى والعائلى ، ففى المراحل المتوسطة من العمل تزداد مطالب الإنسان ، ويزداد حرصه على تأكيد ذاته ومستقبله ، لذلك فإن لجوء الناس إلى المشتغلين بالسحر يزداد فى هذه المرحلة .

أما المراحل المبكرة من العمر ، فلا يلجأ الناس إلى المشتغلين بالسحر ، لعدم إحساسهم بوطأة الحياة ، ومشكلاتها ، وضعف اعتقادهم فى المشتغلين بالسحر ، وفى المراحل المتقدمة من العمر نجد أن الناس قد زهدوا الحياة ، وقلت مطالبهم ، لذا فإن ترددهم على المشتغلين بالسحر يقل أيضا ،وإذا حدث أن ترددوا على المشتغلين بالسحر فإن ترددهم يكون فى الأعم الأغلب بسبب قلقهم على أولادهم الكبار ومشكلاتهم الكثيرة .

٣ — أوضح البحث أن قرابة نصف المترددين موطنهم الأصلى القاهرة ،

وذلك بنسبة ١١ر٤٪ ، أما بقية المترددين فتوزع موطنهم الأصلى على محافظات الجمهورية بنسب مختلفة، ويتبين هنا أثر الهجرة إلى القاهرة فى مواجهة التوطن ، وأثر جذب القاهرة للريفيين وخاصة المحافظات ذات الطرد المرتفع ، والمحافظات القريبة من القاهرة .

كما اتضحت من البحث نتيجة ثقافية متصلة بالنتيجة الايكولوجية السابقة وهى أن المترددين القاهريين أصلا، والآتين من محافظات حضرية تبلغ نسبتهم ٤٧٪ فى مواجهة ٥٣٪ من المترددين يأتون من محافظات ريفية، ومعنى ذلك أن نسبة المترددين من الريفيين على المشتغلين بالسحر فى القاهرة نسبة عالية، تتمشى معها الأفكار الغيبية والأسطورية ، وفى هذه الحالة لا يكون التعليم والتحضر إلا قشرة تغلف الثقافة الريفية التى تظهر وطأتها فى مناسبات كثيرة يظهر فيها التفاعل الاجتماعى على أشده ، خاصة فى المواقف الحساسة مثل الاعتقاد فى السحر ، ومثل الالتجاء إلى التطبيب الشعبى أكثر من الالتجاء إلى الاطباء ومراكز العلاج .

٤ — تبين من البحث أن نسبة لا بأس بها من المترددين وتبلغ ٩١ر١٤ ٪ تأتى من خارج القاهرة إلى المشتغلين بالسحر داخلها، وهذا يعضد القيم الشائعة عن سكان مصر فيما يتعلق بمركزية النشاط فى القاهرة ، فهى بالنسبة إليهم مركز النشاط الادارى والثقافى، والاقتصادى فمن باب أولى أن تكون مركزا للنشاط السحرى فالقاهرة هى العاصمة ، ومركز الجذب الرئيسى، وكما أنها تضم صفوة المتخصصين ، والاطباء ، والمثقفين ، كذلك يعتقد الناس أنها تضم صفوة المشتغلين بالسحر ، لذا فهم يتجهون إليها من كل المحافظات .

وقد كشف البحث أيضا عن وجود علاقة طردية موجبة بين حجم المشتغلين وحجم المترددين بحسب الأقسام الادارية لمحافظة القاهرة ، فبينما يمثل قسم الشرابية المركز الأول من حيث المشتغلين بالسحر فيه، نجد أنه يمثل المرتبة نفسها من حيث نسبة المترددين على المشتغلين بالسحر فيه. كذلك الحال بالنسبة لقسم السيدة زينب فهو يحتل المرتبة الثانيه من حيث تركز المشتغلين بالسحر فيه ، وكذلك يحتل المرتبة نفسها من حيث نسبة المترددين على المشتغلين بالسحر فيه .

٥ — دل البحث على وجود ارتباط موجب بين كثرة عدد المترددين فى أقسام إدارية معينة على المشتغلين بالسحر فيها، وبين وجود أضرحة لأولياء الله من المسلمين ، أو لقديسين من النصارى ، فقسم السيدة زينب يتميز بوجود ضريح «السيدة زينب» رضى الله عنها فيه ، وقسم شبرا يتميز بوجود كنيسة القديسة « سانت تريز » فيه ، أما قسم الجمالية فيشتهر بوجود ضريح « سيدنا الحسين » رضى الله عنه فيه .

٦ — أوضح البحث أن أكثر من ثلثى المترددين على المشتغلين بالسحر من المسلمين بنسبة ٦٩٫٣٢٪ ، وأن حوالى ثلث المترددين من المسيحين بنسبة ٣٠٫٦٨٪ ، ويمكن إرجاع ذلك إلى تلك الحقيقة الإحصائية التى تسجل أن المسلمين أكثر عددا من المسيحيين فى القاهرة بشكل لافت ، فقد بلغت نسبتهم فى تعداد ١٩٧٦ ، ٨٩٫٨٣٪ مقابل ١٠٫١٣ ٪ من المسيحيين . أما تفسير ارتفاع تلك النسبة من المترددين المسيحيين على المشتغلين بالسحر ، فهو أن معظمهم من الطبقة المتوسطة ذات التطلعات والحرص على النجاح ، والقلق الكثير ، كما أن جزءا كبيرا من هذه النسبة تتألف من الأغنياء الحريصين دائما على الثراء والنجاح .

٧ — دل البحث على أن حوالى ثلث المترددين على المشتغلين بالسحر من الأميين وذلك بنسبة ٣٠ر٤٠ ٪ ، كما أن هناك نسبة كبيرة تصل إلى الربع تقريباً وتبلغ ٢٤ر٧١ ٪ منهم يقرأون ويكتبون ، ويسترعى النظر أن بقية المترددين وتبلغ نسبتهم أكثر من النصف إذ تصل إلى ٥٥ر١١ ٪ من مجموعهم من المتعلمين الموزعين على مراحل التعليم المختلفة بنسب متفاوتة أعلاها من تخرجوا من المدارس ١٥ر٠٦ ٪ ، ومن نالوا تعليما غالبا بنسبة ١٧ر٤٧ ٪

ويلاحظ أن هناك ارتباطا بين المستوى التعليمى للمتردد على المشتغل بالسحر ، وبين دوافعه للتردد . فالأمى يذهب لأسباب تتعلق معظمها بفك العمل ، وفك الربط ، والزواج ، والمرض. أما المتعلمون ، والمثقفون فيذهبون لأسباب تتعلق بالنجاح فى الدراسة ، والنجاح فى العمل والتطلعات المختلفة ، ومسائل الحب والزواج ، والأمراض الميئوس منها ، والتى أخفق الطب فى علاجها، ويمكن تفسير ذلك بأن المتعلمين بوجه عام أكثر قلقا وأكثر مجابهة للمشاكل ، وأعقد حياة ومطالبا من الأميين .

٨ — تبين من البحث أن المترددين على المشتغلين بالسحر أغلبهم متزوجين بنسبة ٥١ر٢٨ ٪ ، يلى ذلك العزاب بنسبة ٢٨ر٢٧ ٪ ، ثم الأرامل بنسبة ١٢ر٢١ ، ثم المطلقين بنسبة ٨ر٢٤ ٪

وتدل هذه النتيجة على أن المتزوجين من المترددين أكثر استشعاراً من غيرهم بالمشكلات التى تواجههم ، تلك المشكلات المترتبة على الزواج، والمسائل المادية ، والرغبة فى الاحتفاظ بالزوج (فى الأعم الأغلب) ، أو الزوجة .

أما العزاب من المترددين فهم أقل عدداً ، وأقل إحساساً بالمشكلات فمشكلاتهم تنحصر فى الرغبة فى نيل رضا المحبوب ، ومشكلات الحب عموماً

والخوف من الفشل فيه ، والرغبة فى التأكد من أن المحبوب يبادل الطرف الآخر الحب ، واختيار الشريك ، هذا إلى جانب مشكلات النجاح فى الدراسة والحياة العملية وابتداء حياة سعيدة من كل النواحى .

أما الأرامل من المترددين ، وكذلك المطلقين فمشكلاتهم معروفة ومحدودة بحالاتهم الخاصة .

٩ — دل البحث على أن أغلبية المترددين على المشتغلين بالسحر من الموظفين ، وذلك بنسبة ٧٢٫٤٪ ، يليهم العمال بنسبة ٢٢٫٢ ، ثم التجار بنسبة ٥٫٤ ٪ ، ومرد ذلك إلى أن للموظف مطالب كثيرة ، فهناك تطلعات الوظيفة ، وهمومها ، واحتكاكات الرؤساء ، والزملاء ، والمرءوسين ، كما أن الأعباء الملقاة على عاتقه كثيرة من زوجته وأولاده ، فهو غالبا إما مكدود أو مطحون . أما العامل فله أيضا أسبابه فى التردد على المشتغلين بالسحر وأهمها التطلعات الجديدة مثل الرغبة فى الاشتغال فى دولة عربية ، أو الزواج من فتاة أعلى منه تعليما ، أو الرغبة فى معرفة مدى نجاحه فى مشروع ينوى تنفيذه . . إلخ ، أما التجار فيترددون للتأكد من نجاح صفقاتهم ومشروعاتهم ، أو لمعرفة من سرق أحد مخازنهم ، أو أذاع أسرارهم لمنافسيهم .

١٠ — ظهر من البحث أن الجيران ، والأقارب ، والأصدقاء ، وزملاء العمل ، وزملاء الدراسة على الترتيب هم المصادر الهامة التى عرف المترددين عن طريقهم المشتغلين بالسحر ، وأن دور وسائل الإعلام المتمثل فى الاعلانات التى ينشرها المشتغلون فى الصحف اليومية أو المجلات لم يظهر فى هذا البحث ، فالعلاقات الأولية والحميمة face to face relationship هى التى تلعب دوراً فى هذا المجال ، ويبدو أن الذى يرغب فى الذهاب إلى أحد المشتغلين بالسحر

يود أن يتأكد بنفسه من أن آخرين يعرفهم جيداً قد ذهبوا إليه ، وأكدوا فعاليته مما لا يتوفر للاعلانات . ويمكن أن نشبه ذلك ، بموقف من يسأل جيرانه وأقاربه ، وأصدقائه عن مدى مهارة طبيب معين .

١١ — تبين من البحث أنه بينما ذكر أكثر من نصف المترددين على المشتغلين بالسحر ، بقليل أنهم لا يشعرون بفائدة من ترددهم ، وذلك بنسبة تصل إلى ٥٧٫٥٠ ٪ ، نجد أن عددا كبيرا أيضا من المترددين يستشعرون فائدة من ترددهم ، بل ويذكرون بالتفصيل كيف استفادوا من ترددهم على المشتغلين بالسحر وتبلغ نسبة هؤلاء ٤٢٫٥٠ ٪ .

ويتضح من ذلك أن ظاهرة السحر باقية ولن تختفى لأن هناك من يشعرون عن صدق أو عن وهم بأن التردد على المشتغلين بالسحر يفيدهم ، ولو كان الأمر على خلاف ذلك ، لتركوا هؤلاء المشتغلين ، وطرقوا باب الطب فى القضاء على المرض ، والشرطة فى العثور على المسروق ولا ختفت هذه الظاهرة .

١٢ — كشف البحث عن أن أكثر من نصف المترددين بنسبة ٥٨٫٣٨ ٪ من مجموعهم الكلى يترددون على المشتغلين بالسحر بدافع حب الاستطلاع . ولعل فى ذلك تفسير وجود نسبة كبيرة من المشتغلين تتخصص فى قراءة الفنجان والكف والكوتشينه وذلك لمقابلة احتياجات هؤلاء المترددين لمعرفة المستقبل أو كشف الغيب ، تلى ذلك نسبة أقل بكثير وتبلغ قرابة خمس المترددين ، وتذهب بدافع التسلية وقضاء الوقت وتبلغ هذه النسبة ١٨٫٦٩ ٪ من مجموعهم الكلى ، وأغلبها من المثقفين ، ويذهبون لمجرد التسلية ومعرفة شىء مختلف . يلى ذلك نسبة من المترددين تذهب بدافع دينى لأنهم يعتقدون بالفعل أن الدين يعترف بالسحر ، وأغلب هذه النسبة من

الأميين . وتبلغ ١٤٫٣٥٪ من المجموع أما الباقى فيذهبون بدافع اليأس من الطرق العلمية أو الطبية فى علاج أمراضهم . وهؤلاء خليط من المتعلمين والأميين على السواء .

١٣ — أوضح البحث عن أن الغالبية العظمى من المترددين ، من كل المستويات الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية ، وتبلغ نسبتهم ٩٨٫٠١٪ من مجموعهم الكلى يذهبون إلى أن السحر معترف به من الدين ، ويستندون فى تأكيد ذلك إلى أن السحر مذكور فى التوراة والإنجيل والقرآن ، رغم أنهم لا يتعمقون فى كيفية ورود ذكر السحر فى الكتب السماوية ، وموقف هذه الكتب من السحر بعامة ، ولعلهم يجدون فى معتقدهم هذا تبريرا كافيا للجوئهم إلى المشتغلين بالسحر ، كما أن هؤلاء المشتغلين بدورهم ، يقودون هذا المعتقد حتى تروج بضاعتهم .

وتؤكد النتيجة السابقة ما سبق أن ذهبنا إليه فى الجزء النظرى من اختلاط ظاهرة السحر فى مصر بالدين ، واستغلال المشتغلين بالسحر فى مصر لهذه الحقيقة كى يضمنوا سهولة التأثير على الناس ، وإصابة الكسب الوفير .

كما بين البحث أن هناك نسبة قليلة من المترددين تذهب إلى أن الدولة تعترف بالسحر ، وتستند فى ذلك إلى أن الدولة تسمح بتداول كتب السحر ، والطالع ، والكوتشينة ، والفنجان ، وتسمح أيضا للمشتغلين بالسحر بالاعلان عن أنفسهم فى الصحف اليومية ، وبعض المجلات مشفوعا بألقاب « البروفسير » ، « والدكتور » حتى يزيد تأثيرهم على الأفراد .

الملاحق



التقسيم الادارى لمحافظة القاهرة

الحدود الإدارية لمحافظة القاهرة وأقسام الشرطة طبقا للتعداد العام للسكان سنة ١٩٧٦

بيان بأسماء أقسام الشرطة بالقاهرة / ١٩٧٦

م	القسم	م	القسم
٠١	الأزبكية	١٤	الوايلي
٠٢	التبين	١٥	باب الشعرية
٠٣	الجمالية	١٦	بولاق
٠٤	الخليفة	١٧	حدائق القبة
٠٥	الدرب الأحمر	١٨	حلوان
٠٦	الزيتون	١٩	روض الفرج
٠٧	الساحل	٢٠	شبرا
٠٨	السيدة زينب	٢١	عابدين
٠٩	الظاهر	٢٢	قصر النيل
١٠	المطرية	٢٣	مدينة نصر
١١	المعادي	٢٤	مصر الجديدة
١٢	الموسكي	٢٥	مصر القديمة
١٣	النزهة	٢٦	الشرابية

مواقع الأقسام على الخريطة حسب الرقم الوارد بالجدول

السحر فى القاهرة

بحث ميدانى فى مدينة عاصمة

صحيفة الاستبيان الخاصة بالمشتغلين

اسم الباحث

تاريخ تطبيق الصحيفة

(أ) البيانات الأساسية :

١ ـ النوع :

أنثى (   )

ذكر (   )

٢ ـ السن :

أقل من ٢٠ سنة إلى	( )
من ٢٠ ـ ٣٠ سنة	( )
من ٣٠ ـ ٤٠ سنة	( )
من ٤٠ ـ ٥٠ سنة	( )
أكثر من ٥ سنة	( )

٣ ـ محل الميلاد :

٤ ـ محل الإقامة :

٥ ـ المنطقة الإدارية :

٦ ـ الديانة :

مسلم	( )
مسيحى	( )

٧ ـ مستوى التعليم :

أمى	( )
يقرأ فقط	( )

يقرا ويكتب ( )

ابتدائى ( )

اعدادى (

ثانوى ( )

جامعى (

فوق الجامعى ( )

٨ ـ الحالة الاجتماعية :

أعزب ( )

متزوج ( )

مطلق ( )

أرمل ( )

٩ ـ المهنة :

١٠ ـ الدخل :

مرتب ( )

أجر ( )

دخل خارجى ( )

(ب) الهدف من التردد :

١١ ـ يا ترى انت جاى ليه ؟

(جـ) أسباب اختيار هذا الشخص بالذات :

١٢ ـ يا ترى أنت سمعت على فلان وفلانه منين ؟

من أقارب ( )

من أصدقاء ( )

من جيران ( )

من زملاء فى العمل ( )

من زملاء فى الدراسة ( )

من وسائل الاعلام ( )

(الجرنان ـ المجلات ـ الإذاعة ـ السيما)

(د) عدد مرات التردد :

١٣ ـ ياترى دى أول مرة تيجى هنا والا جيت قبل كده ؟

أول مرة ( )

جيت قبل كده ( )

١٤ ـ لو (تردد أكثر من مرة) طيب إنت جيت كام مرة قبل كده ؟

١٥ ـ طيب أنت لقيت من مجيتك هنا فايده ؟

نعم ( )

لا ( )

١٦ ـ (فى حالة نعم) أيه هى الفايده ؟

(هـ) قرب المشتغل أو بعده من المتردد :

١٧ ـ ياترى إنت ساكن قريب من المشتغل ؟

فى المنطقة الإدارية نفسها ( )

فى الحى نفسه ( )

فى المحافظة نفسها ( )

خارج المحافظة ( )

١٨ ـ ياترى إنت بتدفع فلوس والاحاجة غير الفلوس ؟

فلوس ( )

أشياء أخرى ( )

لايدفع شيء ( )

الدافع إلى التردد .

١٩ ـ ياترى إيه اللى خلاك تيجى لـ ... من الأول ؟

ـ اليأس من الطرق العلمية والطبية .

ـ أعتقاد دينى :

ـ مجرد تسليه :

ـ حب استطلاع :

٢٠ ـ درجة الشهرة :

مشهور جدا :

مشهور :

نصف مشهور :

مغمور :

٢١ ـ تفتكر إن السحر ده شيء معترف به من

ـ الدولة :

ـ ليه ؟

الدين :

ـ ليه ؟

السحر فى القاهرة

بحث ميدانى فى مدينة عاصمية

صحيفة الاستبيان الخاصة بالمترددين

اسم الباحث

تاريخ تطبيق الصحيفة

(أ) بيانات أساسية :

١ ـ النوع .

ذكور (   )

أناث (   )

٢ ـ السن (   )

٣ ـ محل الميلاد (   )

٥ ـ المنطقة الإدارية (   )

٦ ـ الديانة :

مسلم (   )

مسيحى (   )

٧ ـ المستوى التعليمى (   )

٨ ـ الحالة الاجتماعية (   )

٩ ـ التخصص

فنجان (   )

معدل (   )

كوتشينه (   )

كف (   )

١٠ ـ الدخل (   )

١١ ـ درجه الشهره .

مشهور جدا (   )

مشهور (   )

نصف مشهور ( )

مشهور ( )

١٢ ـ الكتب التى يستخدمها .

ياترى أيه الكتب اللى بتستخدمها فى شغلك ؟

القرآن ( )

الانجيل ( )

التوراه ( )

كتب الجان ( )

كتب أخرى تذكر ( )

١٣ ـ يا ترى أيه الحاجات اللى أنت بتستخدمها فى شغلك ؟

حيوانات ( )

طيور ( )

أشياء أخرى تذ كر ( )

١٤ ـ ياترى أنت بتطلب من الناس كلهم زى بعضهم واللابتطلب من الفقير حاجة ومن الغنى حاجة تانية ؟

كلهم زى بعضهم ( )

من الفقير حاجة ومن الغنى حاجة ( )

١٥ ـ طب بتطلب إيه من الغنى وبتطلب إيه من الفقير ؟

١٦ ـ ياترى الشغلة دى شغلتك الوحيدة ولا لك شغلة تانيه ؟

شغلته الوحيده ( )

له شغلة تانية ( )

١٧ ـ ياترى الشغلة دى أنت ورثتها عن حد ولا هويتها ؟

ورثها ( )

وأخدها غيه ( )

١٨ ـ تفتكر أنت بتقدم بشغلتك دى خدمات للناس ؟

نعم ( )

لا ( )

١٩ ـ لمن أجاب بنعم

أيه هى الخدمات دى ؟

٢٠ ـ إذا جالك واحد لمجرد التسلية وأنت عايز تقنعه أن شغلك ده ليه قيمة تقوله إيه ؟

٢١ ـ تفتكر أنت تقدر تعمل حاجة لوحدك ولا كله بإذن الله ؟

يقدر يعمل حاجة لوحده ( )

كله بإذن الله ( )

مراجع الكتاب

المراجع

أولا : مراجع اللغة العربية

(أ) مراجع عامة :

١ ـ القرآن الكريم .

٢ ـ الكتاب المقدس ، العهد القديم ، ١٩٤٨ .

٣ ـ الكتاب المقدس ، العهد الجديد ، بيروت ، منشورات المطبعة الكاثوليكية.

٤ ـ المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، جزءان ، ١٩٦٠ ، ١٩٦١ .

٥ ـ التعداد العام للسكان والاسكان ١٩٧٦ ، الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء ، القاهرة ، النتائج التفصيلية ، مرجع رقم ٩٣ — ١١١ (١٥) ، ١٩٧٨ .

٦ ـ قاموس الكتاب المقدس ، مجمع الكنائس فى الشرق الأدنى ، بيروت ، ١٩٧١ ، ط ٢ .

٧ ـ معجم العلوم الاجتماعية ، أعداد نخبة من الأساتذة المصريين والعرب المتخصصين ، تصدير ومراجعة ابراهيم مدكور ، القاهرة الهيئة المصرية للكتاب ، ١٩٧٥ .

٨ ـ محمد فؤاد عبد الباقى . المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، القاهرة ، مطابع الشعب ، ١٣٧٨ هـ .

(ب) كتب ودوريات :

٩ ـ ابراهيم مدكور ،الخرافة ، مجلة الرسالة ،القاهرة ، عدد ١٠٠

١٠ ـ ابن خلدون ، المقدمـــة ، القاهرة ، المكتبة التجارية ، بدون تاريخ .

١١ ـ أبو بـكر الباقلانى ، البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات ، والسحر ، عنى بنشره ريتشارد ، مكارثى ، بيروت ، دار صادر ، ١٩٥٨ .

١٢ ـ أحمد أبو زيد ، تايلور ، مجموعة نوابغ الفـكر الغربى ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٥٨ .

١٣ ـ أحمد أمين ، قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٣ .

١٤ ـ أحمد تيمور باشا ، الأمثال العامية ، القاهرة ، مطابع دار الكتاب العربى ، ١٩٥٦ ، ط ٢ .

١٥ ـ أحمد الحوفى ، « ألوان من اسكتناه الغيب فى العصر الجاهلى » ، الهلال ، عدد يناير ، ١٩٧٥ .

١٦ ـ أحمد الشرباصى ، حديث السحر فى القرآن ، الهلال عدد يناير ١٩٧٥ .

١٧ ـ أحمد الشنتناوى ، فنون السحر ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٥٧ .

١٨ ـ إدوارد وليم لين ، المصريون المحدثون ، شمائلهم وعاداتهم ، ترجمة عدلى طاهر نور القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٥٠ .

١٩ ـ ــــــــــ انجليزى يتحدث عن مصر ، ترجمة فاطمة المحجوب ، القاهرة ، دار التحرير للطباعة والنشر ،سلسلة كتب للجميع ، ١٩٥٧ .

٢٠ – ــــــــــــــــ ، المجتمع العربي في العصور الوسطى ، ترجمة علي حسني الخربوطلي ، القاهرة الدار القومية ، ١٩٦٠ .

٢١ – آرنولد جيزل وآخرون ، الجنين والطفل في ثقافة اليوم ، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد ، القاهرة ، دار الكرنك للنشر ، ١٩٦٤ .

٢٢ – البوني ، شمس المعارف الكبرى ، القاهرة ، مطبعة محمد علي صبيح .

٢٣ – البوني ، منبع أصول الحكمة ، القاهرة ، مكتبة ومطبعة عباس بن شقرون ١٩٥٦ .

٢٤ – بول غليونجي ، طب وسحر ، القاهرة ، المكتبة الثقافية ، العدد ٥ ، الناشر مكتبة النهضة ، بدون تاريخ .

٢٥ – ج . ج كراوذر ، صلة العلم بالمجتمع ، ترجمة حسن خطاب ، مراجعة محمد مرسي أحمد ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، مجموعة الألف كتاب ، رو (٢١١) ، جـ ١ ، بدون تاريخ .

٢٦ – جيمس برستد ، تطور الفكر والدين في مصر القديمة ، ترجمة زكي سوس القاهرة ، دار الكرنك ، ١٩٦١ .

٢٧ – جيمس فريزر ، الغصن الذهبي ، دراسة في السحر والدين ، ترجمة أحمد أبو زيد . وآخرين ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، الجزء الأول ، ١٩٧١ .

٢٨ – حسن الساعاتي ، علم الاجتماع القانوني ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ، ١٩٦٨ ، ط ٣ .

٢٩ – ــــــــــــــــ المسح الاجتماعي لدائرة باب الشعرية ، القاهرة ، جامعة عين شمس ، ١٩٦١

٣٠ ـ دى شابرول، وصف مصر، دراسة فى عادات وتقاليد سكان مصر المحدثين ، ترجمة زهير الشايب ، القاهرة ، مكتبة الخانجى .

٣١ ـ سامية حسن الساعاتى ، « دور المتقفات المصريات فى التغير الاجتماعى » المجلة الاجتماعية القومية ، المركز القومى للبحوث الجنائية والاجتماعية ١٩٨١ .

٣٢ ـ سعد الخادم ، الفن الشعبى والمعتقدات السحرية ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، مجموعة الألف كتاب رقم (٤٨٨) ، ١٩٦٤ .

٣٣ ـ سيد عويس ، حديث عن الثقافة ، القاهرة مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٠ .

٣٤ ـ ———— الإبداع الثقافى على الطريقة المصرية ، دراسة . عن بعض القديسين والأولياء فى مصر ، القاهرة ، ١٩٨٠ .

٣٥ ـ سيد كريم . « السحر والسحرة عند قدماء المصريين » ، الهلال العدد الأول يناير ، ١٩٧٥

٣٦ ـ صمويل باسيليوس ، « السحر ظاهرة اجتماعية عند الشعوب المتخلفة » مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، المجلد السادس والعشرون الجزءان الأول الثانى ، ١٩٦٩ .

٣٧ ـ عبد الرزاق نوفل ، التاروت وسحر هاروت وماروت ، القاهرة ، كتاب القاهرة ، كتاب ليوم ، العدد ١٧٨ ، يناير ١٩٨١ .

٣٨ ـ عبد الفتاح الطوخى ، السحر العجيب فى جلب الحبيب ، القاهرة ، مكتبة القاهرة ، حـ ١

٣٩ ـ ـــــــــــ تسخير الشياطين فى وصال العاشقين ، القاهرة ، مكتبة القاهرة .

٤٠ ـ فوزية دياب ، نمو الطفل وتنشئته ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٧٨ .

٤١ ـ ـــــــــــ القيم والعادات الاجتماعية ، بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٨٠ ، ط٢ .

٤٢ ـ الفولكلور الأمريكى ، تأليف ٢٥ باحثا من المتخصصين ، ترجمة نظمى لوقا ، مطبعة دار العالم العربى ، ١٩٨٠ .

٤٣ ـ ليفى بريل ، العقلية البدائية ، ترجمة محمد القصاص ، مراجعة حسن الساعاتى ، القاهرة ، مكتبة مصر ، بدون تاريخ .

٤٤ ـ محمد جعفر ، كتاب السحر ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٥٨ ، الطبعة الأولى .

٤٥ ـ محمد الجوهرى ، « التراث الشعبى : وجهة نظر محددة فى تحديد موضوعات الدراسة » ، حوليات كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، المجلد الثلاثون ١٩٦٨ .

٤٦ ـ ـــــــــــ ، السحر الرسمى والسحر الشعبى » ، المجلة الاجتماعية القومية ، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، العدد الثانى ، مايو ١٩٧٠ .

٤٧ ـ ـــــــــــ « الجن فى المعتقد الشعبى المصرى » ، المجلة الاجتماعية القومية ، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، المجلد التاسع ، العدد الأول ، يناير ١٩٧٢ .

٤٨ ـ ــــــــــــ علم الفولكلور ، دراسة المعتقدات الشعبية ، القاهرة ، دار المعارف ، الجزء الثانى ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٠ .

٤٩ ـ محمد حسنين مخلوف ، المطالب القدسية فى أحكام الروح وآثارها الكونية ، القاهرة ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى ، ١٩٦٣ ، ط ٢ .

٥٠ ـ محمد طلعت عيسى ، دراسات فى الاجتماع الريفى ، القاهرة ، مكتبة القاهرة الحديثة ، ١٩٦٠ .

٥١ ـ محمد عمر ، حاضر المصريين أو سر تأخرهم ، القاهرة ، مطبعة المقتطف ١٩٠٢ .

٥٢ ـ محمد فخر الدين السبكى ، مذكرات طبيب فى الأرياف ، القاهرة ، مكتبة الآداب ، ١٩٤٦ .

٥٣ ـ مصطفى فهمى الحكيم ، أسرار الجن ، القاهرة ، المطبعة المصرية بمصر ، ١٩٣٥ ، ط ١ .

٥٤ ـ نبيل صبحى حنا ، السحر : دراسة مسيحية للسحر والسحرة والمتعاملين معهم فى ضوء الكتاب المقدس ، مراجعة وتقديم الأنبا غريغوريوس . القاهرة ، ١٩٧٤ .

٥٥ ـ نجيب اسكندر ابراهيم ورشدى فام منصور ، التفكير الخرافى القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٦٢ .

٥٦ ـ هربرت ريد ، تربية الذوق الفنى ، ترجمة يوسف ميخائيل أسعد ، القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٦ .

٥٧ ـ وليام هاولز ، ماوراء التاريخ ، ترجمة أحمد أبو زيد ، القاهرة دار نهضة مصر ، ١٩٦٥ .

٥٨ ـ ويلاند د . هاند ، « نخافة الأرباب » : الاعتقاد الخرافى فى المعتقد الشعبى الفولـكلور الأمريـكى ، تأليف ٢٥ باحثا من المتخصصين ، ترجمة نظمى لوقا ، القاهرة ، مطبعة دار العالم العربى ، ١٩٨٠ .

٥٩ ـ يوسف بدوى ، التفاؤل والتشاؤم ، القاهرة ،دار المعارف ١٩٨٠ .

٦٠ ـ يوسف ميخائيل أسعد ، السحر والتنجيم ، القاهرة دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٨ .

ثانيا: مراجع باللغة الأجنبية

(أ) مراجع عامة :

1. Dictionary of Sociology, Fairchild, H.P. (edr). New Gersey. Little-field. Adams Co., 1964.

2. Dictionary of the Social Sciences, (eds.) Gould and Kolb, Great Britain, Tavistock Publications, 1964.

3. Encyclopedia Britannica, vol. 14, 1965

4. Encyclopedia of the Social Sciences, Seligman, E and Johnson, A. (eds) Volums IX - X, 1963.

5. Encyclopedia of Superstitions, Radford E., & Mona., London, Rider Co., 1947.

(ب) كتب دوريات :

6. The New Encyclopedia Britanica, in 30 Vol. vol. 1, 1975.

7. Aron R., Main Currents in Sociological Thought, England, Penguine Books, 1965.

8. Blackman W., The Fellaheen of Upper Egypt, 1929.

9. Castiglioni, A., Incantation et Magie, Paris, Payot, 1951.

10. Cassier, E., An Essay on Man. Doubleday, Co., Inc., N.Y., 1953

11. Doutté, Edmund, Magie et Religion dans l'Afrique du Nord, Alger, 1909.

12. Flugel, J.C., A Hundred Years of Psychology, London. Pelican Books, 1940.

13. Firth, Raymond (ed.), Man and Culture, London. Routledge & Kegan Paul, 1970.

14. Freud, Totem and Taboo, England, Penguin Books, 1940.

15. Gillin and Gillin, Cultural Sociology, N.Y. Macmillan, 1954.

16. Hubert, H., and Mauss M., "Esquisse d'une Theorie Générale de la Magie", L'Année Sociologique, Paris, 1902-3 Vol. VII.

17. Kardiner A, and Preble E., They Studied Man, Secker and Warrurg, London, 1962.

18. Kluckhoh, & Kelly, "The Concept of Culture", in R. Linton (ed.): The Science of Man in the World Crisis. N.Y. Columbia University Press, 1945.

19. Kretch O., & Crutchfield, R., Theory and Problems of Social Psychology, N.Y., McGraw Hill, 1948.

20. Malinowski, B., Magic, Science and Religion, Illinois, The Free Press, 1948.

21. Malinowski, B., The Dynamics of Culture change: An Inquiry into Race Relations in Africa, (ed.) Phillis M. Kaberry, New Haven, Yale University Press, 5th Printing, 1958.

22. Malinowski, B., Argonauts of the Western Pacific, N.Y. Dutton and Co. Inc., 1961.

23. Muller. Max. Egyptian Mythology, London, 1942.

24. Pritchard, Evans, Witchcraft, Oracles and Magic among the Azandé, Oxford, 1937.

25. Pritchard Evans, The Nuer; A Description of the Modes of Livelihood and Political Institutions of a Nilotic People, Oxford University Press, 1940.

26. Rath, W.E., Superstition, Magic and Medicine, Ethnography, Vol. 121.

27. Russel, B., History of Western Philosophy, London, George Allen and Unwin Ltd. 1951.

28. Skinner, B.F., Science and Human Behavior, N.Y. The Macmillan Co. 1953.

29. Sumner, William Graham, Folkways : A Study of the Sociological Importance of Usages, Manners, Customs, Mores, and Morals, N.Y., Ginn, 1940.

30. Thorondike, Lynn., A Short History of Civilization, 2nd edn. Appleton Century-Crofts, Inc., N.Y.

الفهرست

فهرس

الموضوع	الصفحة

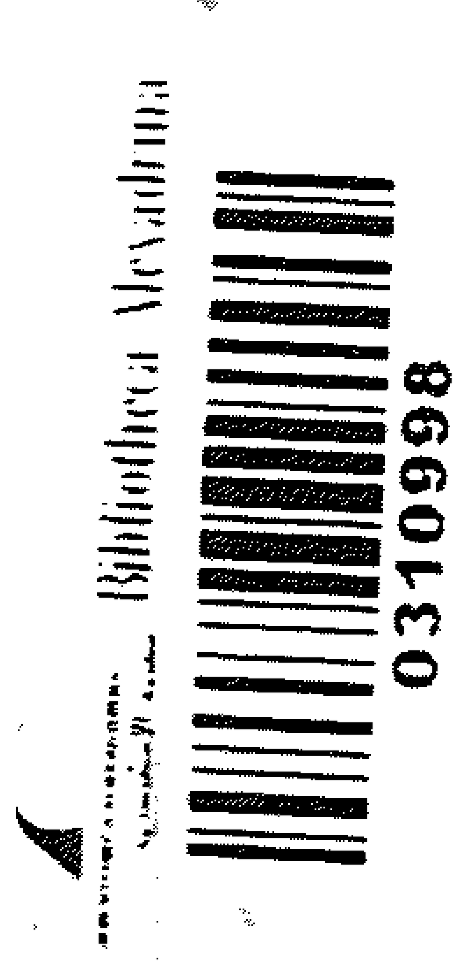
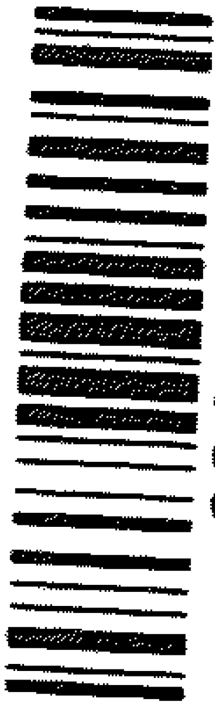
القسم الثانى

السحر والمجتمع - البحث الميدانى

الفصل السادس

الفصل السابع

الموضوع	الصفحة



Bibliotheca Alexandrina
0310998